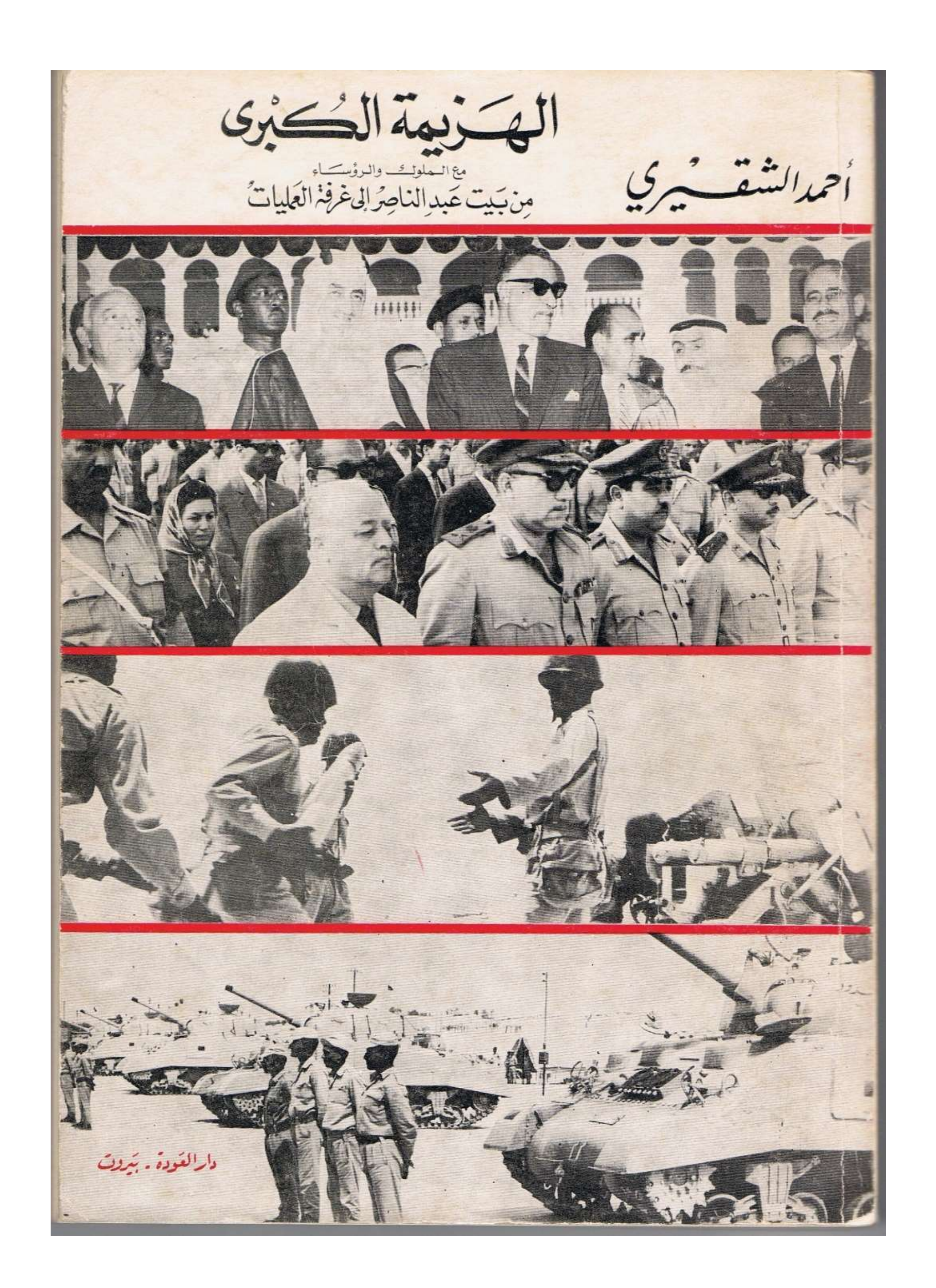

الهزيمة الكبرى
مع الملوك والرؤساء
من بيت عبد الناصر الى غرفة العمليات
أحمد الشقيري
دار العودة . بيروت

أحمد الشقيري

الهزيمة الكبرى

مع الملوك والرؤساء
من بيت عبد الناصر إلى غرفة العمليات

الجزء الثاني

الطبعة الإلكترونية الأولى
1426 هـ
2005 م

- الهزيمة الكبرى مع الملوك والرؤساء
  من بيت عبد الناصر إلى غرفة العمليات – الجزء الثاني
- أحمد الشقيري
- الطبعة الإلكترونية الأولى 2005 م

التنقيح والتدقيق الفني واللغوي

عبد العزيز السيد أحمد

أ.د. عزمي الصالحي

تدقيق التنضيد والإخراج :-

المؤسسة العربية الدولية للنشر والتوزيع

هاتف: 5650630-6-962+ فاكس: 5668860-6-962+

ب.إ: arab_book@hotmail.com

صدرت الطبعة الورقية الأولى عن دار العودة ، بيروت ،1973 .

المُحتَوَيات

ــــــــــــــــــ انتصر الواحد على ثلاثة عشر

قضيت النصف الثاني من شهر حزيران مع بريد الملوك والرؤساء.

كان من تقاليد الملوك والرؤســـــاء كرمز لاعترافهم بمنظمة التحرير وتأييدهم لها إلى " أبعد حدود التأييد "، أنهم كانوا يرســــلون إليّ خطبهم وتصريحاتهم ورسائلهم السرية التي يتبادلونها فيما بينهم ..

وكان طبيعياً أن تصبح حرب حزيران مجالاً خصباً للخطب والتصريحات والرسائل السرية، يحددون فيها مواقفهم ومواقعهم، دون أن تكون لهم مواقف أو مواقع !!.

ولم تكن حرب حزيران حدثا عادياً في التاريخ العربي المعاصـــــر.. بل إنها لم تكن كحرب إســــرائيل أثناء العدوان الثلاثي لعام 1956، حين زحفت إسرائيل على سيناء وقطاع غزة واحتلتها ثلاثة أشهر، ثم انسحبت وكأن شيئاً ما كان ...

بل إن هذه الحرب لم تكن إعصــــــاراً هادراً هبَّ على الوطن العربي لبضعة أيام، ثم سكن وهدأ، وصفا الجو وعادت الحياة إلى طبيعتها ونظامها...

كانت حرب حزيران بآثارها السياسية والعسكرية عطفة تاريخية رهيبة ستظل الأمة العربية ترزح تحت أثقالها، إلى أن تستطيع أن تهز عن أكتافها كثيراً من الأحمال وأولها هذا الحكم العربي المعاصر ما بين خائب، وخائر، وخائن ...

ولا يخلو هذا القول العادل من استثناءات قليلة ضئيلة ... وليس الأمر في حاجة إلى تصنيف وتفصيل، فالأمة تعرف الصادقين من الكاذبين...

ومن هنا كان اهتمامي ببريد الملوك والرؤساء، أقرأه وأتأمله، وأحدد مكانه في المعركة، فقد كان كله بريد المعركة، بريد الحرب...

ومع بريد الملوك والرؤساء، كان في مكتبي بريد آخر ينتظرني ويجدر بي أن أسميه بريد الشعب .. إنها تقارير مكاتب منظمة التحرير في الوطن العربي، تتحدث عن موقف الشعب أثناء المعركة ...

وأخذت أقرأ بريد الملوك والرؤساء، وأقرأ بريد الشعب .. فإذا بالتاريخ يقرأ معي ...

وكان أول ما قرأت .. البرقية الآتية :

" فخامة الأخ الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة – القاهرة.

إننا نقف إلى جانبكم بجميع قواتنا وطاقتنا في هذه المعركة المصيرية ونؤيدكم كل التأييد في هذه المعركة الحاسمة في تاريخ الأمة العربية، وقد دخلت قواتنا إلى الأردن لتعمل إلى جانب شقيقاتها العربيات، سائلين المولى سبحانه وتعالى أن يؤيدنا جميعاً بنصره".

التوقيع

وكـان تـاريخ هـذه البرقيـة في اليوم الأول للمعركـة .. وبـالتحـديـد في الخامس من حزيران ...

وانطلقت الإذاعة السـعودية، تعيد نص البرقية في جميع نشـراتها، وتذيع بعد ذلك أن الديوان الملكي تلقى مئات البرقيات من قبائل الجزيرة العربية تؤيد فيها " الخطوات التي اتخذها جلالة الملك وتعلن تطوع القبائل للزحف في جهاد إسلامي لتحرير فلسطين..".

ولقد كانت هذه البرقيات صـــادقة وأمينة ومخلصـــة، فإن الشـــعب الســـعودي، كالشـــعوب العربية الأخرى، يود لو أتيحت له الظروف أن يفتدي القضية العربية بالمهج والأرواح.

والبرقيات هذه، كانت في الواقع، اســتجابة وتلبية، والشــعب الســعودي كالشعوب الإسلامية، يردد دائماً " لبيك اللهم لبيك ..".

أجل ... كانت تلبية لنداء وجهه فيصــل في اليوم الخامس من حزيران، وكان هذا النداء موجزاً فإن نداء المعركة لا يحتمل الكلام الكثير .. وقال الملك فيصل في ندائه...

" يا أبناء الشعب العربي السعودي ..."

لقد آن الوقت الذي كنا نتطلع إليه منذ أمد بعيد .. فيا إخواني أبنـاء الشـعب العربي السـعودي، اسـتعدوا للمعركة الفاصـلة بيننا وبين عناصـر الشـر التي فرضـتها قوى الاستعمار والصـهيونية .. وإننا سنكون أمامكم في المعركة،

وأثبتوا للعالم أجمع أنكم دائماً في الطليعة في جميع ما يهدد كيان الأمة العربية ..".

كان ذلك كلام الملك فيصل في اليوم الأول من المعركة .. وكان هنالك كلام آخر في اليوم الثاني ..

ففي السادس من حزيران أقيم مهرجان شعبي كبير في الرياض احتفاء بعودة الملك فيصل من زيارة طويلة استغرقت شهراً، في أمريكا وبريطانيا وفرنسا وبلجيكا .. وألقى الملك فيصل خطاباً في المهرجان الشعبي ... وكان طبيعياً أن يتكلم عن المعركة فقال في جملة ما قال: " إن مجرد وجود الوجود الإسرائيلي على الأراضي العربية هو أكبر اعتداء وظلم عرفه التاريخ .. وإننا اليوم صف واحد وجنود في المعركة، لا رئيس ولا مرؤوس، بل كلنا حملة سلاح في سبيل الله وفي سبيل الوطن ... يجب أن نلقن الصهيونية والاستعمار درساً لم يعرفوه ... وإننا سنتخذ الإجراءات بكل قوة ضد من يساعد أعداءنا ومن يناصرهم بأي نوع من المساعدات ... فإلى الجهاد أيها المواطنون، إلى الجهاد أيها الموطنون، إلى الجهاد يا أمة محمد .. ويجب علينا اليوم أن نثبت ما نقوله باللسان، نثبته بالعمل لا بالتظاهر والصياح .. وإنه ليشرفني أن أنقل إليكم رغبة إخواتي التي تقدموا بها إليَّ بأن يكونوا في مقدمة الصفوف المقاتلة على الحدود وإني أعدهم وأعدكم بأن هذه الرغبة ستحقق ...".

وبعد هذا الخطاب الكبير بألفاظه، العظيم بعباراته، أذاع راديو مكة خطاباً آخر من الأمير سلطان عبد العزيز آل سعود وزير الدفاع والطيران السعودي موجهاً إلى القوات السعودية المسلحة قال فيه : " إن القائد الأعلى

والحكومة والشعب السعودي واثقون ومؤمنون أنكم سوف تعيدون فلسطين إلى أهلها العرب ..".

ولقد كان لهذه الكلمات سحرها في نفوس الجماهير، ولو اقترنت بالإرادة والعزيمة لتحول السحر إلى نصر ...

وليس شيئاً قليلاً أن يعلن الملك فيصل " أننا سنكون أمامكم في المعركة .. وأننا كلنا حملة سلاح .. وإلى الجهاد يا أمة محمد ... وأن أخواني سيتقدمون الصفوف، وأني أعاهدكم أن تتحقق هذه الرغبة ...".

والملك فيصل قادر أن يجعل هذا الكلام حقيقة ناصعة .. إنه يملك الرجال والمال والسلاح والبترول .. وفوق ذلك فإنه بين يديه مشاعر العالم الإسلامي، بوصفه حامي الحرمين الشريفين.

ولو أن الملك فيصل طار إلى بيت المقدس في صباح الخامس من حزيران، وخاطب العرب والمسلمين من المسجد الأقصى يدعوهم إلى الجهاد لتغير مجرى التاريخ .. ولكن الملك فيصل دعا إلى الجهاد وقعد .. واختار لنفسه أن يكون ملكاً لا بطلاً .. وما أكثر الملوك وما أقل الأبطال!!

وحينما كان الملك فيصل يدعو إلى الجهاد، ويعلن أن قواته ستشترك في المعركة في الخامس والسادس من حزيران ... كنت أنا بعقلي وجوارحي في غرفة العلميات الأردنية، في عمان أتابع تحركات القوات الأردنية والعراقية في المعركة منذ بدايتها إلى نهايتها، ولم أعلم أن القوات السعودية قد اشتركت من قريب أو بعيد ... والذي أعرفه أن القوات السعودية بقيت مرابطة وعلى الحدود الأردنية وانتهى .. وكان من دواعي الشرف للجيش السعودي الباسل، بل للأمة

العربية، لو أنه اخترق الحدود وساهم في القتال .. فقد كانت المعركة في حاجة إلى جندي واحد، وإلى طلقة واحدة ...

ولست أنسى واقعة مثيرة تفرض نفسها على التاريخ ... ذلك أن قسم استماع الإذاعات في القيادة المشتركة في عمان كان يسجل للفريق عبد المنعم رياض كل ما تقوله الإذاعات العربية والأجنبية عن المعركة .. وكان من جملة ما نقله جهاز الاستماع خبر عن إذاعة مكة يقول : " إن القوات السعودية والعراقية اشتركت مع القوات الأردنية في احتلال جبل المكبر في القدس وإن سلاح الجو السعودي اشترك مع سلاح الجو العراقي وسلاح الجو الأردني في ضرب المنطقة المحتلة ...".

قرأ الفريق عبد المنعم رياض الخبر، وصاح " هو نحن ما تعلمناش أي درس من حرب فلسطين عام 1948 – القوات السعودية متمركزة حتى اليوم في تبوك، من أين جاءت لتحتل جبل المكبر ... والطيران السعودي، نحن نتمنى أن يكون معنا في المعركة ... إنه لا يزال في مطارات السعودية..".

ورحت أهدئ الفريق عبد المنعم رياض وأقول له:" على مهلك .. يجب أن تروض نفسك على التصريحات العربية ..".

فقال الفريق رياض: " ما الفائدة من الكذب .. لقد سقط جبل المكبر بيد إسرائيل بعد أن احتلته القوات الأردنية بأربع ساعات .. والقوات السعودية بعيدة عنا مسيرة أيام وأيام!!".

وما أن انتهت حرب حزيران حتى بدأت حرب أخرى، حرب أطلقتها الإذاعة السعودية، تندد بالقاهرة وتأخذ عليها كثيراً من الأخطاء العسكرية والسياسية، وبلغت الحملة ذروتها حين أعلنت جريدة الندوة السعودية، في الثامن

والعشـــرين من حزيران " أن الملك فيصــــل أخطر الدول العربية أثناء زيارته لا لأوروبا في شـــهر أيار الماضــــي بأن إســـرائيل تنوي القيام بهجوم على البلدان العربية المجاورة لها، وأن الملك فيصــــل قد نقل هذا التحذير إلى جميع الدول العربية بواسـطة ممثليها في لندن وبروكسـل أثناء زيارتها لبلجيكا وبريطانيا، وأن الملك فيصـــل أبلغ الســفراء العرب في العاصـــمتين المذكورتين أن على الدول العربية أن تبدأ بالهجوم على إســـرائيل ليتمكن العرب من أن يحققوا نصـــراً، أو على الأقل حتى لا يتحول الموقف إلى نكبة...".

واســـتمرت الحملة الســـعودية تتصـــاعد يوماً بعد يوم إلى أن جاء 23 يوليو، يوم الذكرى الخامسـة عشـرة للثورة المصـرية .. وكنت في جامعة القاهرة أجلس على المنصـــة الرئيســـية ... وألقى الرئيس جمال عبد الناصـــر خطاباً مســـهباً عن ظروف النكبة ... رد فيه على الحملة الســـعودية وقال: " بعدما حصلت النكسة بيجوا بنتقدونا في المملكة العربية السعودية ... الجرايد والإذاعة كل يوم تنتقدنا ... جرايد الملك بتقول ليه ماهجمتش بالأول وهو قاعد هناك بالرياض على بعد خمســـة آلاف كيلو متر .. طيب وهو الملك فيصـــل عمل آيه؟ كام عسكري بعتهم أثناء المعركة ... ولا عسكري...".

وانتهى الرئيس عبد الناصـر من خطابه، وجلسـنا في صـالة الاسـتراحة بعض الوقت .. وسألني الرئيس عبد الناصر قائلاً : دانت يا أخ أحمد كنت في عمان أثناء المعركة .. هل السعودية اشتركت في المعركة ؟؟

قلت : نعم ...

قال : إزاي اشتركت في المعركة؟

ودهش الرئيس عبد الناصر وقال : إزاي اشتركت في المعركة ؟

قلت : إذاعة الرياض ذكرت أن الطيران السعودي والقوات السعودية اشتركت في احتلال جبل المكبر .. وسقط جبل المكبر بعد أربع ساعات بيد إسرائيل بعد أن احتلته القوات الأردنية ...، وكان جبل المكبر " يكبر" احتجاجاً على إذاعة الرياض !!

وضحك الرئيس عبد الناصر قائلاً : ده صحيح ... ناس كتير غير السعودية حاربوا بالإذاعة..

وإني أروي هذا الحادث بما فيه من قسوة .. فإن القسوة متلازمة مع القدرة ... إن قدرات المملكة السعودية ضخمة هائلة ... على الصعيدين العربي والإسلامي ... ولا ننسى الطاقات الروحية والسياسية والبترولية التي تملكها المملكة العربية السعودية، والتي يمكن أن تلعب دوراً خطيراً في المعركة، لو أنها توضع تحت تصرف المعركة...

وإذا كان هذا هو موقف الملك فيصل من المعركة ... خطبة رنانة، وجهاد في الإذاعة ... فإن موقف الشعب السعودي أعظم وأكرم ... حقاً وصدقاً ...

لم يجد الشعب السعودي مكاتب التطوع مفتوحة أمامه كما وعده مليكه .. ولم يجد الأمراء أخوة الملك فيصل يتقدمون المعركة كما طلبوا ... ولم يجهز القادرون على حمل السلاح بالسلاح ... ولكن الشعب السعودي بذل كل ما يستطيع .. ففي الواحد والعشرين من شهر حزيران حطت طائرة نقل سعودية في مطار عمان تحمل " 349 " طرداً كبيراً من الملابس والأغذية المتنوعة تبرع بها الموطنون السعوديون لأسر الشهداء في الأردن...".

وكانت هذه إحدى الأيادي السعودية البيضاء في تلك الأيام السوداء... وقد لحقتها تبرعات شـــعبية قيمتها " مليون وربع مليون دولار مائة وخمســـة وسبعين قطعة من الحلي الذهبية ...".

ثم توالت التبرعات الســـعودية بالكرم النجدي والســـخاء الحجازي حتى بلغت قيمتها في منتصف حزيران ستة وأربعين مليون ريال سعودي.

ما أعظم الشعب وما أكرم الشعب .. ولا أذكر غيره ...

كان ذلك هو حصـيلة بريدي مع السـعودية شـعباً وملكاً ... وكان من المصـادفة الغريبة أن أنتقل إلى بريد الكويت .. وهي كالسـعودية دولة بترولية، ومثلها، بدأت حياتها بداءة بدوية ... وماذا وجدت في البريد ...

في اليوم الخامس من حزيران أصـدر أمير الكويت مرسـوما جاء فيه: " إن الكويت تعتبر في حرب دفاعية منذ صـباح اليوم مع العصـابات الصـهيونية، وإن الكويت يضع كل إمكاناته لخوض المعركة .."

وعلى أثر ذلك، اجتمع مجلس الأمة الكويتي في جلســة طارئة أقر فيها المرســوم الأميري، كما أقر الإجراءات الاســتثنائية الأخرى التي اتخذها مجلس الوزراء .. وتنفيذاً لهذه الإجراءات فقد وضــع الحاكم العسـكري العام في الكويت جميع المحطات اللاســلكية في شــركات النفط العاملة في البلاد تحت الرقابة ...

وبهذا ظهر في اليوم الأول للحرب، أن الكويت تواجه مســـؤولياتها لا كدولة بدوية، بل كدولة دســتورية لها مجلس أمة، ولها دســتور، ولها قوانين..

هذا إذا استثنينا شيئاً واحداً، وهو أن الحكم في مجموعه لا يزال في يد الأسرة الواحدة .. شأنها في ذلك شأن المملكة العربية السعودية ..

وفي اليوم السادس من حزيران، وعلى أثر ما أذيع من أن أساطيل أمريكا وبريطانيا تسند العدوان الإسرائيلي، قرر مجلس الوزراء الكويتي وقف تصدير النفط الكويتي إلى كل من الولايات المتحدة وبريطانيا..

وفي السابع من حزيران وافق مجلس الأمة الكويتي في جلسة سرية طارئة على تخصيص مبلغ خمسة وعشرين مليون دينار كويتي لدعم المجهود الحربي للدولة العربية.

وعلى صعيد المجهود الحربي فقد بعث الكويت بكتائب من الجيش الكويتي إلى الجبهة المصرية للمساهمة في المعركة ... وقد سقط منهم عدد من الشهداء في الميدان، تجسيداً لوحدة النضال العربي.

وكان الجهد الشعبي رائعاً .. فقد ازدحمت شوارع الكويت بتظاهرات شعبية ضخمة تطالب بالسلاح للاشتراك في المعركة، وتهافت المواطنون على مراكز التبرع بالدم، وتبرعوا بمبالغ سخية لتمويل المجهود الحربي ... ووقف المئات أمام سفارات الأردن والجمهورية العربية المتحدة وسوريا ولبنان والمملكة العربية السعودية تطالبهم قبول تطوعهم للقتال في ميدان المعركة، وقرر التجار مقاطعة البضائع الأمريكية والبريطانية مقاطعة كاملة، كما بدأت المؤسسات التجارية ورجال الأعمال سحب ودائعهم من المصارف البريطانية والأميركية ... وجمع المواطنون تبرعات مالية كبيرة، ومواد غذائية وأدوية أرسلت كلها إلى الأردن وسورية، وسافرت بعثة صحية تضم عدداً من الأطباء والممرضين، ومعها كمية كبيرة من الأدوية لإسعاف الجرحى في الأردن وسوريا.

ولم تتخلف إمارات الخليج العربي عن النهوض بواجباتها شعوباً وحكاماً، وهي ما تزال رازحة تحت النفوذ الأجنبي، فقامت بما تستطيع من واجبات النضال العربي ... ففي دبي، على سبيل المثال، أرسل المواطنون برقية إلى الملك فيصل يطلبون فيها السماح لهم باجتياز الأراضي السعودية من إمارة دبي للوصول إلى جبهات القتال ... وقامت تظاهرات ضخمة في الشوارع استنكاراً للتواطؤ الأمريكي البريطاني في مساندة إسرائيل، واتجه المتظاهرون إلى مبنى البنك البريطاني وأشعلوا النار فيه.

وفي أبو ظبي، أمر حاكمها الشيخ زايد بن سلطان شركات النفط العامة في بلاده عدم تحميل ناقلات النفط المتوجهة إلى بريطانيا والولايات المتحدة ...

وفي البحرين أصدر الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة حاكم البحرين أمراً إلى شركة نفط البحرين بوقف جميع عمليات شحن ناقلات البترول .

وتناولت بريد لبنان...

وفي لبنان تضافرت الحكومة والشعب في القيام بالواجب اللبناني ... ولبنان على الدوام يؤدي للقضية الفلسطينية كل قدراته السياسية والعسكرية، وإن كان لا يملك منها إلا القليل .. وذنبه أنه رضي أن يكون دولة صغيرة، كالدول العربية الصغيرة الكثيرة !!

ففي الخامس من حزيران، أعلن رئيس الجمهورية السيد شارل حلو أن " المعركة التي يخوضها العرب ضد العدوان الصهيوني يتوقف عليها مصير لبنان والبلاد العربية .. وأذاع السيد رشيد كرامي رئيس الوزارة خطابا قال فيه : " نحن نعتبر أن هذه المعركة هي معركة لبنان " ... واجتمع مجلس النواب في جلسة طارئة قرر فيها بالإجماع إعطاء الحكومة صلاحيات استثنائية لتنسيق

العمليات العسكرية بين القوات اللبنانية والعربية بما في ذلك دخول قوات عربية إلى الأراضي اللبنانية .. وأذاعت قيادة الجيش اللبناني بلاغاً دعت فيه " الفلسطينيين " المقيمين في لبنان أن يسجلوا اسماءهم من أجل تطويعهم لمعركة التحرير"، ووقعت مناوشات جوية بين الطائرات الإسرائيلية واللبنانية ...

ولم يدخر الشعب في لبنان جهداً في مساندة النضال العربي، شباباً وطلاباً، ونساء ورجالا، في جمع الإعانات والأغذية والأدوية وإذكاء الروح الوطنية ...

وفي الثامن من شهر حزيران شهدت بيروت اجتماعاً طارئاً لرؤساء غرفة التجارة والصناعة والزراعة في البلدان العربية اتخذوا فيه مقررات هامة " بفتح الجبهة الاقتصادية العربية ضد الاستعمار ... فيما يختص بالبترول والتعامل المالي ، والنقل وسائر الجوانب الاقتصادية الأخرى".

وتناولت بريد السودان .. وفي السودان وجه الرئيس إسماعيل الأزهري في الخامس من حزيران خطاباً إلى الشعب السوداني، يصح أن يكون نموذجاً لخطاب الملوك والرؤساء ... وخير ما فيه إيجازه، وقال في نصه الكامل ما يلي : " لقد انفجر البركان العربي الثائر أثر الهجوم الإسرائيلي على الوطن العربي وبدأت بذلك مرحلة جديدة في نضال العرب تتسم بالمسؤولية الكبرى الملقاة على عاتق كل عربي .. إنها الزحف المقدس نحو العدو وتمزيق كيانه وسحق وجوده والقضاء عليه قضاء ثورياً وأبدياً..."

وابلغ محمد أحمد محجوب رئيس وزراء السودان الجمعية التأسيسية " أن السودان قد أعلن الحرب على إسرائيل، وأن القوات المسلحة السودانية ستتجه إلى الجبهة المصرية للاشتراك في المعركة " .. وقامت مظاهرات شعبية

صاخبة في شوارع العاصمة تندد بالعدوان الإسرائيلي، واستخدم البوليس الغاز المسيل للدموع حين توجه المتظاهرون نحو سفارة الولايات المتحدة.

وفي اليوم السادس من حزيران قرر مجلس الوزراء السوداني تحويل أرصدته المالية المودعة في البنوك البريطانية إلى البنوك السويسرية كما قرر اتحاد العمال السوداني الامتناع عن شحن أو تفريغ أي سفينة أو طائرة بريطانية أو أمريكية في موانئ ومطارات السودان.

وفي السابع من حزيران أغلقت السلطات المسؤولة مطار الخرطوم في وجه الطائرات الأمريكية والبريطانية وحظرت عليها التحليق في الأجواء السودانية .

والواقع أن كتائب من الجيش السوداني قد وصلت إلى الجبهة المصرية واشتركت في المعركة ... ولم يستطع السودان حكومة وشعباً أن يقدم للمعركة أكثر مما قدم في ظروفه الاقتصادية الصعبة، ومتاعبه في الجنوب وأزمة العطش .. ويا عطشي والماء يجري!!

ووصلت إلى بريد اليمن، فقرأت بيان المشير عبد الله السلال " بإعلان الحرب على إسرائيل " وكان اليمن في حرب مع غير إسرائيل ... ومع هذا فلم يسع المشير عبد الله السلال إلا أن يعلن فتح مكاتب للتطوع .. وحث شعب الجنوب العربي في إذاعة خاصة من راديو صنعاء على مهاجمة القوات والمنشآت البريطانية حيثما وجدت.

ثم انتقلت بعد ذل إلى بريدي مع الشمال الأفريقي فكانت ليبيا هي الأولى ... وفي ليبيا كان الشعب هو الذي يقود الحكومة ... فما من قرار اتخذته الحكومة الليبية إلا وكان الشعب هو الدافع والحافز، ففي الخامس من

حزيران اجتاحت تظاهرات ضـــخمة المدن والقرى في ليبيا، وكان المتظاهرون يهتفون بســقوط الاســتعمار والصــهيونية، ويعلنون عن اســتعدادهم لخوض المعركة، وتجمهر ألوف المواطنين أمام مراكز المحافظات لقيد أســمائهم في ســجل المتطوعين ... وعم الحماس صــفوف الجيش الليبي وبدأت وحداته بالاســتعداد للتحرك من طرابلس وبنغازي في طريقها إلى الجمهورية العربية المتحدة.

وكانت الحكومة الليبية تحت ضغط الشعب قد أرسلت في الخامس من حزيران برقية إلى الرئيس جمال عبد الناصر تقول فيها : " نؤكد لفخامتكم باسمنا وباســم البطولة والشــعب الليبي موقفنا الصــامد إلى جانبكم في خوض معركة البطولة والشــرف والتحرير والعودة وقد صــدرت التعليمات إلى قواتنا بدخول الجبهة الأمامية وأن توضع تحت تصرفكم ورهن إشارتكم نؤكد تأييدنا الصادق واستعدادنا لتسخير كافة الإمكانات لمساعدتكم والتضحية بكل ما يفرضه علينا الواجب القومي المقدس .. " وقد تحركت القوات الليبية فعلاً في اتجاه القتال " الجبهة الأمامية " ثم عادت إلى قواعدها بعد أن توقف القتال!!

وفي الثامن من حزيران اشتدت المظاهرات في طرابلس وتعرض الشباب لعديد من الأمريكيين الذين كانوا في طريقهم إلى القاعدة الأمريكية، وبلغ عدد المتطوعين ســتة آلاف انخرط ألفان منهم في معســكرات تدريبية .. واحتل عدد من الطلبة الليبيين دار الســفارة الليبية في روما، ورفعوا اللافتات على نوافذها وشــرفاتها، منددين بالولايات المتحدة، محتجين على حكومتكم وتخاذلها في النضــال العربي ... كما أبرق الاتحاد العام للطلبة الليبيين في باريس بدعوة

الحكومة باتخاذ موقف حازم إزاء الولايات المتحدة " وإلا فإنهم ينفذون قراراتهم بإحراق السفارات الليبية في كل أنحاء العالم" .

وفي اليوم التاسع من شهر حزيران تظاهر أكثر من عشرة آلاف شخص في طرابلس احتجاجاً على التواطؤ الأمريكي البريطاني، وتكاثرت طلبات التطوع على مكتب منظمة التحرير، وغادر الفوج الأول من المتطوعين الليبيين ومعهم ثمانية عشر طبيباً .. ووصلت حملة التبرعات إلى مليوني جنيه ليبي ... وامتنع العمال الليبيون عن تفريغ البواخر الأمريكية والبريطانية في مينائي طرابلس وبنغازي ...

وكان بريد تونس طريفاً ... ولا تخلو المعركة من الطرائف..

في تونس تحرك الشعب أولاً، وتحرك الرئيس القائد المجاهد ثانياً!!..

ففي الخامس من حزيران، وما أن انتشرت أخبار العدوان الإسرائيلي بين صفوف الشعب حتى انطلقت التظاهرات تملأ شوارع العاصمة، وفصد الألاف إلى السفارتين الأمريكية والبريطانية فاقتحموهما وحطموا الأثاث والنوافذ والأبواب، ومزقوا الأوراق، وبدت العاصمة كأنها في ساحة حرب.

ووصلت غضبة الشعب بكل تفاصيلها وأخبارها إلى الرئيس بورقيبة فلم يسعه إلا أن ينادي بما ينادي به الشعب، فخطب في الخامس من حزيران خطابا ثورياً لو شاء الفلسطينيون أن يأتوا بمثله لما استطاعوا ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ..

ونسي الرئيس بورقيبة دعوته السابقة في عام 1965 للصلح مع إسرائيل، وعدم جدوى الحرب والقبول بالأمر الواقع[1] فقال في خطابه: " اليوم

---

[1] أحمد الشقيري، **من القمة إلى الهزيمة مع الملوك والرؤساء**.

وقد جد الجد وأخذ الكفاح طوره الجدي من أجل الحق والعدل والسلم تقف تونس شعباً وحكومة في صف شقيقاتها من أجل تحرير فلسطين التي اغتصبت أرضها وشرد أبناؤها ... وقد وضعنا الجيش من الآن على أهبة الاستعداد للاستجابة لكل ما يصدر إلينا من إخواننا العرب سواء كان الأمر يتعلق بالرجال أو العتاد أو الأخصائيين .. كمساهمة فعالة في المعركة ... ". وهكذا انقلب الرئيس بورقيبة على آرائه وعلى فلسفته، بل على البورقيبية بأسرها !!

وسار الرئيس بورقيبة خطوة أخرى على طريق " المعركة" فأمسك بالتلفون وتحدث إلى الرئيس عبد الناصر معرباً عن تأييده، باسم تونس حكومة وشعباً، لموقف الجمهورية العربية المتحدة، " وأن الجيش التونسي على أتم الاستعداد لخوض المعركة إلى جانب الدول العربية الشقيقة ".

وسارت وحدات من الجيش التونسي في شوارع العاصمة، ليثبت الرئيس بورقيبة أنه جاد في خوض المعركة ... وابتهجت الجماهير ونثروا الزهور على الجنود وسط مظاهرات بالغة من السرور والحماسة، وتحركت الوحدة التونسية في اتجاه الحدود ...

وفي اليوم التاسع من شهر حزيران أصدر مجلس الأمن قراره بوقف إطلاق النار ... فعادت القوات التونسية من الحدود .. وأعلن الرئيس بورقيبة موافقته على وقف إطلاق النار، قبل أن يبدأ بإطلاق النار ...

كان هذا في الوطن التونسي، أما في الخارج، فقد كان الكلام التونسي مخالفاً لرغبات الشعب التونسي المجاهد ... فقد أعلن الحبيب بورقيبة الابن، وزير الخارجية التونسية في أمريكا، بعد اجتماعه مع دين راسك وزير الخارجية

الأمريكية، أنه " يعتذر عن التظاهرات التي قام بها الشعب في تونس وأن المشاغبين سيقدمون إلى المحكمة العسكرية ليلقوا جزاءهم....

وكان بريد المغرب مثل بريد تونس ... حذوك الرأس بالرأس!!

وجرى في المغرب ما جرى في تونس ... فما أن علم الشعب المغربي بأنباء المعركة حتى تنادى الشعب في المدن والقرى، إلى التظاهرات وسار آلاف المواطنين إلى دواوين الحكومة يطالبون بالتطوع والمساهمة في الحرب، وبدأت حركة المقاطعة للبضائع الأمريكية والبريطانية، وامتنع العمال عن تفريغ البواخر الأمريكية في ميناء الدار البيضاء، رغماً عن أنها كانت محملة بالقمح إلى المغرب .. إلى بطون الشعب ...

وفي غمرة هذا التحرك الشعبي، تحرك الملك الحسن الثاني وأمر بأن تتحرك القوات المغربية... فجمعها وخطب فيها قائلاً ... " كنا أعلنا رسمياً موقفنا بأننا مستعدون لأن نذهب ونحارب ونقاتل بجانب إخواننا العرب، وها هو هذا اليوم قد وصل، وها هي الساعة قد حانت، وها هي أفواج من قواتنا الملكية المسلحة ستتوجه اليوم إلى بلاد الشرق الأوسط لتقف بجانب شقيقاتها القوات المسلحة العربية".

ولم تكد القوات المغربية تتحرك إلى " الشرق الأوسط" حتى أصدر مجلس الأمن قراره بوقف إطلاق النار ... فعادت القوات المغربية إلى ثكناتها، وكفى الله المؤمنين القتال ..

وكان آخر ما بقي من البريد الجزائر ...

فإذا به يعوض عن تقاعس حكام العرب في تونس وليبيا والمغرب ليسجل صفحة مشرفة في تاريخ النضال العربي، وليثبت أن الثورة الجزائرية ما تزال منطلقة إلى تحقيق أهداف جديدة في الوطن العربي.

استيقظ الشعب الجزائري على إذاعته في صباح الخامس من حزيران، وهي تنقل أخبار الهجوم الإسرائيلي على مصر ... وكما فعلت الجماهير العربية في كل أقطارها، هبَّ الشعب الجزائري في مظاهرات صاخبة تنادي " ويلسون سفاح"، " جونسون سفاح" واقتحم المتظاهرون المراكز الثقافية الأمريكية والبريطانية، فحطموا الأبواب والنوافذ وفرقوا الأثاث والأوراق، ولم يكن يتمكن البوليس من السيطرة على الموقف إلا بصعوبة بالغة ...

ولم يخطب الرئيس الجزائري العقيد هواري بومدين، لا في اليوم الأول، ولا في اليوم الثاني من المعركة، وكل ما فعله أنه اتصل تلفونياً في الخامس من حزيران بالرئيس عبد الناصر، مؤكداً وقوف الجزائر حكومة وجيشاً وشعباً في المعركة ... وبدأ التنفيذ...

في اليوم الخامس كانت ثمانية وأربعون مقاتلة جزائرية من طراز ميج تشق طريقها في الأجواء العربية فوق تونس ... وليبيا والصحراء الغربية، ووصلت إلى مهابطها في الميدان، على أرض الجمهورية العربية المتحدة...

وفي اليوم السادس أوقفت الجزائر النفط عن الولايات المتحدة وبريطانيا، ووضعت جميع شركات النفط الأجنبية تحت إشراف الدولة ... ووجه راديو الجزائر مناشدة إلى ليبيا والسعودية أن تقطع النفط عن أمريكا وبريطانيا .. وأعلنت الحكومة الجزائرية عن افتتاح "صندوق الحرب " داعية الجزائر إلى التبرع...

وفي اليوم السابع أقلعت أسراب جوية جزائرية من طراز ميج 21 للاشتراك في المعركة .. وفرضت الحكومة الجزائرية حظراً فورياً على جميع الصادرات إلى الولايات المتحدة وبريطانيا .. واستمرت الجزائر في إرسال قواتها المسلحة الجوية والبرية إلى ميدان المعركة .. واشتركت فيها منذ وصولها إلى حين توقف إطلاق النار في الجبهات العربية .. وبقيت القوات الجزائرية مرابطة في الجبهة المصرية تنتظر استئناف القتال .. بعد أن توقف القتال ...

فرغت من البريد وأخباره، الحبيبة منها والبغيضة، يتنازعني عاملان متباينان .. عامل الإعجاب بهذه الأمة، وعامل النقمة على حكامها ...

لقد كان بريدي صورة مصغرة لما كان يدور في الوطن العربي من الخير والشر، من الإقدام والإحجام، من الجود والشح، من الإخلاص واللؤم، من السمو والدنو ... والمواطن العربي يعرف من أصحاب الفضائل، ومن الغارقون في الرذائل...

وتركت البريد جانباً ... وثار السؤال الذي يتجدد ويتجدد مع الأيام والأعوام .. سألت نفسي : ما هو سبب الهزيمة الكبرى التي حلت بنا ...

تعددت الإجابات في نفسي .. وتنوعت ... السياسي والعسكري والاجتماعي والاقتصادي.

ودخل في هذه الإجابات: الوضع الدولي، ومعه الأمريكي والموقف السوفيتي...

ولكني استبعدت أن تكون هذه الإجابات مجتمعة أو منفردة هي السبب الأول .. أبو الأسباب وأم الأسباب، عندي هو الكثرة العربية المشتتة، المبددة، المترهلة .. ورحت أحصي وأقارن ....

الأمة العربية أكثر من الشعب " الشعب الإسرائيلي" بخمسين مرة ...

الجيوش العربية أكثر من الجيش الإسرائيلي بسبع مرات ...

الطائرات العربية أكثر من الطائرات الإسرائيلية بخمس مرات ...

المصفحات والدبابات العربية أكثر من المصفحات والدبابات الإسرائيلية بست مرات ...

والصواريخ العربية أكثر من الصواريخ الإسرائيلية بعشر مرات ...

والقوات البحرية أكثر من الصواريخ الإسرائيلية بعشر مرات ...

البترول العربي أكثر من البترول الإسرائيلي بألف مرة ....

والحكام العرب أكثر من الحكام الإسرائيلي بثلاث عشرة مرة !!

ولا يحسبن المواطن العربي أن هذه الأرقام من باب المبالغة التي تصنعها آلام الهزيمة .. إنها أرقام صحيحة، فليرجع إليها من شاء في كتابات معهد الدراسات الاستراتيجية البريطانية، والمراجع العلمية الأخرى.

نحن كثرة مبددة مترهلة ، وإسرائيل قلة موحدة مكتنزة ....

إنها هذه الكثرة، التي نزهو بها ونعجب بها، وهي سبب الكارثة ... فالكارثة تكمن في كثرتنا الغارقة في نتن التجزئة وعفن الانفصال، ولو إن كثرتنا واحدة وجيوشنا واحدة، وقيادتنا واحدة ... لما وقعت الهزيمة الكبرى .. بل لجاء الفتح الأنور، والنصر المؤزر ...

لقد انتصرت إسرائيل لأنها دولة واحدة تحكم سبعين جنسا من الأمم....

ولقد انكسرنا لأننا ثلاث عشرة دولة تحكم أمة واحدة ...

وهكذا انتصر الواحد، لأنه واحد أحد .. وهكذا انهزم الثلاثة عشر ...

لقد أعجبتنا هذه " الكثرة " فلماء جاء يوم المعركة لم تنصـــرنا الكثرة، تماماً كما جرى في غزوة حُنين، في أيام الرسوم الكريم ...

وكان ذلك مصداقاً لقوله تعالى "ويوم حُنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين".

صدق الله العظيم

من موسكو..أسرار وأخبار

ما أن انتهت حرب الأيام الستة حتى بدأت حرب أخرى....

وكانت هذه الحرب على الاتحاد الســـوفيتي ... وكان ميدانها الوطن العربي على امتداده، والمحاربون فيها هم الجماهير العربية، الأميون والمثقفون ...

وفي الوقت الذي كان حكام العرب يدينون فيه أمريكا وبريطانيا لمساندتهما إسرائيل، كانت جموع الشعب تدين الاتحاد السوفيتي، تحمله جانباً كبيراً من المسؤولية في الهزيمة الكبرى التي حلت بالأمة العربية ...

وها أنا أستعرض تقارير مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية في الوطن العربي، وأستعرض كذلك التقارير " السرية " الأسبوعية التي كان يبعث بها السفراء العرب إلى عاصمة عربية لها صلات وثيقة بالاتحاد السوفيتي ...

بدأت الحملة على الاتحاد السوفيتي بالتساؤلات عن موقفه منذ أن بدأت الأزمة في أوائل شهر أيار، إلى أن وقعت الحرب في أوائل حزيران... وكانت التساؤلات ...

- لماذا لم يساعد الاتحاد السوفيتي الدولة العربية كما ساعدت بريطانيا وأمريكا إسرائيل؟..
- إذا كانت الأساطيل البريطانية والأمريكية في البحر الأبيض المتوسط قد ساندت إسرائيل ... فلماذا لم يفعل الأسطول السوفيتي مثل ذلك... لدعم القوات العربية ؟..
- لماذا أعلن الاتحاد السوفيتي تأييده لموقف مصر، في سحب قوات الطوارئ الدولية وإغلاق خليج العقبة، ولم يفعل شيئاً حينما وقعت الحرب؟..
- لماذا قام الاتحاد السوفيتي بالضغط على مصر، حتى إلى ليلة الخامس من حزيران، بأن تعمل على ضبط النفس وأن لا تكون البادئة بالعدوان؟..

هذه التساؤلات وغيرها كانت تدور على ألسنة الجماهير في البيوت والمقاهي، والنوادي، والشوارع، وحتى في الطائرة والقطار ... حينما يكون المواطن العربي على سفر، في نزهة، أو عمل...

ولم تكن هذه التساؤلات من باب التجني، فقد كان المواطن العربي طيلة هذا الشهر – آيار – وهو يتابع نشاط الاتحاد السوفيتي منذ بداية الأزمة، إلى نهاية الهزيمة...

كان المواطن العربي يستمع بابتهاج وتقدير إلى تصريحات قادة السوفيت، بتأييد الموقف العربي تأييداً مطلقاً، لا يحتمل أي تأويل أو ريب...

وكان المواطن العربي يستمع إلى ما تردده إذاعة القاهرة من أن الرئيس جمال عبد الناصر استقبل السفير السوفيتي في المساء، وفي الصباح ... ومرة كل يوم في ذروة الأزمة ... وبعد منتصف الليل في ذلك اليوم المشئوم المحموم!!

وكان المواطن العربي، كذلك، يتنفس أملا وعزما وهو يستمع إلى وكالات الأنباء تتحدث عن تنقلات الأسطول السوفيتي في البحر الأبيض المتوسط، وعبور السفن الحربية السوفيتية من البحر الأسود إلى مضيق الدردنيل، وأصبح عددها عشرين، ثلاثين، أربعين سفينة حربية، محملة بالطائرات، مزودة بالصواريخ ...

وجاءت الهزيمة الكبرى ومعها الخيبة الكبرى... فقد خاب أمل الأمة العربية بالاتحاد السوفيتي وتحولت التساؤلات إلى حملة كبرى على الاتحاد السوفيتي .. أقل بقليل من الحملة على " دول العدوان " أمريكا وبريطانيا وألمانيا الغربية .. ولكنها كانت حملة قاسية، على كل حال ...

بل إن عامة الناس كانوا لا يستغربون موقف " دول العدوان " فإن عداءها للأمة العربية معروف، ولكن العجيب أن يتخذ الاتحاد السوفيتي، وهو الصديق، موقفاً بارداً جامداً ... والصداقة دافئة متحركة ... وهكذا كان تعليل الجماهير...

وما من شك أن بعض الأجهزة العربية بعدائها " للروس " مثل السعودية، كانت تغذي الحملة ضد الاتحاد السوفيتي، ولكن الجماهير العربية في الدول " التقدمية" كانت تعبر عن استيائها من موقف الاتحاد السوفيتي، بكل صدق وبراءة ... ومن غير إثارة ولا دعاية ...

وتحولت حملة التنديد والاستياء، إلى تحرش بالروس وبالمؤسسات السوفيتية في عدد من الدول العربية ... فقد قامت مظاهرات تجاهر باستنكار موقف الاتحاد السوفيتي، وتعرض الرعايا السوفيت للإهانة، كما تعرض أجانب من رعايا دول أخرى، ظناً بأنهم من السوفييت ... وقضت سلطات الأمن الوطنية أياماً عصيبة في حماية السفارات السوفيتية ورعاياها ...

ولا أريد أن أسرد الوقائع والتواريخ فهي كثيرة .. ويكفي أن نعلم، أن دولة مثل موريتانيا، في أقصى جنوب المغرب الأقصى، قد شهدت عاصمتها، نواكشوط مظاهرة ضخمة غاضبة كانت تحاول اقتحام السفارة السوفيتية، والمتظاهرون يهتفون بسقوط روسيا، وهم يحملون اللافتات الوطنية، وصوراً كبيرة للرئيس عبد الناصر ... (1967/6/11).

ولقد كانت هذه المشاعر طبيعية في الوطن العربي ... بل إنها كانت عفوية انطلقت من غر تحريض ولا إثاره ... وكانت الهزيمة بكل مقدماتها ونتائجها هي الحافز الأول والأخير...

وإذا كانت هذه العفوية محتاجة إلى دليل، فإننا نستطيع أن نجده في السيل المتدفق من النكات " والقفشات " التي انطلقت على أفواه المصريين وقد عبروا عن أوجاعهم بضحكاتهم .. وما زالت الأحياء الشعبية تردد هذه القفشات إلى يومنا هذا !!

ومما غذى هذه الحملة أن الدوائر الاستعمارية كانت تغمرها موجة من الفرح الأكبر تمجيداً لانتصار إسرائيل " الأسطوري " ... فقد اعتبرته نصراً لها وهزيمة للاتحاد السوفيتي، حتى أن مراسل جريدة " كرينتش سيانس مونيتر " في واشنطون قال في رسالة مطولة عن حرب الأيام الستة: " إن الرئيس جونسون قد خرج الرابح السياسي من أزمة الشرق الأوسط، فقد حيل دون انتشار الحرب، ولم تقع مجابهة بين الدول النووية وانتصرت إسرائيل ربيبة أمريكا انتصاراً رائعاً، وأصيب الاتحاد السوفيتي بالذل والهوان.." (1967/6/10).

وكان على الدول العربية، مصر وسوريا والعراق بوجه خاص، أن تزحزح هذا الكابوس عن صدر الاتحاد السوفيتي، فبدأت الصحف العربية تشيد بالاتحاد السوفيتي، وتشرح مواقفه السابقة، وتشد أنظار الجماهير العربية إلى المجهود الكبير الذي سيقدمه الاتحاد السوفيتي على الصعيدين العسكري والسياسي ...

وعاد استنكار الجماهير لموقف السوفييت إلى حدته بعد أن كشفت وكالات الأنباء أن اتصالا مباشراً على الخط الساخن، بين البيت الأبيض والكرملين، قد تم بين الرئيس جونسون وقادة الاتحاد السوفيتي بعد ساعات قلائل من نشوب القتال في الشرق الأوسط، وأن الجانبين قد اتفقا على حصر النزاع في أضيق نطاق ممكن .. ثم ما أعلنته وكالات الأنباء بعد ثلاثة أيام أن

الاتصال المباشر للمرة الثانية قد تم بعد وقف إطلاق النار الذي أصدره مجلس الأمن في التاسع من حزيران.

وعادت المظاهرات من جديد في عدة أقطار عربية، وكان أشدها في الجزائر حيث قامت مسيرات شعبية تستنكر موقف الاتحاد السوفيتي، مما دعا الحكومة الجزائرية إلى اتخاذ احتياطات أمن مشددة لحماية السفارة الروسية، ولم يجد الرئيس الجزائري العقيد هواري بومدين مندوحة عن إصدار بيان أذيع في الراديو والتلفزيون دعا فيه الدول الشيوعية إلى " اتخاذ موقف حاسم، والى تحمل مسئولياتها أمام العالم العربي " (1967/6/10).

ولم يكن للدول العربية خيار آخر ... لم يكن لها بدٌّ في صداقة الاتحاد السوفيتي ... فقد نزلت بالأمة العربية هزيمة كبرى، وإن كانت قد سميت " بالنكسة "، وألحقت خسائر فادحة بالجيشين المصري والسوري، في السلاح، والمعدات، والرجال ... وخسارة الطيارين لا تقل خطرا عن خسارة الطائرات ...

كذلك لم يكن أمام الاتحاد السوفيتي، دولياً وعربياً، وحتى أمام الشعب السوفيتي، إلا أن يلتزم بإعادة بناء الجيشين المصري والسوري، واستئناف تقديم العون الاقتصادي والسياسي للقاهرة ودمشق ...

وأخذت الصحف العربية، وجريدة الأهرام بصورة خاصة، تنشر بالعناوين المختلفة الألوان عن حركة النقل الجوية والبحرية التي تحمل مختلف الأسلحة إلى مصر وسوريا ... وتوحي بين السطور أن المعركة مقبلة، مقبلة .. بضعة أسابيع، أو بضعة أشهر على الأكثر .. وأن الفضل في ذلك يرجع إلى الاتحاد السوفيتي ...

وأذاع الدكتور نور الدين الاتاسي رئيس الدولة السورية بياناً تناول فيه ظروف حرب الأيام الستة، وأثنى على موقف الاتحاد السوفيتي خلال المعركة مع إسرائيل (1967/5/13).

وخرجت من موسكو الصيحة دفاعاً عن موسكو، ولكن بتوجيه الاتهام إلى الجهات العربية، فقد كتب الصحفيان السوفيتيان : بيلاييف وبرياكوف .. " أن أهم أسباب نكسة مصر العسكرية ترجع إلى أن القوات المصرية فيها عدد كبير من طراز رجال الأعمال .. وأن القوة الجوية هي معقل الطبقة الأرستقراطية ... وأن الطيران المصري هو السلاح المحبب لأبناء العائلات الغنية ... " (1967/6/30).

ومع هذا فقد ظلت أصوات كثيرة في الوطن العرب تبدي استياءها لموقف الاتحاد السوفيتي ... ومن ذلك أن أحد أعضاء الجمعية التأسيسية في السودان طالب بقطع العلاقات مع الاتحاد السوفيتي معلناً " أن موقف موسكو أثناء الحرب بين العرب وإسرائيل ليس أقل خطراً بنتائجه من موقف بريطانيا وأمريكا " (1967/6/13).

ولكن ما هو أهم من التنديد، أن الأمة العربية قد هالها أن تهزم على تلك الصورة المروعة في حرب خاطفة صاعقة، وهبت الجماهير تطالب باستئناف القتال ... ولكن ...

ولكن، أنَّى للدول العربية أن تستأنف القتال وقد تحطم أكبر جيوشها، الجيش المصري، في سيناء وفقد معظم معداته، مضافاً إلى عشرين ألف شهيد، مائتان وخمسون منهم سقطوا أثناء القتال، والباقون أثناء الانسحاب .. وهذه

شـريعة الحرب : المقاتلون أكثر حظاً في الحياة ... والمنسـحبون أكثر تعرضـاً للموت ...

وكان لا بد أن تُقرع أبواب موســكو، وتم اتصــال تلفوني بين القاهرة والجزائر، ســافر على أثره وبصــورة مفاجئة، الرئيس الجزائري هواري بومدين للاجتماع بالزعماء الســوفييت، لمطالبتهم بتقديم معاونات عســكرية عاجلة إلى مصر وسوريا .(1967/6/11).

ووصــل الرئيس بومدين إلى موســكو في زيارة قصــيرة امتدت نهارين وليلة، ثم عاد إلى الجزائر ... وجاء وزير خارجيته الســيد عبد العزيز بوتفليقه إلى القـاهرة ليطلع الرئيس عبد النـاصــر على مـا دار بين الرئيس الجزائري والزعماء السوفييت (1967/6/14).

وحدثني الوزير الجزائري، وأنا أزوره في السفارة الجزائرية في القاهرة، أن الرئيس بومدين قد كاشـف القادة السـوفييت بمشـاعر الاسـتياء التي تعم الوطن العربي إزاء موسكو ... وأن مصلحة الصداقة العربية الروسية تفرض أن تكون موسكو أكثر تصلباً في تأييدها للدول العربية ... وأن القادة السوفييت قد التزموا بصـورة قاطعة بأن يقدموا لمصـر وسـوريا جميع الأسـلحة المطلوبة لإعادة بناء جيشيهما، وللعمل بصورة حازمة على إزالة آثار العدوان ... وكان على المستقبل وحده أن يكشف صدق هذا الالتزام ... وهذا الكلام !!

والواقع أن الاتحاد السوفيتي قد أدرك آثار الهزيمة العربية على المصالح السـوفيتية في الشـرق الأوسـط ... وأدرك معها منذ البداية أنه يتحمل جانباً من المسئولية، في هذه الهزيمة ...

ففي الثامن من شـــهر حزيران، حين كانت القوات الإســرائيلية تخترق الجبهة السـورية، عقد اجتماع قمة سـري في موسـكو اشـتركت فيه ثماني دول شـــيوعية في أوروبا الشـــرقية ومنهم يوغوســـلافيا، وقد تقرر في هذا الاجتماع تعويض مصر وسوريا عن خسائرهما في الطيران بطائرات ميج من نوع جديد، ترسـل عن طريق يوغوسـلافيا .. وهذا ما نقله إليَّ السـفير السـوفيتي في القاهرة ...

ولكن ما هو أهم من ذلك، كما جاء في تقرير أحد الســـفراء العرب في موسـكو، " أن المارشـال جريشـكو وزير الدفاع السـوفيتي ذكر في الاجتماع أن سلفه، المارشال ماينوفسكي الذي توفي في شهر آذار كا متأثراً بتقارير مغلوطة عن ميزان القوى في الشرق الأوسط بين إسرائيل والعرب، وأن ذلك حمله على تحديد نوع معين وعدد معين من الطائرات التي وافق على إرســـالها إلى الدول العربية ... وأن ذلك كان من أســـباب الهزيمة العربية ...". ويضـــيف التقرير العربي أن هذا الكلام قد يكون من " باب إلقاء التبعة على الموتى في ســـبيل الدفاع عن الأحياء ...".

وكـان من الأحـداث التي أحزنـت المواطن العربي في ذلـك اليوم (9 حزيران) أن الاتحاد السـوفيتي قد قرر قطع علاقاته الدبلوماسـية مع إسـرائيل، فقد أذاعت وكالة تاس أن وزارة الخارجية السـوفيتية سـلمت إلى سـفير إسـرائيل مذكرة تقول فيها : " إن القوات الإســـرائيلية تجاهلت قرار مجلس الأمن ولا تزال تسـتولي على الأراضـي السـورية وتواصـل تقدمها باتجاه دمشـق .. وإن الاتحاد السـوفيتي سـيتخذ بالاشـتراك مع الدول الأخرى المحبة للسـلام عقوبات ضـد إسرائيل .. وإن الحكومة السوفيتية تعلن أنه بالنظر إلى استمرار عدوان إسرائيل

على البلدان العربية ... فإنها اتخذت قراراً بقطع العلاقات الدبلوماسية بإسرائيل.." وتبعت في هذا القرار دول أوروبا الشرقية...

لقد كان هذا الحدث محزنا ... لقد بدا فيه تماماً أن إسرائيل قد وصلت مرتبة دولة تستحق فيها أن يقاطعها الاتحاد السوفيتي ومعه دول أوروبا الشرقية ... وكان محزناً حقاً لأن الاتحاد السوفيتي لم يعد كما كان في عهد خروشوف أيام العدوان الثلاثي على مصر، قادراً أو راغباً في التهديد والوعيد، لحمل أمريكا، لتحمل بالتالي إسرائيل بالجلاء عن الأراضي المصرية ...

ولكن قطع العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل لم يثر اهتمام الرأي العام العربي ... وكان على الاتحاد السوفيتي أن يتخذ خطوة ما تصون ماء وجهه أمام الأمة العربية، بل أمام شعوب الاتحاد السوفيتي بذاتها...

وما عسى أن تكون هذه الخطوة .. الحرب ... وهذه مستبعدة لسببين لأن الاتحاد السوفيتي لا يرغب فيها .. ولأن الدول العربية غير قادرة عليها، ولا مستعدة لها، وقد خرجت بالأمس مكسرة محطمة ... وهكذا كان تعليل الاتحاد السوفيتي .. وهكذا كان موقفه**!!**

ولم يبق أمام الاتحاد السوفيتي إلا الأمم المتحدة فهي الملهاة الدولية الكبرى التي تشغل الرأي العام ... وبعث السيد أندريه جروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفيتي رسالة إلى السيد يوثانت الأمين العام للأمم المتحدة يقترح فيها " عقد جلسة طارئة للجمعية العامة للأمم المتحدة لبحث الوضع في الشرق الأوسط ... ولأن إسرائيل تتحدى بصورة فاضحة قرارات مجلس الأمن بوقف إطلاق النار .. واستولت على مناطق أخرى من أراضي الجمهورية العربية المتحدة والأردن وسوريا ... وإن الحكومة السوفيتية ترى من الضروري أن تنظر

الجمعية العامة في الوضـع الذي نشـأ، وإن توافق على قرار يؤدي إلى تصـفية نتائج العدوان، وأن تنسـحب القوات الإسـرائيلية إلى ما وراء خطوط الهدنة " (1967/6/12)

وأراد الوزير السـوفيتي أن يعطي طابعاً خاصـاً للاجتماع الطارئ الذي يقترحه فذكر في ختام رسـالته " أن الوفد السـوفيتي إلى الجمعية العامة يضـم كبار رجال الدولة في الاتحاد السـوفيتي .." وكانت هذه الإشـارة أن الرئيس كوسيجين سيرأس الوفد السوفيتي ...

وواضـح أن هذا الطلب لم يكن أكثر من تظاهرة سـياسـية، حتى ولو أقترن بالنجاح بالنهاية،فقد فشـل الاتحاد السـوفيتي قبل ذلك بأسـبوع واحد وهو يبذل قصارى جهده في مجلس الأمن لاستصدار قرار يدعو القوات الإسرائيلية للعودة إلى خطوط الهدنة ...

وكان ذلك الفشـل، من غير شـك، يرجع إلى صـلابة أمريكا في تأييد إسـرائيل، ورخاوة الاتحاد السـوفيتي في تأييد العرب... ذلك أن القيادة الثلاثية الجديدة في الاتحاد السوفيتي – بودجورني، بريجنيف، كوسيجين – قد اختطت لنفسها سياسة جديدة مع الولايات المتحدة تقوم على أساس الملاينة، بدلاً من سياسة المخاشنة التي كان يتبعها الرئيس نيكيتا خروشوف، حين كان على رأس الحكم...

وكان من سوء حظ القضـية الفلسطينية أن خروشـوف كان غائباً عن مسـرح السـياسـة السـوفيتية في حرب حزيران ... وعادت إلى ذاكرة الجماهير العربية تهديداته المرعبة أثناء العدوان الثلاثي على مصر عام 1956 حين أنذر

بأن الصواريخ الروسية ستقصف شوارع لندن، إذا لم تنسحب الدول المعتدية عن الأراضي المصرية...

وأبرق يوثانت بالاقتراح السوفيتي بعقد الدورة الطارئة إلى الدول الأعضاء ... فلم يعارض الاقتراح إلا الولايات المتحدة وإسرائيل.

وتقرر أن يكون موعد الدورة الطارئة في اليوم السابع عشر من حزيران ... وكان هذا اليوم بالذات هو موعد اجتماع عربي لوزراء الخارجية في الكويت للبحث في العدوان الإسرائيلي، والخطة التي يجب اتباعها " لإزالة آثار العدوان..." وهو الشعار الجديد للأمة العربية بعد الهزيمة...

ولست أريد أن أقف طويلاً أمام هذا الاجتماع العربي، فقد تحدثت عنه في كتابي " حوار وأسرار مع الملوك والرؤساء"، ووزراء خارجية الدول العربية لم يعطوا لذلك الاجتماع أكثر من نصف يوم ونصف ليلة، هرولوا بعدها إلى الأمم المتحدة ... ليشتركوا في الدورة الطارئة ...

وكان اجتماع وزراء الخارجية أول لقاء عربي بعد الكارثة، وقد ساده جو الهزيمة بدلاً عن العزيمة ... وكان شعار هذا الاجتماع " السياسة الإيجابية ".

وكان المنجي سليم رئيساً لوفد التونسي هو قطب السياسة الإيجابية، وتتلخص فلسفته هذه كما شرحها في الاجتماع، بأن على الدول العربية أن تتجنب الحديث عن تحرير فلسطين والتصدي لإسرائيل ... وأن تخاطب العالم الدولي بمنطق التسوية السلمية، ومبادئ التعايش السلمي .. وكان يعاونه في هذا الاتجاه مندوبو المغرب والسعودية والأردن وليبيا* ...

---

* قبل ثورة العقيد معمر القذافي.

وكان المنجي، وهو يشرح أسلوبه في معالجة القضية الفلسطينية ينظر إليّ كمن يستدرجني إلى المبارزة ... ويرمي قفازه في وجهي.

ولم أتخلف عن التحدي فاستأذنت بالكلام وقلت :

- لقد افتتحت الدورة الطارئة للجمعية العمومية للأمم المتحدة في هذا اليوم فماذا تأمل منها .. هل تشرح لنا بالتحديد؟.

قال : القضية واضحة وبسيطة ... ونحن في هذه المرحلة لا نبحث قضية فلسطين ... نحصر الأمر في العدوان الإسرائيلي على أراضي ثلاث دول عربية هي أعضاء في الأمم المتحدة .. لقد وقع عليها عدوان واحتلت أراضيها ... نطالب الأمم المتحدة بإزالة العدوان ... والميثاق صريح في هذا الموضوع ... وأخذ المنجي سليم يقلب أوراق ميثاق الأمم المتحدة، وهو يقرأ هذه المادة، وتلك الفقرة ...

قلت : هل تظن أن الأمر بهذه البساطة ...أنت تعالج القضية كما لو كنت تترافع أمام إحدى المحاكم في تونس، وتطالب المعتدي بإخلاء أرض جاره التي اعتدى عليها ... كلنا نعرف الأمم المتحدة جيداً ... ولا أتوقع لهذا الاجتماع الطارئ أي نجاح ... وإذا صدر أي قرار لصالحنا فلن تذعن إسرائيل ... ومع هذا فقد أصدر مجلس الأمن أول من أمس (14 حزيران) قراراً رقمه 67/237..(وأخذت أقرأ من أوراقي)، يدعو " حكومة إسرائيل إلى تأمين سلامة وخير وأمن سكان المناطق التي كانت مسرحاً للعلميات الحربية، وتسهيل عودة السكان الذين هربوا من هذه المناطق منذ نشوب العمليات الحربية..." . واستأنفت حديثي قائلاً : ونستطيع أن نضم هذا القرار إلى عشرين قراراً سابقاً صدرت عن الأمم المتحدة بعودة اللاجئين، ولم يعد لاجئ واحد ...

قال : وماذا تقترح إذن ؟.

قلت : مع احترامي الشـديد لاجتماع وزراء الخارجية العرب ... فإني ألاحظ أن حقائبكم جاهزة للسـفر إلى نيويورك لحضـور الاجتماع الطارئ ... قد جئتم إلى الكويت لتكون " محطة ترانزيت " لتسـافروا منها إلى الأمم المتحدة ... لقد أصبحت عقولكم في نيويورك ... ويجب أن تبقى عقولنا في الوطن ...

وأراد السيد محمد أحمد محجوب رئيس وزراء السودان أن يحسم هذا الحوار فقال : وما هو اقتراحك بالتحديد ...

قلت : اقتراحي أن يسـتمر اجتماعنا هذا أسـبوعا واحداً ندرس فيه خطة شاملة للتصدي للعدوان الإسرائيلي ... ثم تذهبون بعدها إلى الأمم المتحدة حتى تخطبوا من مركز القوة ... ولكنكم ذاهبون الآن من غير خطـة سـوى إلقاء الخطب في الأمم المتحدة ...

فأجاب الرئيس السـوداني : والله، هذا الكلام صـحيح ... ولكن يظهر أن الوزراء أصبحوا عازمين على السفر..

وتدخل السيد عبد الخالق حسونة وقال : يمكن أن تسـتأنف اجتماعنا في نيويورك ...

وقال وزيرا المغرب وليبيا ... اجتماع الأمم المتحدة مهم جداً... وقد ذكرت الأنباء أن الرئيس الكسي كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي قد وصل إلى نيويورك للاشتراك في مناقشات الدورة الطارئة على رأس وفد كبير يضم خمسين عضواً ...

وأقفل باب المناقشـة ... وانتهى اجتماع وزراء الخارجية العرب دون أن يناقشوا الموضوع الذي اجتمعوا من أجله، وهو البحث في إزالة آثار العدوان ...

وســارعوا إلى الســفر إلى نيويورك ليتعاقب المهزومون على منبر الأمم المتحدة وألسنتهم داوية، ورؤوسهم عالية !!

وكـان من آيـات " هرولتهم " أن الطـائرة التي كـانـت تقل وزراء الخـارجيـة العرب أجبرت على الهبوط في أحد مطـارات تركيـة لأنهـا لم تبلغ الســـلطـات التركية مســبقاً بأنها ســتحلق بالأجواء التركية، وطلب قائد الطائرة الســماح له بالإقلاع فكان ذلك ... وكذلك يكون حال المغلوب على الأرض وفي الجو!!

وانعقـدت الـدورة الطـارئـة في موعـدهـا المحـدد (1967/6/17) وازدحمـت قـاعـات الأمم المتحـدة برؤســـاء الوفود، وكـان بينهم عدد كبير من رؤســـاء الحكومات ووزراء الخارجية ... وكذلك وصل وزراء الخارجية العرب، لا تجمعهم إلا الطائرة الواحدة إياها ...

وكان السيد اليكسـي كوسيجين على رأس الوفد السـوفيتي، كما كان الدكتور نور الدين الاتاســي رئيس الدولة الســوري على رأس الوفد الســوري ... والملك حسـين على رأس الوفد الأردني، فقد وصـلا إلى نيويورك ليعرضـا القضـية باسـم الأمة العربية وقد التقيا لأول مرة تحت قبة الأمم المتحدة!!

ولم تكد الجمعية العامة تفرغ من إجراءاتها التمهيدية لعقد دورتها الطارئة، حتى أطلقت إسـرائيل " قنبلتها السـياسـية " قبل أن يخطب أي رئيس أو وزير أو سـفير ... فقد أعلن الوزير الإسـرائيلي ابا ابيان من تل ابيب، وهو يركب الطائرة إلى نيويورك، لمراسـل جريدة جروسـالم الإسـرائيلية : " أن إسـرائيل لن تعود إلى خطوط الهدنة القديمة حتى لو صوتت الجمعية العامة ضد إسرائيل بمائة وأحد وعشـــرين صـــوتاً ... وأن الدول الكبرى قد أخطرت بهذا الموقف ".. (1967/6/17).

ولم يكن هذا الموقف الإسرائيلي بعيداً عن الموقف الدولي ... ذلك أن الأمم المتحدة إنما هو ملهى نهاري للدول الأعضاء، ويُسمح فيه للسياح أن يتفرجوا عند إلقاء الخطب ... ولكن الدول العربية وحدها هي التي لا تدرك هذه الحقيقة إدراكاً جاداً ومسئولاً !!

وتحت هذا الإنذار الإسرائيلي بدأت الأمم المتحدة مناقشتها ... وكان الرئيس السوفيتي أول المتحدثين، فقرأ خطاباً استغرق إلقاؤه قرابة ساعة، فاتهم إسرائيل بالعدوان، " وأن القوات الإسرائيلية لا تزال تواصل احتلالها للأراضي العربية ... وأنه إذا لم تتخذ إجراءات عاجلة لإزالة آثار العدوان فإن الحرب قد تتجدد في أية لحظة ... وأن إسرائيل هي المسئولة وحدها عن الصراع الأخير، وطالب بسحب القوات الإسرائيلية فوراً ، والتعويض عن الأضرار التي لحقت بمصر وسوريا والأردن، وإعادة جميع الممتلكات والموجودات التي استولت عليها ... ثم اتهم كوسيجين الولايات المتحدة وبريطانيا بتشجيع إسرائيل على العدوان ... وأن أي محاولة لتثبيت العدوان سيكون مصيرها الفشل، وسترتد هذه المحاولات ضد إسرائيل وشعبها على المدى الطويل ... وإن الاتحاد السوفيتي لا يمكن أن يعترف بالاحتلال الإسرائيلي...".

وما أن فرغ الرئيس السوفيتي من خطابه حتى تصدى له الوزير الإسرائيلي ابا ايبان، فهاجم الاتحاد السوفيتي وأعلن أن العودة بالأمور إلى ما كانت عليه قبل الخامس من حزيران، غير مقبولة بالمرة...

وتبعه " التابعان " المندوب الأمريكي اليهودي، جويد برج، والمندوب البريطاني، فأنكرا الاتهام الذي وجهه كوسيجين إلى حكومتيهما ....

ولم يحضر الرئيس جونسون مناقشات الأمم المتحدة، ولكنه اختار، في اليوم نفسه الذي خطب فيه كوسيجين، أن يتحدث في واشنطن داعياً العرب وإسرائيل إلى معالجة مشكلة الشرق الوسط " بتعقل وإيجاد سلام مستقر، وأكد أن العودة إلى الوضع الذي كان سائداً في الرابع من حزيران لا يشكل علاجاً للسلام وإنما يشـــكل دافعاً جديداً لتجدد القتال .. وأن أطراف النزاع يجب أن يتوصـــلوا إلى تسوية المشكلة بأنفسهم ... " ... كلام إسرائيل الحرف بالحرف!!

وهكذا فقد كان كلام جونسـون رداً حاسـماً على خطاب اليكسـي كوسـيجين ومن غير منبر الأمم المتحدة، كما أنه تأييد كامل لإسـرائيل، ومن كان له اذنان في الأمم المتحدة، فليسمع، وليشرب من البحر حتى يشبع !!

ودارت المحادثات وراء الكواليس بين الوزير الســـوفيتي وغروميكو الوزير الأمريكي راسـك ... وتم الاتفاق إن يجتمع الرئيسـان الأمريكي والروسـي لتبادل الرأي ...

وتسـاءل مسئول عربي كبير عن هذا الاجتماع المقترح في تقريره الذي بعثه إلى عاصمة عربية صديقة للاتحاد السوفيتي ... ".

" ولمَ لا ... فقد كان خطاب كوســـيجين في غاية الاعتدال والاتزان، ثم ألم ينجح في الضـغط على الرئيس عبد الناصـر بأن لا يكون البادئ بالعدوان .. أو لمْ يسـاهم في حصـر النزاع العربي الإسرائيلي في نطاقه المحلي .. كما يقضـي الوفاق الأمريكي السوفيتي ...".

وتم اللقاء بين الرئيسـين الأمريكي والسـوفيتي في " جلاسـبورو"، ولم يرشـح الكثير إلى الصـحف عن هذا اللقاء سـوى ما صـرح به جورج كريسـتيان الناطق الصـــحفي بلســـان البيت الأبيض من " أن الطرفين متفقان على أن إســـرائيل

موجودة كدولة، ويجب أن تبقى، وأن الرئيسين تبادلا وجهات النظر حول النزاع العربي الإسرائيلي .. ".(1967/6/24).

ثم جاء اللقاء الثاني والأخير بين الرئيسين الأمريكي والسوفيتي وكل ما قالته الصحف الأمريكية إنهما تباحثا بشأن الشرق الأوسط ومشكلة الفيتنام والمعاهدة المقترحة لحظر انتشار الأسلحة النووية .. وأنه لا يتوقع أن تحرز المحادثات أي نجاح بصدد الشرق الأوسط .(1967/6/25).

وعقد الرئيس السوفيتي كوسيجين مؤتمراً صحفياً في مقر الأمم المتحدة، ردد فيه فحوى خطابه الذي ألقاه في الأمم المتحدة بشأن انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي العربية المحتلة .. " وأن محادثاته مع الرئيس الأمريكي جونسون لن تؤثر على علاقات الاتحاد السوفيتي الطيبة مع الدول العربية ... ". وكما جاء في تقرير المسئول العربي الكبير إلى حكومته فإن البيانات التي أدلى بها الرئيس كوسيجين في مؤتمره الصحفي " كانت فاترة كالخطاب الذي ألقاه على الجمعية العامة، كما أنه لم يثر اهتمام الصحافة العالمية، وقد عاد الرئيس السوفيتي إلى موسكو كما جاء دون أن يشعر أحد في الأمم المتحدة أنهم في دورة طارئة ...".

وقد اجتمع الرئيس كوسيجين أثناء وجوده في نيويورك بعدد من رؤساء الوفود العربية، فقد التقى بالرئيس السوري الدكتور نور الدين الاتاسي، وبالدكتور محمود فوزي مساعد رئيس الجمهورية العربية المتحدة، وبرئيس وزراء السودان السيد محمد أحمد محجوب، وتحدث إليهم طويلاً عن موقف الاتحاد السوفيتي وعن اتصالاته بالرئيس جونسون.

ووصل تقرير آخر من المسئول العربي الكبير إلى حكومته، يقول فيه " ... اجتمعت بالرئيس السوفيتي السيد اليكسي كوسيجين مرتين قبل محادثاته مع الرئيس جونسون وبعدها، ولا يخرج ما قاله لي عما قاله في خطابه في الأمم لمتحدة ... ولا عما نعرفه عن موقف الولايات المتحدة ... لقد أكد موقف التأييد لنا، كما أكد أن الولايات المتحدة تصر على المفاوضات المباشرة بيننا وبين إسرائيل، والوصول إلى تسوية سلمية تنتهي بمعاهدة سلام .. أما خطاب الرئيس كوسيجين فقد كان عادياً ولم يترك أثراً قوياً في نفوس الأعضاء، وكانوا يتوقعون من الاتحاد السوفيتي وهو الذي اقترح انعقاد الدورة الطارئة موقفاً أكثر صلابة ... ولقد سألت الرئيس كوسيجين عن انطباعاته العامة فقال: " يجب أن نستمر بالضغط الدولي على الولايات المتحدة، وأنه ليس أمامنا في الوقت الحاضر إلا الأمم المتحدة ومجلس الأمن، وأن المفاوضات مع إسرائيل بشكل أو آخر للوصول إلى تسوية سلمية متفق عليها، أمر لا مفر منه إن لم يكن اليوم فغدا .. وأن أحدا لا يمكن أن يجازف في حرب نووية من أجل مشكلة الشرق الأوسط ... وأنتم تعلمون أن هذا هو موقفنا في فيتنام، نؤيدها ولكن مع تجنب الاصطدام العالمي ... ". هذا هو موقف الأصدقاء، أما موقف الأعداء فهو معروف لا يحتاج إلى إيضاح، والرئيس جونسون لا يخفي شيئاً من سياسته فهو يتحدث بصراحة في خطبه ومؤتمراته الصحفية .. ولم يبق لنا، بعد الله، إلا الاعتماد على النفس والعمل العربي الموحد ...".

ولقد جاء هذا التقرير إلى العاصمة العربية ليؤكد من جديد الصورة التي كنت أتخيلها عما يجري في الأمم المتحدة في هذه الدورة الطارئة، فقد عشت

فيها ســـنين طويلة من عمري، وما أطيب الأمم المتحدة للذين يريدون الترفيه لبضعة أسابيع في العام!!

وكذلك فإن خطاب الرئيس كوسـيجين لم يعجب عناصــر قيادية في الحزب الشـيوعي السـوفيتي، فقد كشـف تقرير أرسـله سـفير عربي إلى حكومته، وهو معروف بعلاقته الوثيقة بالأوسـاط السـوفيتية، يقول: " لقد أصـدرنا بيانا باسـم جميع البعثات العربية في موسـكو نشـكر فيه الاتحاد السـوفيتي على تأييده لقضـيتنا، وقد أعربت دوائر وزارة الخارجية السـوفيتية عن شـكرها لنا، ولكنها كانت تريد بياناً أقوى، ويظهر أن التململ يسـود أوسـاط الحزب الشـيوعي، وعسـكريين وسـياسـيين، بسـبب النكسـة ... وحينما عاد الرئيس كوسـيجين من نيويورك قدم تقرياً عن مباحثاته مع الرئيس لندن جونسـون، وعلمت أنه جرت مناقشـة حادة حول هذا التقرير، فقد انتقد عدد من الأعضـاء ضـعف القيادة في معالجة الموقف السـياسـي وكنت ذكرت لكم في تقريري السـابق أن هذه الحملة بدأت منذ مدة، وأن القائمين بها وهم الذين أصـبحوا يعرفون همسـاً بصـقور الحرب، يريدون أن يكون الاتحاد السـوفييتي أشـد تأييدا للعرب ... وكان من نتائج هذا الخلاف أن السـيد نيقولاي بجورتشـيف أمين لجنة الحزب الشيوعي في موسكو قد أقصـي عن منصبه، ولا نستبعد إقصـاء غيره من الذين يحملون مثل أفكاره ...".

وجاءتني التقارير من مكتب منظمة التحرير الفلسـطينية في مناقشـات الأمم المتحدة، ومعها محاضـر الجلسـات التي تتضـمن خطب الوفود ومشـروعات القرارات. وخطب رؤسـاء الوفود شـارحين موقفهم من مشـكلة الشـرق الأوسـط والنزاع العربي الإسـرائيلي، وقرأت ما كنت ألفت سـماعه من التغني بالمبادئ،

ونصــوص ميثاق الأمم المتحدة، واحترام الســيادة، واســتنكار العدوان، والحفاظ على كرامة المنظمة العالمية وهيبتها، وغير ذلك من الصــياغات والعبارات التي يكررها الوفود في كل قضية دولية، بالحق والباطل على السواء...

ولقد انبرت دول صـــديقة للدفاع عن الموقف العربي، منها دول إســـلامية، وآسيوية إفريقية وأوروبية، ولكن سلطان الولايات المتحدة وأنصارها واتباعها كان على الدوام إلى جانب إسرائيل من غير خفاء ...

ومما ساعد على ذلك إن الوزير الإسرائيلي إيبان كان لا يفتر عن مهاجمة الاتحاد الســوفيتي حتى يبدو أمام الرأي العام أنه جدير بعطف " العالم الحر " فهو الذي يتصدى " للشيوعية " في الشرق الأوسط ... وهو " هدف " الاتحاد الســـوفيتي في المنطقة ... وما هو أهم من ذلك فإنه هو الذي انتصـــر على الاتحاد السوفيتي ... وهو وحده الذي يستطيع أن يحمي مصالح " العالم الحر " في الشرق الأوسط ... وهو وحده يستطيع أن " يؤدب " أي حاكم عربي يرفع رأسه !!

وقد وقعت مســرحيات دولية لتؤكد هذه المعاني في أذهان الرأي العام، منها : أنه عندما بدأ الوزير الإســرائيلي ايبان يلقي خطابه الرئيســي انســحب وزير الخارجية الســـوفيتي اندريه جروميكو ومعه مندوبو دول أوروبا الشـــرقية... (1967/6/20).

وكان الرئيس الاتاســـي أول المتكلمين العرب، وبعد أن شـــرح العدوان الإســرائيلي قال : " يجب على الأمم المتحدة أن لا تلقي بالا لنداءات الســلام التي تتســم بطابع النفاق والتي أصـــبحت جزءاً لا يتجزأ من طابع الروتين الإســـرائيلي ... إن الأمة العربية دفعت ثمن احترامها للرأي العام العالمي من

دماء أبنائها ودمار مدنها وقراها واستيلاء المعتدين على جزء من الوطن العربي ... إن إسرائيل لم تكن قد احتلت أي نقطة من الأراضي السورية عندما قبلت سوريا قرار وقف إطلاق النار .. إن الغزو الإسرائيلي اقترن بمناورات معتمدة قام بها المندوبان الأمريكي والبريطاني في مجلس الأمن لتأخير أعماله بحيث يفسح المجال لإسرائيل لاحتلال أراض سورية .. وإن غاية الاستعمار والصهيونية إبادة العرب .. إن الكفاح العربي جزء لا يتجزأ من كفاح العالم الثالث ضد الإمبريالية والاستعمار ...".(1967/6/20).

وتكلم الدكتور فوزي رئيس وفد الجمهورية العربية المتحدة فقال : إن المعالجة الأمريكية للموقف غير نزيهة وغير عادلة ،وغير مقبولة .. إن الأساطيل الأمريكية والبريطانية وقفت إلى جانب إسرائيل .. إن إسرائيل قامت بالعدوان حينما كان مجلس الأمن يبحث الأمر وبينما كان مسئولون مصريون سيصلون إلى واشنطن ... إن إسرائيل ارتكبت فظائع لا تصدق .. وقصفت بقنابل النابالم ... المدن والقرى ... وتركت جنودا جرحى ومدنيين يهيمون على وجوههم دون طعام أو ماء في صحراء سيناء ... إن أكثر سكان العالم يؤيدوننا .. عندما فجرت إسرائيل الشر في الخامس من حزيران لم تكن الدول العربية قد أتمت خطتها الدفاعية ... (1967/6/21).

وفي اليوم نفسه تكلم رئيس وزراء السودان السيد محمد أحمد محجوب فقال : إن الجمعية العامة منعقدة لإصدار حكم على أحد أعضائها بتهمة القيام بعدوان طائش عن سابق إصرار وتصميم ... إن إسرائيل لقيت تأييداً مادياً ومعنوياً من الدول الغربية وخاصة بريطانيا وأميركا اللتان تحاولان تبرير العدوان

... وأنه ليس من العدل السماح للمعتدي بأن يملي شروطه، ونحن لا نطالب بأكثر من انسحاب القوات الإسرائيلية، ولا نقبل أقل من ذلك...

وخطب السيد عبد العزيز سلام وزير خارجية اليمن، والسيد أحمد بلافريح الممثل الشخصي لملك المغرب، والدكتور عدنان الباجة جي وزير خارجية العراق، والدكتور جورج حكيم وزير خارجية لبنان، والشيخ صباح الأحمد الصباح، ووزير خارجية تونس، والدكتور أحمد البشتي وزير خارجية ليبيا، والحبيب بورقيبه الابن وزير خارجية تونس، والسيد عبد العزيز بوتفليقة وزير خارجية الجزائر ... وكانت خطبهم تتأرجح من العنف إلى الاعتدال، إلى التوسل، وإلى التهالك ... ولكن المغلوب في الميدان، لا ينفعه في الأمم المتحدة أي كلام مهما كان لطيفاً أو عنيفاً!!

وليس لنا أن ننسى أن الملك حسين كان في عداد الخطباء، فقال : إن الغزاة الإسرائيليين استعملوا قنابل النابالم، وهدموا كثيراً من المدن والقرى الفلسطينية، وإن إسرائيل هي التي بدأت بالعدوان. وإن الأردن أطاع فوراً وبحسن نية قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار ... وإن السماح للمعتدي بالتمتع بثمار عدوانه هو عمل لا أخلاقي ...

ولكن المصادفة التعيسة قد جاءت مع خطاب السيد عمر السقاف وكيل وزارة الخارجية السعودية فقد قال في سياق خطاب بالغ القوة والعنف إن 600 مليون مسلم لن يخضعوا لسلطة المعتدين الصهيونيين ... وإن الخطوة الأولى أمام الأمم المتحدة هي إجبار إسرائيل على الانسحاب من المناطق المحتلة بما فيها مدينة القدس القديمة ... وإذا لم تفعل إسرائيل ذلك فإن المسلمين سيقومون بحرب مقدسة ...

كانت مصادفة تعيسة حقاً ... ففي ذلك اليوم أصدرت إسرائيل قرار بضم القدس القديمة إلى القدس الجديدة وأعلنتها العاصمة الموحدة لإسرائيل ... لا تتخلى عنها أبداً ... وكان يوما آخر من أيام الهوان للعرب وللمسلمين، بفضل حكام العرب والمسلمين ...

وجاءت صفعة أخرى للوفود العربية التي كانت تخوض معركتها الذليلة في الأمم المتحدة، فبينما كان الحوار جارياً على أشده بشأن مشروعات القرارات التي تدعو إلى انسحاب إسرائيل من الأراضي العربية المتحدة، جاء التحدي من الجنرال موشى ديان في تل ابيب، فقد خطب في اجتماع شعبي كبير وأعلن أن إسرائيل " لن تتزحزح من المناطق المحتلة الواقعة بين القنطرة والقنيطرة حتى يوقع العرب معاهدات سلم دائمة ". وأعقبه بن غوريون رئيس وزراء إسرائيل السابق فقال " إن إعادة بناء القدس الموحدة يجب أن يكون له مكان الصدارة في الجهد القومي، ويجب على إسرائيل أن تقوم بإسكان مائة ألف يهودي حول القدس القديمة.."

وهكذا أقحمت إسرائيل موضوع القدس القديمة على الأمم المتحدة ولتقرر ما تشاء !! وتطوع الوفد الباكستاني فقدم مشروع قرار يدعو إسرائيل " إلى إلغاء الإجراءات التي اتخذتها وإبقاء الوضع في القدس القديمة على حاله...".

وانتهت الأمم المتحدة من المناقشة العامة، وجاء دور التصويت على مشروعات القرارات المعروضة، وبدأ رئيس الدورة الطارئة، مندوب أفغانستان، يعرض القرارات واحداً بعد واحد، ثم يعلن بصوت منكسر سقوط المشروعات واحد بعد واحد ...

عرض المشـروع السـوفيتي أولاً: وهو يدعو 1- إلى إدانة أعمال إسـرائيل العدوانية ...، 2- مطالبة إسـرائيل بسـحب قواتها فوراً وبدون إبطاء إلى ما وراء خطوط الهدنة، 3- مطالبة إسـرائيل بدفع تعويضـات عن الخسـائر الناتجة عن عدوانها ،4- مناشـدة مجلس الأمن اتخاذ الإجراءات الكفيلة بمحو آثار العدوان .. ولم يحز المشروع على الأكثرية اللازمة ... وسقط.

ثم عرض المشـروع الألماني : وهو يطلب 1- إدانة العدوان الإسـرائيلي الذي تم بمسـاعدة أمريكا وبريطانيا، 2- انسـحاب القوات الإسـرائيلية فوراً وبدون إبطاء ، 3- مطالبة إسرائيل بدفع تعويضـات عن الخسائر الناتجة عن العدوان، 4- تأييد حق الجمهورية العربية المتحدة في السـماح أو عدم السـماح لسـفن إسـرائيل بالمرور بقناة السـويس ومضـيق تيران ... ولم يحز المشـروع على الأكثرية المطلوبة ... وسقط.

وعرض المشـروع المقدم من دول عدم الانحياز وهو يدعو 1- إسرائيل إلى سـحـب قواتهـا فوراً إلى مـا وراء مواقع مـا قبـل 5 حزيران 1967 ، 2- مطالبة السـكرتير العام بتعيين ممثل له لمسـاعدته في تنفيذ ذلك والاتصـال بـالاطراف المعنيـة، 3- مطـالبـة مجلس الأمن ببحـث جميع نواحي الموقف في المنطقة وإيجاد طرق سلمية لحل جميع المشـاكل ... ولم يحز المشـروع الأكثرية اللازمة ... وسقط.

وعرض المشـروع المقدم من دول أمريكا اللاتينية الذي 1- يدعو إسـرائيل إلى سـحـب قواتهـا من جميع المنـاطق المحتلـة نتيجـة للنزاع الأخير، 2- دعوة الأطراف المتنازعة إلى إنهاء حالة الحرب وإقامة تعايش سـلمي 3- مطالبة مجلس الأمن بتنفيذ الفقرة الأولى وحماية حرية المرور في المياه الدولية

وإيجاد حل لمشكلة اللاجئين، 4- بحث إقامة نظام حكم دولي في مدينة القدس في دورة الجمعية العامة الثانية والعشرين .. ولم يحز المشروع الأكثرية اللازمة ... وسقط.

سقطت هذه المشروعات كلها، وقد قرأت جميع التقارير التي وردت من نيويورك إلى وزارة الخارجية في الجمهورية العربية المتحدة، تبين الأسباب القانونية والسياسية التي أدت إلى هذه الهزيمة ... وكلها أسباب وجيهة من غير شك.. ولكن سبب الأسباب، أن الهزيمة في الوطن العربي لا يمكن معها انتصار في الأمم المتحدة .. فإن الغلبة في الأمم المتحدة هي للمنتصرين، ولو كانوا على باطل، والهزيمة للمهزومين ولو كانوا على حق ...

وبقيت قضية القدس ... القدس الأسيرة ... وأنا لا أفرق بين القديمة والجديدة ... وعرض مشروع القرار الباكستاني وهو يدعو 1- إلى اعتبار الإجراءات التي اتخذتها إسرائيل في القدس غير مشروعة،2- ودعوة إسرائيل إلى إلغاء جميع الإجراءات المتخذة والامتناع عن اتخاذ أي عمل من شأنه تغيير وضع القدس ، 3- مناشدة السكرتير العام تقديم تقرير عن تنفيذ القرار إلى الجمعية العامة ومجلس الأمن "..

ونجح هذا المشروع المتواضع بأكثرية تسعة وتسعين صوتاً .. وقد امتنعت أمريكا عن التصويت ...وقاطعت إسرائيل التصويت ... ولتفعل الأمم المتحدة ما تشاء ونحن في القدس، ومن شاء أن يخرجنا فليتفضل. كان ذلك لسان حال إسرائيل...

وهذا ما جرى فعلاً .. لم تذعن إسرائيل للقرار .. فتطوع وفد الباكستان مرة ثانية، وقدم مشـــروع قرار وافق عليه مجلس الأمن في 14-7-1967" 1- يستنكر عدم تنفيذ إسرائيل للقرار المذكور، 2- تكرار دعوة إسرائيل إلى إلغاء جميع الإجراءات المتخذة والامتناع عن أي عمل من شأنه تغيير وضع القدس ..." ولم تذعن إسرائيل ...

وجاء عام 1968 فأصدر مجلس الأمن ثلاثة قرارات بشأن مدينة القدس رقم 250، 251، 252، .. ولم تذعن إسرائيل ...

وجاء عام 1969 فأصـدر مجلس الأمن قرارين بشـأن القدس : رقم 267، 271 ولم تذعن إسرائيل...

وانطلقت تصريحات حكام العرب والمسلمين نائحة صائحة على القدس ... وكان من بينها رسـالة ملكية بعث بها الملك الحسـن الثاني إلى قداسـة البابا، كتبت في أسلوب الخلفاء الراشدين جاء فيها قوله :-

" من الحسن الثاني ملك المملكة المغربية إلى حضرة صاحب القداسة البابا بولس السادس ...

وفقكم الله لما يحبه ويرضاه، وأرشدنا وإياكم إلى سبيل الحق الذي ارتضاه...

وبعد فإنه ليسـعدنا أن نوجه إليكم اليوم هذا الخطاب المعبر عن الود الخالص، والتقدير المسـتطاب، تجديدا للصـلات القديمة، وبعثاً لعادات مستحسنة قويمة، جرى عليها أجدادنا سـلاطين المملكة المغربية، ومن سـبقكم إلى اقتعاد كرسـي البابوية، وداعية لفت نظر قداسـتكم إلى خطورة العمل الذي

أقدم عليه الإسـرائيليون بالقدس الشـريف من إلحاقهم المدينة المقدسـة بالمناطق التي يسيطرون عليها من أرض فلسطين..

ونظراً للروابط المحكمة الوثيقة التي جمعت، بالقدس الشـــريف في مختلف العصـــور أهل الملتين، ارتأينا أن نوفد إليكم السـيد علي بن جلون وزيرنا في العدل ليبلغكم تحياتنا، ويعبر كلهم عن تقديرنا للجهود التي تبذلونها لقضية الحق والسلم ويعرب لكم عن رغبتنا في أن تستعمل قداستكم نفوذها الروحي وسلطتها العظيمة في العالم لإعادة الحق إلى أهله، وإرجاع الأوضـاع السـياسـية، والدينية بالقدس الشـريف، وسـائر الأماكن المقدسـة إلى ما كانت عليه من قبل العدوان الإسرائيلي.. " إلى آخر الرسالة .

وهكذا تمخض " الجهاد " عن رسـالة إلى قداسـة الباب، مليئة بالاسـترحام والاستعطاف، وهكذا انجدوا المسجد الأقصى بالكلمة، وبالكلمة وحدها ... وأنا أعني ملوك العرب والمسلمين ... "كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون إلا كذبا" .

أسرار أخرى من موسكو

في السابع عشر من حزيران وصل السيد اليكسي كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي إلى نيويورك ليشترك في اجتماعات الدورة الطارئة للأمم المتحدة...

وفي العشرين من حزيران وصل السيد نيقولاي بودجورني رئيس الدولة السوفيتي إلى القاهرة للاجتماع بالسيد جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة .

وكان للاتحاد السوفيتي من وراء هاتين المرحلتين هدف واحد : استرداد الاعتبار، على الصعيدين الدولي والعربي.

ذلك أن حرب الأيام الستة كانت نصراً لإسرائيل، وبالتالي، نصراً للولايات المتحدة، وكانت إلى جانب ذلك هزيمة للأمة العربية، وبالتالي هزيمة للاتحاد السوفيتي.

ومن هنا انطلق كوسيجين إلى نيويورك ليحمل الأمم المتحدة على إصدار قرار بإجلاء القوات الإسرائيلية عن الأراضي العربية المحتلة ... وأنطلق بودجورني إلى القاهرة ليؤكد للأمة العربية، أن الاتحاد السوفيتي لن يدخر جهداً في إزالة آثار العدوان، وإعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه قبل الخامس من حزيران .. وبهذا يكون رد الاعتبار، لا أمام العالم فحسب، بل أمام شعب الاتحاد السوفيتي نفسه ...

وقد حرص بودجورني في سفره إلى القاهرة أن يرافقه وفد عسكري كبير يرأسه المارشال زخاروف رئيس أركان الجيش السوفيتي، وذلك ليوحي إلى الرأي العام، العربي والدولي، أنه إذا ما فشلت المساعي السياسية في نيويورك، فإن المساندة العسكرية السوفيتية قادرة على حسم الموقف في ميدان المعركة.

وكذلك، فقد كان بود جورني يريد أن يهدئ من نقمة الجماهير العربية على الاتحاد السوفيتي، وأن يتخذ من القاهرة منبراً ليخاطب الأمة العربية ويؤكد لها التزام الاتحاد السوفيتي بتقديم العون العسكري والاقتصادي والسياسي للجمهورية العربية المتحدة ..

وكانت الصيحة الداوية التي تملأ أرجاء الوطن العربي تدور حول استئناف القتال، فقد كانت الأمة العربية لا تكاد تصدق أنها هزمت، وأن الهزيمة

ساحقة ماحقة... وأن إسرائيل احتلت فلسطين بأسرها، ومعها أرض عربية لثلاث دول عربية، تزيد مساحتها ثلاث مرات عن مساحة فلسطين.

وقد أراد الرئيس عبد الناصر أن يجسد تصميم الأمة العربية على استئناف القتال، فاعد للرئيس بود جورني استقبالاً ضخماً حشدت له أجهزة الدولة كل طاقاتها ومهارتها... والقاهرة تجيد فنون الاستقبال حين تريد، وفنون الإهمال حين تشاء...

وحطت طائرة الرئيس بود جورني أرض المطار، فاندلعت الهتافات من أرض المطار والشرفات، ترحب " بالرئيس بود جورني " و " بالصداقة العربية السوفيتية" وتماوجت اللافتات الكبيرة بألوانها المختلفة وهي تندد " بالاستعمار الأمريكي " وتحيي " دول المعسكر الاشتراكي وعلى رأسه الاتحاد السوفيتي " وتدعو إلى استئناف القتال .. وكلها مكتوب باللغة الروسية ..، وكذلك فقد كانت بعض الهتافات باللغة الروسية.. ولكن باللهجة المصرية...

وأراد الرئيس بود جورني، وهو ما يزال في أرض المطار، أن يبدأ حديثاً إلى العالم فقال: إن الاستعماريين يتصورون أننا جئنا إلى هنا لكي نتبادل أحاديث اجتماعية عن الصداقة بيننا، ولكننا سوف نثبت لهم معاً أننا نعني ما هو أكثر من الحديث"...

وكنت إلى جوار الفريق علي عامر القائد العام للقيادة العربية الموحدة ونحن نقف في الصف الطويل لاستقبال الرئيس بود جورني : فقال :

هذا كلام طيب جداً ونرجو أن يترجم إلى خطة عملية .

قلت : وما هي الخطة العملية في نظرك ألان ؟

قال : مصر وسوريا والعراق لا ينقصها إلا الطيران ... ولكن يجب أن تكون طائرات بعيدة المدى، الاتحاد السوفيتي لم يقدم هذا النوع من الطائرات قبل العدوان...

قلت : إن عبارة الرئيس بود جورني جميلة ... ولكني أشعر أنها تنطوي على كثير من التحفظ..

قال : صحيح .. . ونرجو أن يكون موقف الاتحاد السوفيتي في الاجتماعات المقبلة أقوى من هذا الكلام .

وخرج الرئيس بودجورني من أرض المطار مع الرئيس جمال عبد الناصر بعد مراسم الاستقبال ، وحرارة اللقاء ودفء العناق ... واخترقت سيارة الرئيسين الشوارع والميادين إلى قصر القبة، ومن حولها الجماهير كأمواج البحر المتلاطمة، كلها تنادي باستئناف القتال ... وتندد بالاستعمار والمستعمرين.

وعند قصر القبة كانت الجموع تغطي الميادين من حوله، وهي تهتف مائجة هائجة، لا تبالي بموجة الحر اللاهبة التي لفت القاهرة في ذلك اليوم كأنها على ميعاد مع ذلك اليوم اللاهب.

ودخل الرئيس بود جورني إلى قصر القبة دخول الفاتحين، وهو في عجب من تصميم هذا الشعب على استئناف القتال ... وقد أثاره هذا الاستقبال الرائع، ولكن حزيران في موسكو غير حزيران في القاهرة، فقد بقي الرئيس بود جورني ملتزما جانب التحفظ في حديثه، وكان ما قاله في قصر القبة غير بعيد عما قاله في أرض المطار، فقد أعلن :أن مشاعر الناس وحماستهم على طول الطريق قد بهرتني وأرجو أن تمكنني الظروف يوماً من أن أعود إلى القاهرة

فالتقي بجموع الشـــعب المصـــري .. ولكننا الآن نحتاج كل وقتنا للعمل على إحباط خطط المتآمرين..".

وعلى هذا فإن حديث الرئيس بود جورني في المطار وفي قصر القبة لم يخرج عن الحديث العادي ولم يكن فيه التزام بشــــيء ... ولم يكن فيه ذكر لإسرائيل، ولم يتعرض لإزالة آثار العدوان، ولم يتعهد بتأييد الموقف العربي.

وقد انقسمنا في قصر القبة، الوزراء وأركان الاتحاد الاشتراكي وأنا إلى فريقين .. واحد، يقول إن كلام الرئيس بود جورني متحفظ حقاً .. ولكنه ضروري في المرحلة الحاضـــرة .. والمهم في الاجتماعات المقفلة أن يتم الاتفاق على تدابير فعالة لتمكين القوات العربية من إزالة آثار العدوان .

وقـال فريق آخر، إن كلمـات الرئيس بود جورني متحفظـة أكثر من اللازم،ولا تبعث على الرضـا، ولا على الأمل في المسـتقبل ... وكنت أنا من هذا الفريق ... رغماً عن أني معروف بصداقتي للاتحاد السوفيتي لعدة سنين.

وقد تعزز هذا الرأي في هذا اليوم ذاته .. فلم يكد يصـــل الرئيس بود جورني إلى القاهرة حتى أذاعت وكالة تاس إن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الســوفيتي قد أصـــدرت بياناً أعلنت فيه أنها " أقرت بالإجماع إدانة إســـرائيل بالعدوان ومطالبة الأمم المتحدة بإصدار قرار يدعو إسرائيل إلى الانسحاب من الأراضــي العربية المحتلة .." وكأن الأمر كله يجب أن يحصـر في نطاق الأمم المتحدة..

وبدأت الاجتماعات الرسمية بين الجانبين العربي والسوفيتي في مساء ذلك اليوم في بيت الرئيس عبد الناصر بمنشية البكري، استمرت حتى منتصف الليل ..

وقد عشنا تلك الليلة، أنا وغيري من المشتغلين بالقضية العربية في القاهرة، نترقب طلوع الصباح، لنتنسم أخبار المحادثات، ولنتعرف على موقف الاتحاد السوفيتي بعد العدوان .. لعله يكون أكثر وضوحاً مما كان قبل العدوان ...

ولقد صدرت في الماضي عن الاتحاد السوفيتي بيانات بالتأييد .. وكان الأسطول السوفيتي يتضاعف عدده في البحر الأبيض المتوسط...

وساهم الاتحاد السوفيتي بالضغط على القاهرة " الضغط لضبط النفس " وبدأت الحرب وانتهت وحان الوقت ليجدد الاتحاد السوفيتي موقفه وخاصة أننا لا ننسى أن سفير الاتحاد في القاهرة قد أيقظ الرئيس عبد الناصر بعد منصف ليل (26 – 27 أيار) ليبلغه رسالة مستعجلة من الرئيس كوسيجين بالرجاء الحار والتوكيد الشديد بضبط النفس وعدم القيام بأي عمل عسكري ضد إسرائيل وأن رسالة مماثلة من الرئيس كوسيجين قد أبلغت إلى ليفي أشكول رئيس الوزراء الإسرائيلي عن طريق السفير السوفيتي في تل ابيب، في الليلة نفسها ..

ولهذا فقد كنا نتوقع من الرئيس بود جورني أن يكون أكثر حزماً في عباراته التي تناقلتها وكالات الأنباء .. ولكن بعضنا كان يرى أن هذا الحذر أجدى وأنفع ... " فنحن نريد سلاحا ولا نريد كلاماً "، كما قال الفريق عبد المنعم رياض .. ونحن نغادر قصر القبة ... بعد أن دخل الرئيس بودجورني إلى غرفة الاستراحة.

وقمت بزيارة خاطفة إلى عدد من أعضاء الوفد العربي الذي اشتركوا في مباحثات الليلة الماضية، وبدأت تتأكد مخاوفي، فقد كانت حصيلة انطباعاتهم أن الرئيس بود جورني قد شرح ما يجري في الأمم المتحدة في دورتها الطارئة

وأســــهب في ســــرد جهود الرئيس كوســـيجين ومطالبته بانســـحاب القوات الإسرائيلية،وإدانة إسرائيل، والتعويض عما لحق بالدول العربية، من خسائر ... وأن الرئيس بود جورني يؤمل أن تصـــدر الأمم المتحدة قراراً بالموافقة على هذا المطلب .. وأن الرئيس بود جورني وقد اســـتمع إلى مطالب الرئيس عبد الناصر بدعم القدرة العسكرية لمصر وسوريا، سينقل هذه الرغبة إلى الحزب في موسكو ليدرسها، بعناية تامة، انتظاراً لما تقرره الأمم المتحدة.

كانت تلك حصيلة الموقف في اليوم الأول من المباحثات، أما في اليوم الثاني فقد انجلى الموقف أكثر فأكثر .. فقد اتصـــل الرئيس بودجورني بالرئيس عبد الناصر يعرب عن رغبته في لقاء عاجل قبل موعد الاجتماع المتفق عليه، لأنه تلقى " رسالة عاجلة من الرئيس بود جورني للرئيس عبد الناصر أن الرئيس كوسيجين سيجتمع بالرئيس جونسون ليبحث معه أزمة الشرق الأوسط وليؤكد إصـرار الاتحاد السـوفيتي على صـدور قرار من الأمم المتحدة لصـالح الدول العربية.

وقد تصـاعدت الآمال بعض الشـيء في جهود الاتحاد السـوفيتي في الأمم المتحدة ...ولكنها عادت وخبت بعد بضع ساعات،حتى عند المتفائلين من الوفد العربي ... فقد كشـــفت وكالات الأنباء العالمية الموقف في نيويورك على حقيقته.

فقد ذكرت الأنباء أن الاجتماع بين كوســيجين وجونســـون قد اســـتمر خمس ساعات، وأن الرئيسين قد اجتمعا ليقولا للصحفيين بعد نهاية الاجتماع " لقد أتاح لنا اجتماعنا هذا فرصـــة ليتعرف كل منا على الآخر .. وتبادلنا خلال الاجتماع الآراء حول عدد من المسائل المتعلقة بمنع انتشار الأسلحة النووية..

وقد اتفقنا أن الوصـــول إلى اتفاق بمنع انتشـــار الأسـلحة النووية أمر في غاية الأهمية الآن، وتبادلنا الرأي بالعلاقات الثنائية بيننا..".

وأضـــافت وكالات الأنباء أن الرئيس كوســـيجين قال : أشـــكر الرئيس جونســـون على ترتيب اجتماعنا في مدينة على هذا القدر من الجمال ... وقد فهمتم مما قال الرئيس جونسون أننا حشدنا عدداً ضخماً من المسائل إلى حد لم تتمكن معه أن نكون قادرين على التعرض لها جميعها اليوم ،ولهذا قررنا أن نجتمع يوم الأحد، وليس لدي ما أضيفه إلى ما قاله الرئيس جونسون فأن بيانه قد صيغ على نحو سليم جداً ..".

وقد جاءت هذه الأنباء لتســـدل على اجتماعات بود جورني – عبد الناصـــر ســـتارا من خيبة الأمل ،فقد بات واضـــحاً من الأنباء الصـــحفية ومن التقارير الرسمية الواردة على القاهرة، أن الرئيس كوسيجين يتصرف في نيويورك وكأن أصـدقاءه العرب لم يخسـروا الحرب، ولم تقع أراضـيهم تحت الاحتلال... فقد ذهب إلى الأمم المتحدة ليعرض قضية العدوان الإسرائيلي، فإذا به يعترف " أننا حشدنا عدداً ضخماً من المسائل " وأنه يشكر الرئيس جونسون لاستضافته " في تلك المدينة الرائعة الجمال"؟؟ وغير ذلك مما يوحي بأن قضـــية الشـــرق الوســـط لم تكن عند الرئيس كوســـيجين همه الأوحد، ولم يكن قد مضـــى على حرب حزيران إلا عشرة أيام بالتمام والكمال...

وتوالت اجتماعات بود جورني عبد الناصـــر في القاهرة، قبل الظهر، وبعد الظهر ، وفي الليل ، وكنت أرتردد على القصر الجمهوري في القبة لالتقي مع الرئيس عبد الناصـــر وأعضـــاء الوفد العربي قبيل الاجتماعات وبعدها .. وكانت مشـاعر الخيبة تزداد بازدياد الاجتماعات .. فقد كان الرئيس بود جورني

يتحدث دوماً عن السلام، والبحث عن تسوية سلمية للشرق الأوسط، وأن الضغط الدولي على أمريكا والأمم المتحدة كفيل لحمل إسـرائيل في النهاية على الانسـحاب من الأراضـي العربية وأن الالتجاء إلى القمة يمكن " التفكير" فيه حينما تفشل كل الجهود السياسية والدبلوماسية.

ولست أنسى قهقهات أعضاء الوفد العربي في قصر القبة وهم يقرأون أخبار الاجتماع الثاني بين كوسـيجين وجونسـون، راح أحدهم يقرأ بصـوت ضاحك نشرة الإنباء وهي تقول " عندما وصلت سيارة الرئيس كوسيجين أسرع إليها لرئيس جونسون وزوجته وابنته واستقبلوا الرئيس كوسيجين وابنته لودميلا ورحبوا بهما ودخل الجميع إلى المنزل حيث التقطت لهم صـورة تذكارية .. ثم دخل الرئيسـان غرفة الاجتماع ودخل معهما المسـتر أفريل هريمان الخبير بشؤون الفيتنام لمدة ربع ساعة .. ثم دخل أعضاء الوفدين واستمر الاجتماع خمس سـاعات، صـرح جونسـون في نهايتها بأنهما بحثا عددا ضـخماً من المشكلات بالتفصـيل، واتفقا أن يظلا على اتصـال بالمستقبل ... كما أعلن الرئيس كوسيجين أنهما تناولا عدداً من المسائل الدولية كما فعلا في اجتماعهما الأول، وأن هذه الاجتماعات قد أتاحت الفرصـة لاسـتعراض حالة العلاقات الأمريكية السوفيتية ومقارنة المواقف إزاء المشاكل البارزة" .. إلى آخر ما أوردته وكالات الأنباء..

ومع قهقهات الوفد العربي انطلقت القفشات، وهذه مهارة مصرية فريدة، وهم يقرأون خبرا آخر يقول : " إن الرئيس كوسيجين سيغادر نيويورك على متن طائرة من سـلاح الجو الأمريكي، إلى شـلالات نياجرا وهي من أبرز معالم السياحة في أمريكا..."

هذا وغير هذا، قد أضـفى جواً من البرودة على مباحثات بود جورني – عبد الناصر، حتى أصبح قصر القبة ثلاجة كبرى كأنه قطعة من موسكو في أيام الجليد ... على حين إن جماهير الشـــعب في مصـــر كانت تفور بالغليان والثوران...

ومسـكين هو الشـعب ... إنه لم يكن يعرف الحقيقة ... فقد كان يأكل ويشرب مما تقدمه الصحافة والإذاعة العربية،وهذه كلها كانت تربط مصير الأمة العربية برحلة كوسيجين إلى نيويورك، ومجيء بود جورني إلى القاهرة !!

ومما زاد الجماهير العربية لهفة على الأخبار، أن زيارة الرئيس بود جورني كانت المرة الوحيدة التي لم تلق فيها خطب رســمية يتبادلها الرئيس الضيف والرئيس المضيف .. ففي هذه المناسبة لم يخطب الرئيس عبد الناصر، ولم يخطب الرئيس بود جورني.

وسألت السيد جاكوب ماليك نائب وزير الخارجية الروسية، وهو صديق قديم، لماذا لم يخطب الرئيسان في هذه الاجتماعات...

قال : هذه رغبة الرئيس بودجورني ..ونحن أصـــدقاء ورفاق، ليس بيننا كلفة ولا داعي للخطب. المهم أننا نقدم العون العسكري والاقتصادي قلت: حتى الرفاق في الدول الشـــيوعية يتبادلون الخطب حينما يجتمعون لعرض آرائهم وأهدافهم..

ولم يعقب جاكوب ماليك على هذه الملاحظة .. والواقع أن الرئيس بود جورني كان لا يريد الخطب .. لأن الخطب تحدد الهداف وتحدد الالتزامات .. وكل ما جاء الرئيس بود جورني من أجله أن يقنع الرئيس عبد الناصر أن يوافق ولو ساكتاً، على التسوية السلمية لمشكلة الشرق الأوسط ... وأن موضوع

اســـتئناف القتال أمر غير وارد .. وأن إعادة بناء القوات العربيـة يجب أن يستهدف تعزيز القدرة الدفاعية .. لا غير ..

وهكذا انتهت مباحثات عبد الناصر – بودجورني على غير نتيجة وجاء الســـؤال التقليدي الذي تنتهي به الزيارات الرســـمية ..وماذا نكتب في البلاغ المشـــترك .. ماذا نقول للأمة العربية خارج قصـــر القبة، وهي تهتف بالقتال، ولاشيء إلا القتال ؟؟

وهنا، أصـر الوفد السـوفيتي أن يصـدر بلاغاً مشـترك تبرز فيه معاني السلام، والتسوية السلمية، وتوطيد دعائم الصداقة السوفيتية العربية .

وأصر الوفد العربي أن يشير البيان المشترك، باللجوء مع هذه المعاني، إلى حق الدول العربية بإزالة آثار العدوان، باللجوء إلى القوة في حالة فشل الأمم المتحدة .

وطال الأخذ والرد بين أعضـــاء الوفدين العربي والســـوفيتي، يروحون ويغدون على بعضـهم البعض بأوراقهم وأقلامهم، وهم يقترحون هذه الصـيغة أو تلك.

وبقي الوفد العربي على موقفه .. وأخيراً تم الاتفاق بين الجانبين على أن يصـــدر بيان مشـــترك ... وصـــدر البيان الصـــحفي ليقول : " .. تمت الاجتماعات بروح التفاهم الأخوي المشـترك والصـداقة التقليدية بين البلدين ... وبحث الجانبان الإجراءات اللازمة لإزالة آثار العدوان ... وإن زيارة الرئيس بود جورني سوف تسهم في زيادة تدعيم وتطوير علاقات الصداقة والتعاون الشامل بين الدولتين في صالح شعبي الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتي وفي صالح السلام والأمن لكل شعوب العالم...".

وهكذا صدر البيان الصحفي، غامضاً، مبهماً، ليس يه التزام واضح على الاتحاد السوفيتي، ولا إشارة حتى لاحتمال صدام مسلح.. بل برزت فيه معاني السلام .. وأن الجانبين " بحثا " الإجراءات اللازمة... بحثا فقط!!

وقال لي السيد علي صبري أحد نواب رئيس الجمهورية، وكان من الأعضاء النشيطين في هذه المباحثات، " إن الغموض أيضاً نافع ... ربما تخاف الولايات المتحدة ...، والرأي العام العربي يعتقد أن هذا الغموض يخفي وراءه الخير ... قلت: الولايات المتحدة ليست غبية إلى هذا الحد.

وقد سبرت غور كوسيجين في أمريكا ... أما المواطن العربي فإنه إن لم يعرف اليوم، فسيعرف غداً .. وإن غداً لناظره قريب ... وهذا ما قاله العرب منذ عهد بعيد ...

وانتهت زيارة الرئيس بود جورني دون أن تحقق شيئاً، وودعه الشعب المصري بالحماسة إياها، والهتاف إياه ... ولم يقف الأمر عند البيان الصحفي، فقد أراد الرئيس بود جورني أن يؤكد من الجو موقفه الذي أكده على الأرض، فبعث من الطائرة ببرقية إلى الرئيس عبد الناصر يقول فيها: " إن علاقة الصداقة والتعاون الكبير بين الاتحاد السوفيتي والجمهورية العربية المتحدة ستزداد تطورا لمصلحة بلدينا وشعبينا ولمصلحة سلام مستتب في الشرق الأوسط بأسره ..".

وكان واضحاً للذين عاشوا جو المباحثات في قصر القبة أن الرئيس بود جورني يؤكد على السلام ليستتب في الشرق الأوسط بأسره " ويعني ذلك إسرائيل أيضاً.

ورد الرئيس عبد الناصـر في برقيته مشـيدا بروح الصـداقة مع الاتحاد السـوفيتي ومؤكداً من جانبه الرغبة في " السـلام القائم على العدل " ... والعدل هو بيت القصيد . وهنا استخدم الرئيسان ما يريدان من الألفاظ والمعاني **!!**

ولم يكن من باب المصـــادفة ، بل إنه كان توقيتاً متعمداً، أن مراســـل جريدة برافدا السـوفيتية في القاهرة، قد كتب يوم انتهاء مباحثات عبد الناصـر – بود جورني مقالاً فيه تلميح صـريح بأن مسـئولية الهزيمة تقع على عاتق مصـر وحدها، وأن الاتحاد السوفيتي بريء الذمة، فقد جاء في ذلك المقال " لم يكن من المتوقع في الجمهورية العربية المتحدة أن تقوم إســـرائيل بهجومها بمثل هذه السرعة .. وسنترك للمؤرخين تحليل الأسباب الأخرى للفشل العسكري المصري .. ولكن هنـاك دورا مهمـا لعبـه إهمـال القيـادة الجويـة، وكـان من نتيجتـه أن الطائرات الإســـرائيلية تمكنت من التحليق على مســـتوى منخفض من البحر الأبيض التوسـط وقصـف المطارات المصـرية، وكان من نتيجة هذه الهجمات أن سـلاح الجو المصـري قد دمر على الأرض .. (1967/6/24) وقد أغفل مراسـل البرافدا أو تغافل، أن سـياسـة ضـبط النفس التي " ضـغطها" الاتحاد السوفيتي على الرئيس عبد الناصر كانت أحد أسباب هذه الهزيمة ...

وانقضى شهر حزيران ودخل شهر تموز ... وفي أوله (1967-7-1) هبطت طائرة سوفيتية في مطار دمشق تقل الرئيس بود جورني ومعه عدد كبير من المستشارين العسكريين والسياسيين، وجرى في مطار دمشق ما جرى في مطار القاهرة قبل أسـبوع، من تبادل التحيات والتمنيات بين الرئيسـين الاتاسي وبود جورني.

وفي مأدبة العشاء التي أقيمت في القصر الجمهوري بدمشق خطب الرئيس الأتاسي خطبة " بشعبه " رحب فيها بالوفد السوفيتي مؤكداً توثيق علاقات الأخوة والصداقة مع الاتحاد السوفيتي وتصميم الشعب العربي على الصمود في وجه العدوان الصهيوني والاستعماري ... ورد الرئيس بود جورني معرباً عن استعداد الحكومة السوفيتية لتطوير علاقاته الصداقة العربية السوفيتية تحقيقاً للسلام..".

وأستؤنفت المباحثات السورية السوفيتية في اليوم التالي تحت مظلة رحبة من الصحف السورية تمتدح الصداقة العربية السوفيتية وتشيد بزيارة الرئيس بود جورني، وتلفت الانتباه إلى أن الرئيس بود جورني "كان يريد زيارة بعض المعالم التاريخية في دمشق، ولكنه ألغى هذا البرنامج في أخر لحظة، واتجه إلى القصر الجمهوري لاستئناف المباحثات نظراً لخطورة الموقف".

وانتهت مباحثات دمشق على ما انتهت إليه مباحثات القاهرة، بفارق واحد ... وهو أن سوريا قد وافقت على صدور بيان مشترك بدلاً من البيان الصحفي الذي صدر في القاهرة.

ولكن الفارق كان في الشكل ولم يكن في الجوهر ... فلم يضف البيان المشترك السوري شيئاً إلى البيان الصحفي المصري .. فقد أعلن أن " الجانبين السوري والسوفيتي قد استعرضا الأوضاع التي نشأت نتيجة لعدوان إسرائيل، وبحثا الخطوات العملية لتصفية آثار العدوان والمساهمة في إقرار السلام". ولم يكن في هذا البيان التزام .. وكل ما فعله الجانبان أنهما " بحثا " " واستعرضا !!"

وفي مطار دمشق صافح الرئيس بودجورني رجال الدولة السورية وهو يقول لهم بالعربية " السلام عليكم " وامتطى طائرته وأرسل من الجو إلى الرئيس الاتاسي برقية يقول فيها" إن اجتماعاتنا ستدعم روابط الصداقة والتعاون بين الاتحاد السوفيتي وسوريا لصالح شعبينا ولصالح إقرار السلام في الشرق الوسط وفي العالم أجمع" ... مرة ثانية، كما جرى في القاهرة .. توكيد السلام ... ولا إسرائيل أيضاً..

ومن دمشق طار الرئيس بود جورني إلى بغداد واجتمع بالرئيس العراقي عبد الرحمن عارف، وجرى بينهما من الحديث ما جرى مع الرئيس عبد الناصر والأتاسي ... بفارق واحد!! أيضاً ... وهو أن البيان المشترك الذي صدر عن مباحثات بغداد، كان أكثر جفافا، من البيان المشترك الذي صدر عن مباحثات القاهرة، والبيان المشترك في دمشق ... فقد أحتوى بعض العبارات التقليدية ... من أجل السلام والأمن في العالم .. فإن إخواننا العراقيين لا يعرفون المجاملة ولا الأعراف الدبلوماسية ... وتلك طبيعتهم لا نباهتهم !!

وترك الأمر لوكالة الأنباء الروسية – تاس – أن تقول ما تشاء من جانبها، فأذاعت أن الرئيسين السوفيتي والعراقي بحثا عن عدوان إسرائيل على العرب، والخطوات التي ستكفل محو آثاره، وتبادلا الرأي في توطيد علاقات البلدين وأن زيادة الرئيس بود جورني كانت مفيدة ومتسمة بتفاهم تام.

انتهت زيارة الرئيس بود جورني لبغداد في اليوم الرابع من شهر يوليو – وهو اليوم الذي سجل نهاية فاشلة للدورة الطارئة التي دعا إليها الاتحاد السوفيتي للنظر في أزمة الشرق الأوسط !!

وقد كان هذا الفشل متوقعاً منذ البداية ... كان فشلاً للاتحاد السوفيتي والدول العربية، كما كان انتصاراً لإسرائيل وللولايات المتحدة ...

وتعالت صيحات جميع الفرقاء العرب وغير العرب تعلق على النهاية التي وصلت إليها الأمم المتحدة..

فقال الرئيس السوداني محمد أحمد محجوب وهو ما يزال في أروقة الأمم المتحدة " إن العرب قد خاب أملهم في المنظمة الدولية ويفكرون جدياً بإعادة النظر في موقفهم منها .." ولم يحفل أحد في العالم لهذا التهديد، لأنهم ألفوا أمثاله منذ ربع قرن من الزمان ...

وخطب ليونيد بريجنيف الأمين العام للحزب الشيوعي فقال : إن العدوان الإسرائيلي على العرب دعمته بريطانيا وأمريكا لطمس حركات التحرك الوطني ... وأن زيارة الرئيس بود جورني لبعض الدول العربية قد قوت العلاقات العربية السوفيتية، وأن العرب يدركون الآن بشكل خاص أهمية تمتين روابطهم مع المعسكر الشيوعي ... " وترك للمستقبل أن يعلق على هذا الكلام.

أما إسرائيل فقد أرسل رئيس وزرائها ليفي أشكول إلى وزير خارجيته ابا ايبان، يهنئه ويشكره هو وأعضاءه وفده على " جهودهم الموفقة في تحقيق النصر العظيم ..".

وكان " النصر العظيم " انفراجاً كبيراً لإسرائيل .. فالأراضي العربية المحتلة ستظل محتلة...

ويعلن موشيه كول وزير السياحة الإسرائيلي في اليوم الثاني أنه " سينظم رحلات سياحية إلى الضفة الغربية، وإلى سيناء، وإلى مرتفعات الجولان، وإلى شرم الشيخ .. وأن إسرائيل ستبني الجسور على نهر الأردن وستقوم

بترميم مطار قلندية بجوار القدس لاستخدامه في أغراض السياحة الدولية .. " (5-7-1967).

وهاج الرأي العام العربي لهذه الهزيمة السياسية التي حلت في الأمم المتحدة، بعد الهزيمة العسكرية في الوطن العربي ولم يكن بينهما إلا شبر واحد ...

والذين لا يعرفون الأمم المتحدة وقعوا في حيرة مذهلة ... وبدأوا يتساءلون ...

- إسرائيل، هي التي بدأت بالعدوان، والأمم المتحدة لا تدينها، لماذا ... وكيف وإلى متى ..؟
- وإذا كانت لا تريد إدانتها، ألم يكن الواجب مطالبتها بالانسحاب من الأراضي العربية المحتلة.؟
- الدول الثلاثة المعتدى عليها أعضاء في الأمم المتحدة، فكيف تجيز الأمم المتحدة احتلال الأراضي العربية ؟؟
- لماذا تريد الولايات المتحدة وأنصارها أن يربطوا انسحاب إسرائيل بالقضية الفلسطينية. وكيف يسكت الاتحاد السوفيتي على هذه الحالة؟؟

هذه الأسئلة وغيرها كانت محور الحديث بين الجماهير العربية، وهي تتأجج غضباً ونقمة على الأمم المتحدة وعلى دول العدوان أمريكا وبريطانيا...

وازدادت غضبة الجماهير وهي تقرأ نبأ ألفت أمثاله على مر السنين . ويقول النبأ إن " وزراء خارجية الدول العربية في نيويورك عقدوا اجتماعا هاما

مغلقاً لبحث ما ينبغي عمله بعد أن فشـــلت الأمم المتحدة في مطالبة إســـرائيل بالانسحاب من الأراضي العربية المحتلة..." (7-4- 1967).

وتضاعفت الصيحات من كل أرجاء الوطن العربي تدعو إلى استئناف القتال، وأن الأمم المتحدة مضـــيعة للوقت ... وأن الاتحاد الســـوفيتي يجب أن يضــــاعف تســـليحه للجيوش العربية لتمكينها من تحرير الأرض العربية بقوة السلاح ... وهل يريد الاتحاد السوفيتي دليلاً أخر .. ها قد فشلت الأمم المتحدة ولم يبق إلا الانصراف إلى المعركة.

وقد أصـبح الحديث عن الأمم المتحدة ثقيلاً على أسـماع الجماهير، ولم تبال بالتصـريحات التي أدلى بها الرئيس كوسـيجين إلى الإذاعة الفرنسـية حين قال " إننا نثق بالأمم المتحدة وعليها أن تحل جميع المعضــلات الدولية ويجب على الأمم المتحدة عاجلاً أو أجلاً أن تدين إســـرائيل، وأن الاتحاد الســـوفيتي سيتخذ جميع الخطوات اللازمة في مجلس الأمن لإدانة إسرائيل وسحب قواتها " (9-7-1967).

هذا ما كان يدور في صـــدور الجماهير العربية وعلى ألســـنتها .. الحرب الحرب .. ولا شيء إلا الحرب.

وبدأ التحرك العربي متلاحقاً متتابعاً، من اليوم التاسع(تموز) إلى اليوم العشرين، وكان كل يوم مليئاً بالاجتماعات ... على أعلى المستويات ...وها أنا أنبش يومياتي " يوماً يوماً ...

ففي التاســـع، تحرك الرئيس الجزائري هواري بومدين يحمل معه في طائرته كل تجارب الثورة الجزائرية ليجعلها أساساً لخطة عربية جديدة.. ووصل إلى القاهرة ... ليجد المطار وقد أزدحم بالجماهير وهي تهتف " الثأر، الثأر"

ويخرج مع الرئيس عبد الناصــر في ســيارة مكشــوفة إلى قصــر القبة والجموع المحتشدة في الشوارع والشرفات وعلى الأسطح تصيح صيحة واحدة... القتال يا جمال، القتال يا بومدين.

واجتمعت بالرئيس الجزائري بومدين عند المساء في صالة قصر القبة .. فقال لي :

- هذا الذي كنت أخشاه .. لقد كان رأيي منذ البداية أن تستمر المعركة .. وأن لا نوافق على قرار مجلس الأمن ... بوقف إطلاق النار .. إذا كنا قد فقدنا طائراتنا، ودباباتنا،فعلينا أن نقاتل بالبنادق ..إن القوات الجزائرية موجودة الآن في الميدان .. نحن مستعدون أن نرسل غيرها .. يجب أن نضع خطة جديدة لاستئناف القتال .. نحن أمام ظروف تاريخية .. وإن المعركة وحدها هي التي تنقذنا من مضاعفات الهزيمة التي حلت بنا.

قلت: لقد تحطم الجيش المصــري وتحطمت معداته .. والجيش الســوري كذلك .. والقوات العربية الأخرى، باســـتثناء الجيش العراقي، قفلت راجعة إلى ثكناتها بعد أن توقف إطلاق النار .. وأعني تونس والمغرب وليبيا..

قال : كل هذا صحيح .. ولكننا نستطيع أن نفتح ميدان المعركة من جديد ... ونســتطيع القتال ..وأن نضـــع خطة جديدة، وقد جئت إلى القاهرة لأحدث الرئيس عبد الناصر بأفكاري هذه...

واستطرد الرئيس بومدين حديثه متسائلاً: وأنتم الشعب الفلسطيني، ماهو دوركم؟

قلت : إذا وضعتم الخطة، أية خطة .. فإن شعبنا مستعد أن يضع كل طاقاته في المعركة.. إن جيش التحرير الفلسطيني حاضر لأن يشترك معكم ...

وكذلك القوات الفدائية .. ونحن قادرون أن نرسل عدداً من ضباطنا إلى الضفة الغربية وقطاع غزة ليبدأوا إعداد الشعب للمقاومة، والتصدي للاحتلال الإسرائيلي من الداخل .. وانتهى الحديث بيننا انتظاراً للخطة.

والتقى الرئيس عبد الناصر بالرئيس الجزائري بومدين ليلاً في جلسة طويلة ... وصفها لي الرئيس بومدين في اليوم التالي بأنها كانت جلسة عمل.

وفي اليوم العاشر، وصل الملك حسين القاهرة بعد رحلة طويلة في الأمم المتحدة وعدد من العواصم الغربية، قام خلالها كما ذكر في خطاب له الليلة الماضية، " بإعلاء صوت أمتنا فوق المنبر الدولي .. وأجرى اتصالات بالرأي العام في كل بلد حل فيه بواسطة أجهزة إعلامية ندر أن انتبهنا إلى أهمية استقلالها، وأن العرب قد خاضوا معركة لم يستعدوا لها .. وأنه يجب عقد اجتماع عربي على مستوى القمة للمكاشفة الصريحة .." إلى آخر هذه التعابير " البريئة " التي يطلقها حكام العرب عن " الأخطاء التي ارتكبت " وكأن غيرهم هم الذين ارتكبوا الأخطاء...

وفي اليوم الحادي عشر، عاد الملك حسين إلى عمان، وسافر الرئيس الجزائري إلى دمشق، ولم تعد مهمته سراً على أحد، فقد أعلن على الجماهير المحتشدة خارج قصر الضيافة في دمشق " أنه لا بد من الحرب ويجب أن تتحول النكسة إلى قوة جارفة تدفعنا في طريق النصر...".

وفي اليوم نفسه، وبعد سفر الملك حسين والرئيس بومدين، وصل عبد الناصر في المساء .. وقد حضرت جانباً من الاجتماع .. لخص الرئيس عبد الناصر خلاله الموقف الدولي، وأن الرئيس بومدين يقترح إعداد خطة لاستئناف القتال .. وأنه ذهب إلى دمشق لإقناع الرئيس الاتاسي .. وعقب الرئيس العراقي

على ذلك قائلاً : " المهم أن ينجح بومدين في إقناع البعث السوري بالقتال، فعلا لا قولاً ..".

وفي اليوم نفسه وصل السيد جاكوب ماليك نائب وزير الخارجية السوفيتية، في زيارة، أعلن أنها تمتد يومين، فاستمرت تسعة أيام، وسأتحدث عنها في سياق الكلام ...

وفي اليوم الثاني عشر، عاد الرئيس بومدين من زيارة دمشق بعد أن قضى فيها يوما واحداً اجتمع خلاله بالقادة السوريين، وصدر بلاغ مشترك يؤكد " مواصلة النضال حتى النصر".

وفي اليوم الثالث عشر، وصل الرئيس السوري الدكتور الاتاسي إلى القاهرة للانضمام إلى" القمة العربية المصغرة " التي أصبحت مؤلفة من الجمهورية العربية المتحدة والجزائر وسوريا والعراق .. وعقد بينهم اجتماع مطول درسوا خلاله الموقف على الصعيدين العربي والدولي. وفي الرابع عشر، واصل الرؤساء الأربعة اجتماعاتهم، واشتركت وفودهم معهم في هذه الاجتماعات ...

وحين كانت المناقشات دائرة في قصر القبة، كانت الاشتباكات العنيفة تدور على القنال بين القوات العربية والإسرائيلية،وكانت إسرائيل هي البادئة بإطلاق النار، حتى يسمع الرؤساء الأربعة وهم يتناقشون في مؤتمر القمة.. وقد أصدرت القيادة العامة للقوات العربية أربعة بلاغات عسكرية، عن معارك يوم واحد..

البلاغ الأول، أعلن أن القوات الإسرائيلية ضربت المواقع المصرية في القنطرة والفردان والإسماعيلية..

والبلاغ الثاني، أعلن أن العدو حاول إنزال قارب آلي في قناة السويس في منطقة القنطرة،وكذلك بعض قوارب مطاط صغيرة، وجرى تبادل إطلاق النار بشدة...

والبلاغ الثالث، أعلن أن العدو فتح نيران المدفعية والدبابات ومدافع الهاون على المواقع العربية في السويس.

والبلاغ الرابع، أعلن أن العدو أغار بطائراته على السويس ومنطقة الزيتية أربع غارات جوية متتالية من الساعة الواحدة بعد الظهر حتى الساعة الثامنة مساء ..(1967/7/14).

وفي اليوم الخامس عشر وصل الرئيس إسماعيل الأزهري إلى القاهرة وانضم إلى اجتماعات الرؤساء، فأصبح اجتماع القمة الصغيرة خماسياً .. وانفرد الرؤساء الخمسة بالاجتماع وحدهم، ليتعرفوا الموقف، ويضعوا الخطة...

وحين كان الرؤساء الخمسة يتباحثون ويتناقشون، وقعت الاشتباكات مرة أخرى، لليوم الثاني، ومن غرائب الصدفة، أنه صدرت خمسة بلاغات عن المعارك الدائرة، بلاغ واحد لكل رئيس واحد .. وقد تميزت هذه البلاغات بأن سلاح الجو العربي قد أخذ زمام المبادرة وتصدى للقوات الإسرائيلية فضرب مواقع العدو وأنزل بها خسائر فادحة.

ولقد حضرت جانباً من هذه الاجتماعات، كما تمت لي لقاءات ثنائية معهم وكان محورها يدور حول استئناف القتال والاستعداد للمعركة وتعبئة الطاقات العربية في الميدان. وحدث في تلك الفترة حادثان وجو الناقشات على أشده .. أحدهما عربي، والآخر دولي .. ولابد لي وللمواطن العربي من وقفة لنمسك أنفاسنا، ونفتح عقولنا، ونتأمل...

الحدث الأول، أثاره الملك فيصـل بشـأن اسـتئناف ضـخ البترول لكل من أمريكا وبريطانيا .. وقد مهَّد لهذا الموضـوع منذ السـابع من شـهر تموز ... ففي ذلك اليوم أعلن الملك فيصـــل من إذاعة جدة أنـه " يجب على الدول العربية البترولية أن تسـتأنف شـحن البترول إلى بريطانيا وأمريكا، لأنه لم يثبت لديه أن هاتين الدولتين قد سـاعدتا إسـرائيل على العدوان .. وأن المواطنين السـعوديين يطالبونه بإعادة النظر في موضوع وقف البترول حرصاً على اقتصاد البلاد .. وأنه لا يسـتطيع إلا الاسـتجابة لمطالب المواطنين .. وأن الملك حسـين قد أدلى بتصـريحات متعددة أثناء زيارته لأمريكا وأوروبا أكد فيها أن بريطانيا وأمريكا لم يكن لهما ضـلع في العدوان الإسـرائيلي على الدول العربية .. ". وشـهد شـاهد من أهله وأهلهم !!

والتقط راديو لندن هذا الحديث، فأنجد الإذاعة السـعودية التي لا يسـمعها أحد، فأذاعه في كل أرجاء العالم .. وتسـاءلت كل حبة رمل في صـحارى الجزيرة العربية، ومتى كان الحكم السـعودي، وأي حكم ملكي آخر، يقوم على مشيئة المواطنين ويستجيب لمطالبهم ؟؟

وقد اغتنم الملك فيصل الفرصة، فرصة اجتماع الرؤساء الخمسة في القاهرة، فعادت إذاعة مكة إلى الحديث عن البترول مرة أخرى فقالت " يجب إعادة النظر في موضـوع البترول،ويجب العودة إلى تزويد كافة الدول بالبترول حرصـاً على اقتصاد البلاد العربية..."

كان هذا هو الحدث العربي الذي آثاره جلالة الملك فيصـل بعد شـهر واحد من العدوان الإسـرائيلي .. ومتى؟.. في وقت اجتماع الرؤسـاء الخمسـة.. وفي

أكثر الأوقات حاجة للضـــغط على أمريكا، لتضـــغط بدورها على إســـرائيل للانسحاب من الأراضي العربية المحتلة..

أما الحدث الثاني، فهو مجيء جاكوب ماليك نائب وزير الخارجية السوفيتية، يحمل إلى القاهرة مقترحات سوفيتية لتسوية أزمة الشرق الأوسط..

وقد اجتمع الدبلوماسي السوفيتي بالرئيس عبد الناصر عدة مرات، واجتمع بالرؤساء الأربعة، واجتمع بي مرات، بعضها في السفارة السوفيتية، وبعضها في قصر القبة، وماذا كانت المقترحات السوفيتية ..

تتلخص هذه الاقتراحات كما عرضـــها الدبلوماســـي الســـوفيتي في الأمور الآتية:

أولاً- إن إســـرائيل كدولة معترف بها في الأمم المتحدة، أمر واقع لا مجال لإنكاره.

ثانياً – إن من حق إسرائيل السيادة على أراضيها والأمن لشعبها...

ثالثاً – إن حالة الحرب بين الدول العربية وإسـرائيل التي اسـتمرت منذ عام 1947 يجب أن تزول، باتفاق جميع الفرقاء المعنيين.

رابعاً – إنه يجب تعيين حدود نهائية لدولة إســـرائيل بالاتفاق مع الدول العربية.

خامساً – إن إسرائيل يجب أن تمارس حق المرور البري في قناة السويس وفي خليج العقبة.

سادساً – إن قضية اللاجئين، عودتهم أو تعويضهم، يجب أن تبحث في مؤتمر دولي يشترك فيه جميع الفرقاء المعنيين.

سـابعاً – إن التفاهم حول الأمور المختلف عليها بين الفريقين، يجب أن يتم بمباحثات عن طريق وسيط دولي يختاره مجلس الأمن.

ثامناً – إن التفاهم مع الولايات المتحدة حول هذه القضـــايا أمر ممكن ومرغوب فيه .

تاسعاً – إن الوفود العربية قد أخطأت خطأً بالغاً في أنها صوتت في الدورة الطارئة ضد مشروع الدول اللاتينية، فإنه مشروع جيد ..

عاشراً – إن الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة مستعدان لبذل جهود جديد في الأمم المتحدة لاســتصـــدار قرار من الأمم المتحدة في إطار المبادئ الآنفة الذكر.

وفي خلال عرض هذه لآراء، أضاف الدبلوماسي السوفيتي أن رؤساء الدول الشـــيوعية في اجتماعهم الذي عقد أخيراً (1967-7-12) قد اتفقوا على اسـتخدام الوسـائل المناسـبة من أجل إعادة السـلم للشـرق الأوسـط، ومن أجل التعاون والتنسيق الاقتصادي بين الدول الشيوعية والدول العربية...

ولم يجد الدبلوماسـي السـوفيتي موافقة على مقترحاته من الرؤسـاء الخمسـة، ولا مني بوصــفي رئسـياً لمنظمة التحرير الفلسـطينية.. وعاد إلى موسـكو وهو يقول لي قبل سفره : لعلي الدبلوماسي الوحيد في العالم الذي قابل خمسة رؤساء دول، ورئيساً من غير دولة (يعني المنظمة) لأبحث معهم في مهمة أستطيع أن أسميها " المهمة المستحيلة".

قلت : إنها مهمة مسـتحيلة فعلاً .. إن هذه المقترحات فيها تصـفية للقضـية الفلسـطينية.. فكيف تريد من الدول العربية ومن الشـعب الفلسـطيني أن يوافق عليها ..

قال : جربوا .. ولو مرة واحدة ..

قلت : وما الفائدة من التجربة .. لقد أصدرت الأمم المتحدة عشرات القرارات بشأن القضية الفلسطينية ولم ينفذ واحد منها ,,, بشأن عودة اللاجئين، بشأن القدس .. وأخيراً بشأن النازحين الذين نزحوا بعد العدوان الإسرائيلي الأخير.. كلها بقيت حبراً على ورق..

ولم يستطع الدبلوماسي السوفيتي أن يقول شيئاً .. وعاد إلى موسكو ليقدم إلى القادة السوفييت تقريراً عن " المهمة المستحيلة " ...

وانتهت مباحثات الرؤساء الخمسة، واتفقت كلمتهم على عقد مؤتمر قمة في الخرطوم لوضع الخطة العربية الشاملة، وأصدروا بيانا جاء فيه : "أكد الرؤساء ثقتهم المطلقة في أن إمكانيات الشعب العربي الضخمة وقدراته الخلاقة كفيلة بأن تحيل هذه الانتكاسة إلى منطلق جيد نحو الأهداف الشريفة والعادلة.. وقد اتفق الرؤساء العرب على اتخاذ الإجراءات الفعالة الكفيلة بإزالة آثار العدوان الاستعماري الصهيوني على الوطن العربي .. كما أجمع الرؤساء على ضرورة تحديد علاقة الدول والشعوب العربية مع الدول الأخرى على ضوء موقفها تجاه العدوان والآثار المترتبة عليه .. واقترح السيد إسماعيل الأزهري رئيس مجلس السيادة السوداني عقد اجتماع لوزراء الخارجية العرب في الخرطوم ووافق الرؤساء على هذه الدعوة، ووافقوا على أن يحضر وزراء الخارجية هذا الاجتماع في وقت قريب ...

هذه هي سطور البيان، أما ما بين السطور فقد كانت في هذا البيان أمور أخرى كان فيها:

أولاً – إن الملك فيصـــــل ومعه الدول البترولية الأخرى يجب أن يحددوا علاقتهم ببريطانيا وأمريكا " على ضوء موقفهما من العدوان الإسرائيلي".

ثانياً – إن على جميع الدول العربية أن تضع كافة قدراتها في المعركة، وأن تتم تعبئة الطاقات العربية وفق ما تجمع عليه الدول العربية في مؤتمر الخرطوم.

ثالثاً – إن الأمم المتحدة ومعها المساعي السياسية والدبلوماسية ليست بديلا عن المعركة.

رابعاً – إن الصداقة مع الاتحاد السوفيتي تحكمها كذلك العبارة الواردة في البيان، وهي أن " الدول العربية تحدد علاقتها مع الدول الأخرى على ضـــــوء موقفها من العدوان الإسرائيلي..".

خامساً – وإن الرئيسين العراقي والجزائري سيسافران إلى موسكو،ليناشدا الاتحاد السوفيتي باسم الأمة العربية أن يتخذ موقفاً أشد صلابة وحزماً، ويبادر إلى تقديم العون العسكري والاقتصـــاد الذي يمكن الدول العربية من استئناف القتال ..".

وقد تم فعلاً تنفيذ البند الأخير .. فقد انتهى الرؤساء الخمسة من اجتماعهم .. واستقل الرئيسان العراقي والجزائري طائرة إلى موسكو .. بينما عاد الرؤساء الآخرون إلى بلادهم .

وكانت زيارة الرئيسين العربيين إلى موسكو قصيرة جداً، ولعلها أقصر زيارة رسمية في تاريخ العلاقات العربية السوفيتية .. فقد كانت يوماً واحداً فقط، منها أكثر من أثنتي عشرة ساعة في مباحثات مع قادة السوفييت .. صدر في نهايتها بيان رســـمي جاء فيه: " إن المحادثات بين الرئيســـين عارف وبومدين وقادة الاتحاد الســـوفيتي أظهرت أن الاتفاق كان تاماً بينهم على أن تصـــفية آثار

العدوان الإسرائيلي هي أهم شرط لإعادة السلام إلى الشرق الأوسط .. وقد أبلغ الرئيسان العربيان زعماء الاتحاد السوفيتي ما دار في الاجتماع الخماسي العربي .. وأبلغ السيدان كوسيجين وبريجنيف بدورهما ما دار في اجتماعات الدول الشيوعية الذي انعقد في بودابست في 12 يوليو 1967".

ولم أشأ أن أسمح لممارستي الطويلة في فهم العبارات السياسية أن أستنتج ما فهمته في هذا البيان الرسمي، فما هو إلاّ يوم واحد إلا وعاد الرئيسان العربيان من موسكو إلى قصر القبة رأساً، من غير استقبال في المطار.

واجتمعت مع الرئيسين العربيين، وذكرا ما دار بينهما وبين قادة السوفييت ... وعادا دون أن يستطيعا إقناع قادة السوفييت بالضرورة الملحة لاستئناف القتال ..وأن الاتحاد السوفيتي، كما قال الرئيس العراقي في ختام الحديث: لا يزال يؤمل خيراً في الأمم المتحدة، وأنه يمكن الوصول إلى تسوية سلمية، ولكن الأمر يحتاج إلى صبر، وإلى جهود سياسية واسعة .. وأن على الدول العربية أن تقوم باتصالات مع جميع دول العالم وأن لا يقتصر الجهد العربي عل أروقة الأمم المتحدة ....

هذا ما عاد به الرئيسان العربيان إلى القاهرة ... مجموعة من النصائح السياسية القيمة، يمكن أن تقدمها أية دولة أخرى لا تملك حشداً ضخماً من الأساطيل في البحر الأبيض المتوسط .. وليس لديها أسلحة متقدمة تحسم مصير المعركة .. وفي أقل من الأيام الستة..

وهكذا تأكدت أني فهمت البيان العربي السوفييتي على حقيقته حين قال إن الاتفاق ببين الجانبين، لم يكن على استئناف القتال،كما قال البيان، على أن

تصفية آثار العدوان هي أهم شرط لإعادة السلام إلى الشرق الأوسط .. وهذه بديهية ولا تحتاج إلى بيان، فبأي آلاء ربكما تكذبان!!

ومرت أيام وجاءت ذكرى العيد الخامس عشر للثورة (23 تموز – يوليو) فألقى الرئيس جمال عبد الناصر أول خطاب له بعد النكسة، استعرض فيه أسباب الهزيمة شارحاً دور الخديعة الأمريكية بالتفصيل، والظروف والملابسات التي سبقت المعركة، مع التركيز على دور باخرة التجسس الأمريكية " ليبرتي " التي ضربتها الطائرات الإسرائيلية " خطأً "!!

ثم انتقل إلى الموقف العربي فقال:" حصلت اجتماعات في القاهرة .. الحقيقة هذه لم تكن اجتماعات مرتبة أبداً، الرئيس بومدين بعث لي أنه جاي القاهرة الصبح ... واستقبلنا بومدين ..الملك حسين برضه بعث رسالة وقال أنه يحب يجي القاهرة .. قلنا له أهلاً وسهلاً، وجه .. برضه الأخ عبد الرحمن عارف وماعرفتش أنه حيوصل القاهرة إلا قبل ما يوصل بساعة. وبعدين جاء الرئيس الاتاسي من سوريا، والرئيس الأزهري من السودان، وعلى هذا انعقد الاجتماع بدون تدبير واتكلمنا فيه على إزالة آثار العدوان .."

وهنا أرهف الكثيرون آذانهم لعلهم يسمعون شيئاً عن رحلة الرئيسين عارف وبومدين إلى موسكو ولو بكلمة عابرة ... ولكن الرئيس عبد الناصر قفز عن الموضوع من غير إشارة .. وكان على حق في ذلك فالاتحاد السوفيتي كان الدولة الوحيدة التي تمد الجمهورية العربية المتحدة بالعون الاقتصادي والعسكري.

وتابع الرئيس عبد الناصر خطابه قائلاً : وهل يحجب هذا المؤتمر إمكانية عمل عربي .. يقول لا يجب أن ينزل الحكام على رأي الشعب العربي في كل

بلد عربي .. والمعركة تستدعي تعبئة كل بندقية عربية وكل جنيه عربي .. وأنا بقول أن أحنا لازم نروح مؤتمر قمة علشان نضع كل واحد قدام مسئولياته .. نحن مستعدين نروح مؤتمر القمة واللي عايز يساهم في المعركة يساهم واللي مش عايز يساهم ميساهمش .. ولكن النهارده إحنا للي بنعبأ للمعركة ..وجرايد الملك فيصل لا تشارك بأي شيء إلا أنها تنتقدنا .. طبعاً يمكن بعثوا لواء بعد انتهاء المعارك وبعد إيقاف النار إلى الأردن.

واستطرد الرئيس عبد الناصر بعد ذلك مطمئناً المملكة العربية السعودية وأخواتها فقال :" إحنا لسنا ضد أي بلد عربي .. إحنا منغيرش النظام الاجتماعي في أي بلد عربي .. وإحنا مش ضد نفوذ أي بلد عربي .. ولكن نريد لأي بلد عربي أصيل .. حقيقي .. وحينما أقترح رئيس جمهورية السودان مؤتمر القمة وافقنا، ولكن نريد ضمانات نجاح لمؤتمرات القمة..".

تلك هي الملامح العامة للصورة التي أرادها الرئيس عبد الناصر لمؤتمر القمة الذي سينعقد في الخرطوم..

وبقيت الجماهير العربية أربعين عاماً، بعد ذلك، في انتظار مؤتمر القمة في الخرطوم وهي تتساءل ..

- هل سيكون مؤتمر الخرطوم كمؤتمرات القمة الثلاثة التي انعقدت قبل الهزيمة، قرارات من غير تنفيذ؟.
- هل سيضع مؤتمر الخرطوم كل طاقات الأمة العربية في المعركة ؟
- هل ستنبثق عن مؤتمر الخرطوم خطة عربية شاملة، عسكرية وسياسية واقتصادية لإزالة آثار العدوان؟؟
- وهل يستخدم البترول كسلاح فعال في المعركة ؟

- وهل .. وهل .. وغير ذلك من التساؤلات والتساؤلات ... وقد غاب عنا قول الله تعالى في كتابه الكريم ..

" يأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء أن تُبدَ لكم تسؤكم".

صدق الله العظيم

حديث الأسرار..

بيني وبين عبد الناصر

كان العيد الخامس عشـــر لثورة 23 يوليو (تموز) 1967، هو العيد الأول بعد النكبة .. وامتزجت انتصـــارات الثورة بانتكاســـات النكبة، وســـنترك للتاريخ وحده أن يحكم أيهما أرجح .. ومعالم الرجحان لا تتجلى إلا بعد هدوء العواصف والعواطف...

وكنت في ذلك اليوم أجلس على المنصـــة الرئيســـية في جامعة القاهرة، أســـتمع إلى خطاب الرئيس عبد الناصـــر، وهو يقلب أوراقه بين يديه، ينتقل من موضوع إلى موضوع .. ويدير بصره في الحاضرين من شرفة إلى شرفة .

ووصـــل الرئيس عبد الناصـــر إلى الصـــفحة الأخيرة من خطابه، فركّز بصره عليَّ، وكأنه يريد أن يخاطبني وحدي، وقال :

" إن الطريق الوحيد أمامنا رغم النكسـة هو المحافظة على حقوق شـعب فلسـطين، ولن تتخلى عن حقوق شـعب فلسـطين .. هذا أسـاس القضـية .. ولا يمكن رغم النكسـة ورغم احتلال سـيناء أن تتخلى عن حقوق شـعب فلسـطين ..

وإني أثق أن أجيالاً قادمة سوف تلتفت إلى هذه الفترة وتقول : كانت تلك من أقسى فترات نضالهم،ولكنهم كانوا على مستوى المسئولية وكانوا الأوفياء لأمانتها .. وفقكم الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .."

كانت هذه الكلمات هي آخر ما جاء في خطاب الرئيس عبد الناصر في ذكرى ذلك اليوم المنتصر المنكسر .. وانصرف الرئيس عبد الناصر إلى صالة الاستراحة في جامعة القاهرة، ودخلت عليه مع نوابه ووزرائه للسلام والتحية:

وقلت : الخطاب عظيم، ختامه مسك ...

قال : هو ماعجبكش إلا عن فلسطين ...

قلت : الخطاب كله موفق ، خاصة عن فلسطين ..

قال :أنا ما شفتك من يوم ما سافرت مع الملك حسين إلى عمان بطائرته (1967/5/30)..

قلت : اجتمعنا في قصر القبة أثناء زيارة بودجورني .. واجتماعات القمة الخماسية ..

قال :لا، هذه اجتماعات عرضية ... أشوفك بكرة .. تعال عندي إلى البيت ..

وفي اليوم التالي (24 تموز: يوليو) خرجت من مكتبي إلى منشية البكري.. وإلى منزل الرئيس عبد الناصر .. وتأخر الرئيس نصف ساعة عن موعده .. وحسبت أني مخطئ في الموعد، أو أن ساعته مخطئة .. وبدر لي أن أخرج إلى المكاتب المجاورة، وهي مكاتب السكرتارية، لأتأكد من صحة الموعد .. وإذا بالرئيس عبد الناصر يدخل الصالة، وتدخل يداه وساقاه قبله ..

وهو يقول .. أنا تأخرت عليك .. قبل قليل جاءتني الميزانية الجديدة، كنت أدرسها، نحن الآن نعد ميزانية تقشف، استعداداً للمعركة...

ثم قال : أحكي لي ... من الأول .. ومن يوم سافرت مع الملك حسين ...

ورويت للرئيس عبد الناصر على ساعة ويزيد ما كان من أمر سفري مع الملك حسين، وما جرى بيني وبينه من أحاديث حول المعركة، وعن سقوط القدس، ثم سفري إلى دمشق وبيروت- وأثينا – وطرابلس ليبيا – والقاهرة إلى آخر تفاصيل الرحلة الطويلة .. كما رويتها في مذكراتي..

وقلت : ولكني أريد أن أسمع عن ظروف المعركة، هنا ... ليس عندي من المعلومات إلا ما قرأته في الصحف.

قال : المعركة أشبه بالحلم، بالخيال، لا أكاد أصدق ما وقع، المعركة انحسمت في اليوم الأول، بعد أن دمر العدو سلاحنا الجوي ومطاراتنا .. القيادة العسكرية وقعت في ارتباك شديد .. أنا كنت أقدر أن المعركة واقعة لا محالة، وأنها ستقع في الخامس من يونو، وأن الضربة الأولى ستكون موجهة على سلاحنا الجوي، وأنا حذرت القيادة العسكرية بنفسي، ولكن القيادة العسكرية لم تأخذ الموضوع بالجد الكافي .. تصور أن قيادتنا العسكرية بكاملها وعلى رأسها المشير عامر، ومعه الفريق صدقي قائد سلاح الجو، قد غادروا مطار القاهرة إلى سيناء في صباح الخامس من يونيو قبل العدوان الإسرائيلي بـ 5 دقائق في طائرة خاصة، وفي طريقها مرت على مطاراتنا العسكرية فلم تتمكن من الاتصال بها، بعضها كانت تحت اللهب، وبعضها كان يتصل بطائرة المشير ليخبرها أن مطارهم تحت القصف من قبل العدو .. وعادت طائرة المشير إلى القاهرة دون

أن تجد مطاراً واحداً قادرا على استقبالهم .. حينئذ أدركت القيادة العسكرية أن العدو قد قام بهجوم شـامل علينا، وقد هبطت طائرة المشـير في مطار القاهرة الدولي، ونزل منها المشـير عامر والفريق محمود صـدقي وأركان القيادة العسكرية، وبعد أن غادروها ببضع دقائق ضربتها الطائرات الإسرائيلية وجعلوها كومة نار ...

وتابع الرئيس عبد الناصر حديثه وهو يمسك أنفاسه وقال ... إن نكبتنا هي نتيجة أخطاء متراكمة منذ سـنين .. بعض الناس يظنون أني أنا الحاكم بأمر الله في القاهرة، وأنه كان يجب عليَّ أن أتجنب كل الأخطاء .. أنا لا يمكنني أن أكون بجوار كل ضـابط وكل موظف لأطمئن على أنه يقوم بواجبه على أكمل وجه.. البلد فيها مراكز قوى كثيرة غيري، أنا لست مسيطراً على كل شـيء .. المرحوم عبد الحكيم عامر كان أعز عليَّ من إخواتي، ومع هذا كم وكم كنا نختلف، ونبقى نتجادل إلىالفجر حتى نسـوي خلافاتنا فيما بيننا .. هو يتنازل شـوية وأنا أتنازل شـوية ويتم الاتفاق .. لم تكن كل الأمور كما أريدها، كان في قوى كثيرة في البلد تتصارع، ولم يكن بالإمكان لا الاستغناء عنها، ولا اصلاحها بالكامل، كنت أعمل ما استطيع... الخلاصة أنه يوم جاءت المعركة كانت هذه أوضاعنا....

ومضى الرئيس عبد الناصر في حديثه قائلاً :

بعد ثلاثة ساعات من العدوان أصبح جيشنا بدون غطاء جوي – أولادنا قاتلوا قتالا شجاعاً في اليوم الأول والثاني .. والذي بقي من سلاحنا الجوي قام بغارات انتحارية علىالعدو وأنزل به خسـائر فادحة .. مصـفحاتنا ودباباتنا خاضـت معارك رهيبة مع العدو وتغلبت عليه في عدة مواقع، ولكنها كانت من

غير غطاء جوي .. خسرنا خسائر كبيرة أثناء الانسحاب، وانسحابنا لم يكن منتظماً . ففي العدوان الثلاثي عام 1956 قررنا الانسحاب من سيناء وأنا أعلنته بنفسي، وبذلك تجنبنا أن يقع جيشنا في كارثة .. ولكن هذه المرة كان الانسحاب كارثة، لأن القيادة لم ترتب الأمور .. أولادنا العساكر والضباط وصف الضباط مقاتلون أبطال، ولكن مشكلتنا في الضباط الكبار، نحن الآن نسرح العشرات من الضباط الكبار، وسنقدم المسئولين إلى المحاكمة .. نحن الآن نعيد بناء الجيش من الصفر .. خسرنا ثمانيين في المائة من أسلحتنا، وما لا يقل عن عشرين ألف شهيد وأسير وجريح ومفقود.. وكان معظمهم في أثناء عملية الانسحاب، الذين فقدناهم في المعركة أثناء الالتحام مع العدو كانوا بضع مئات، ولكن الذين فقدناهم أثناء الانسحاب يتجاوزون الألوف، الطيران الإسرائيلي كان يتعقب جنودنا في كل مكان في الصحراء، وكثيرون ماتوا عطشا وتعبا، ولم يستطيعوا الوصول إلى منطقة القنال وهم على قيد الحياة.

وقلت للرئيس عبد الناصر : أريد أن أستوضحكم عن مسألة هامة، هي حديث الجماهير العربية في كل مكان ... هذه المسألة تتعلق بالخطة العسكرية .. أنا أعرف عدداً من العسكريين يرددون أنه كان يجب أن يقوم الجيش المصري بالمبادرة العسكرية، بالهجوم على إسرائيل ... إنهم يقدرون أن تكون النتيجة أقل سوءاً حتى لو انتهت المعركة إلى هزيمة ... وأنا أذكر أن المارشال مونتغمري كان قد عقد ندوة عسكرية في أكاديمية ناصر (في 15 مايو (أيار) 1967) وقد حضر هذه الندوة كبار العسكريين في مصر، وحضر معهم ثلاثة من ضباط جيش التحرير الفلسطيني، وقد طرح السؤال في هذه الندوة عن احتمالات الحرب مع إسرائيل ... وأن المارشال مونتغمري قد حذر الجيش

المصري من أن يحارب حرباً دفاعية في سيناء، وذكر أسباباً كثيرة تأييدا لرأيه .. والمهم أن مونتغمري قال هذا الكلام قبل المعركة بعشرين يوماً ...

وقاطعني الرئيس عبد الناصر وقال : لقد وصلني تقرير كامل عن ندوة المارشال مونتغمري ... الفريق عبد المنعم رياض حدثني عنها شفوياً في اليوم نفسه... وأنا طلبت منه أن يلتقي بالمارشال مونتغمري في جلسة خاصة حتى يعرض عليه أوضاعنا ... إن كلام المارشال مونتغمري يقوم على أساس خطة مثالية ... ولكننا لنا أوضاع تفرض علينا خطة الدفاع .. فلاسفة الحرب في العالم العربي أصبحوا الآن يتشدقون ويتساءلون، لماذا، عبد الناصر لم يهجم .. الناس يقولون إن عبد الحكيم عامر كان يريد الهجوم وعبد الناصر كان مخالفاً ... الواقع غير هذا بالمرة ... الحقيقة أنه في 22 مايو كان اجتماع اللجنة التنفيذية في بيتي، كنا جالسين هنا في هذه الحجرة .. قلت للجنة التنفيذية العليا إن احتمالات الحرب 50 في المائة، وفيما بعد عقدنا اجتماعاً آخر وقلت: إن احتمالات الحرب 80 في المائة .. وفي اجتماعاتنا السياسية والعسكرية كان واضحاً من البداية أن عملنا دفاعي، وأننا لن نقوم بالهجوم ... وفي هذه الاجتماعات لم يتكلم المشير عامر ولا خلافه بشأن الهجوم على إسرائيل، وكنت دائماً أوضح ، أي عمل هجومي على إسرائيل سيعرضنا لمخاطر كبيرة، وأول هذه المخاطر هو أن تهاجمنا أمريكا، وتصريحات أمريكا واضحة في هذا الموضوع .. وكانت عمليتنا كلها هي عملية دفاعية نقصد من ورائها أن نردع إسرائيل حتى لا تقوم بأي عدوان على سوريا ... وفي بداية شهر يونيو أصبح احتمال الحرب مئة في المئة .. وفي يوم 2 يونيو ذهبت إلى القيادة العسكرية وقلت لجميع المسئولين العسكريين إن إسرائيل ستوقع ضربتها علينا في خلال

24 ساعة إلى 72 ساعة ... بل إني توقعت أن تكون الضربة الأولى في يوم 5 يونيو بالتحديد على سلاحنا الجوي.

قلت : ألم يكن ممكناً الاستمرار في القتال .. حتى بالقوات الباقية ...

قال : كان هذا ممكناً لو أن الجبهة السورية بقيت ثابتة .. لو أن الجيش السوري استمر في القتال، لا يمكن أن نستمر في القتال الجيش السوري لم يقاتل في بداية المعركة .. كان نشاطه قاصراً على مناوشات جوية وأرضية ... كان العدو واضعاً كل ثقله على جبهة سيناء .. ولما خلَّص علينا خلَّص على سوريا .. سوريا لم تحارب ... إسرائيل هي التي حاربت سوريا .. كان يمكن الجيش السوري أن يصمد في الجولان أسبوعين .. تحصينات الجولان عظيمة، أنا أعرفها، بالإضافة إلى حصانتها الطبيعية، إنها ليست مثل سيناء صحراء مكشوفة .. نحن أصلاً قمنا بهذه العملية من أجل سوريا، ولما دخلنا المعركة إخواننا البعثيون لم يحاربوا، أنا اتصلت بالدكتور الاتاسي يوم خمسة يونيو بالتلفون، وناشدته أن يبدأ الجيش السوري بالهجوم على إسرائيل، سهل الحولة ومنطقة طبريا وصفد تحت رحمة الجيش السوري.. مصافي البترول في حيفا ليست صعبة المنال على سلاح الجو السوري .. ولكن إخواننا البعثيين ما أرادوا أن يحاربوا .. الجيش السوري بطل .. الشعب السوي بطل .. لكن المشكلة البعثيون.

قلت : لقد كان الوفد السوري برئاسة الدكتور الأتاسي في القاهرة منذ بضعة أيام، ألم تسألوه عن الأسباب؟

قال : ليس الوقت وقت عتاب ولا تحديد مسئوليات.. كل الذي قالوه أنهم فوجئوا في المعركة، وأنهم لم يظنوا أنها معركة شـــاملة، وأنها مثل المعارك المحدودة السابقة..

قلت : أنا أعرف الوضع العربي جيداً وكذلك فإني أعرف الوضع الدولي جيدا وخاصـــة الموقف العدائي الذي وقفته الولايات المتحدة وحلفاؤها .. يهمني أن أعرف موقف الاتحاد السوفيتي.

قال : ولماذا نحاسـب الاتحاد السـوفيتي .. نحن أولى بالحسـاب .. صـــحيح أن موقف الاتحاد الســـوفيتي قبل المعركة وأثناءها وبعدها لمن يكن الموقف المطلوب .. لم يكن موقفاً حســـناً .. ولكن موقف إخواننا البعثيين كان أخطر بكثير .. نحن لا نتوقع من الروس أن يحاربوا معنا .. المعركة معركتنا نحن العرب، ونحن الذين يجب أن نحارب ..

لما جاء الملك حســين إلى القاهرة في آخر شـــهر مايو ووقعنا اتفاقية الدفاع المشترك مع الأردن .. أنا اتصلت تلفونياً بالرئيس الأتاسي وأخبرته بكل ما جرى بيننا وبين الملك حســين ..وأخبرتهم أننا مقبلون على معركة، وأن الموقف يفرض علينا أن نتفاهم مع الملك حسين وأنت عارف الموضوع من أوله لآخره .. وكان حديث الرئيس الأتاســـي فاتراً .. ثم علمت أن إخواننا البعثيين طبعوا عدة صـور عن اجتماعنا في القاهرة – أنا والملك حسـين وأنت – وكتبوا تحت صـــورنا " العملاء الثلاثة"، ووزعوها على مكاتب الحزب ودوائر الحكومة، وبقيت هذه الصـــور معلقة عندهم ولم يســحبوها إلا عند انتهاء المعركة .ثم إنه بلغني أن الدكتور إبراهيم ماخوس (وزير الخارجية الســـورية) كان يردد في أحاديثه بعد الهزيمة قوله .. بأنهم جروا رجلي إلى المعركة ..

وتابع الرئيس عبد الناصر حديثه، وهو يسحب سيجارته عميقاً إلى صدره .. قائلاً : المعركة ليست معركة عبد الناصر ولا معركة مصر وحدها .. إذا أنا انكسرت، وانكسرت مصر .. فليست الهزيمة علينا وحدنا، إنها هزيمة العرب، وماذا يستفيد البعثيون في دمشق إذا انكسرت مصر وانكسر عبد الناصر، فليتفضلوا ويقودوا الأمة العربية إلى النصر، أنا أعرف أن البعث في دمشق يريد أن يتولى قيادة الأمة العربية ، فليتفضلوا، الساحة أمامهم مفتوحة، المعركة أمامهم جاهزة الآن .. لقد انكسرت أنا وانكسرت مصر فليتفضلوا ويقودوا وأنا أمشي وراءهم، وأضع نفسي تحت تصرفهم، وإذا انتصروا فسأضع أكاليل الغار بيدي في رقابهم ...

ومضى الرئيس عبد الناصر يتحدث عن حزب البعث فقال: أنا أعلنت عدة مرات إني أتحمل المسئولية كاملة بالنسبة للنكسة التي حلت بنا .. والواقع أن حزب البعث يتحمل المسئولية الكبرى، ألم يكن حزب البعث هو الذي كان يتحرش بإسرائيل في منطقة الحولة .. ألم يكن هو الذي يتعرض للمستعمرات اليهودية على الحدود باستمرار، ألم يكن هو الذي استغل حماسة الشباب الفلسطيني وكان يحرضهم على أعمال فدائية قبل أن نستكمل استعداداتنا العسكرية، لقد فعلت كل جهدي لأتفاهم مع حزب البعث في سوريا ولكني لم أنجح، إنهم يريدون رأس عبد الناصر، بعد الانفصال مع سوريا حاولت كل جهدي أن أتفاهم مع حزب البعث .. في شهر مايو، بعد أن حشدت إسرائيل قواتها على الجبهة السورية أنا أرسلت الفريق فوزي يعرض أسراباً من سلاحنا الجوي لتتواجد في سوريا، العسكريون السوريون كانوا موافقين ولكن القيادة السياسية لم توافق .. لو كانت بعض قواتنا الجوية موجودة في سوريا أثناء

العدوان الإســرائيلي لأمكننا أن نغير ســير المعركة .. ولكن حزب البعث كان خايف منا، خايف من عودة الوحدة، أكثر من خوفهم من إسرائيل...

وتابع الرئيس عبد الناصـــر حديثه قائلاً : وأنا تخليت عن الوحدة من أجل التفاهم مع البعث .. حتى أني أغضبت الوحدويين في سوريا، جميع القوى الوطنية في سـوريا كانت زعلانة مني لأني سـرت مع حزب البعث، اعتبروا إني خذلتهم وتخليت عن قضية الوحدة .. وكانت النتيجة أنه في صباح الخامس من يونيو كان إبراهيم ماخوس في وزارة الخارجية في دمشق يكتب مذكرة لترسل إلى الســفارات الســورية في الخارج بأن حزب البعث هو الذي فجر المعركة، وأن المعركة تسير نحو النصر، وأن الفضل يعود في ذلك إلى حزب البعث .. وفي سـتة يوينو، بعد أن ظهرت المعركة لا تسـير في صـالحنا، عدل ماخوس عن المذكرة، وراح يكتب مذكرة أخرى بأن عبد الناصـــر هو ســـبب الهزيمة،وأني ورطت حزب البعث وقرروا أن يسحبوا الجيش السوري من الجبهة وأن تنسحب الحكومة من دمشـق إلى حمص، وكانت حجتهم في ذلك أنه يجب الحفاظ على نظام الحكم، وأن العدو الإسـرائيلي إذا احتل الأرض يمكن اسـتردادها، لكن إذا سقط النظام لا يمكن إعادته .. وهذا ما جرى فعلاً .. فقد انسحبت الحكومة إلى حمص وانسحب الجيش، ولم يبق في دمشق إلا القادة العسكريون..

كان الرئيس عبد الناصر يتحدث بمرارة وعيناه الواسعتان تشعان غضباً وحزناً، فأمسـكت بزمام الكلام لأعطيه فرصــة برشـف فنجان القهوة الذي طال انتظاره ويهدأ روعه بعض الشيء، وأخذت أتحدث عن جيش التحرير الفلسطيني في قطاع غزة وكيف أن القوات الفلســطينية خاضــت معارك ضــارية في وجه

القوات الإسرائيلية وكبدتها خسائر فادحة في الضباط والأفراد والعتاد، وكيف أن خانيونس قد دخلتها القوات إسرائيلية ثلاث مرات، وأخرجت ثلاث مرات.

واسترسلت في هذه الحديث، وقاطعني قائلاً .. ليت الآخرين مثل جيش التحرير الفلسطيني والشعب الفلسطيني، أنا جاءتني تقارير عن بطولة جيش التحرير في قطاع غزة .. وعلمت أن عدداً من الضباط الفلسطينيين قد انسحبوا مع زملائهم المصريين، وأنا أصدرت أن يعاملوهم مثل الضباط المصريين.

وهنا سألني عبد الناصر: وكيف أحوال المنظمة في الظروف الحاضرة ...

قلت : الشعب والجيش على روح معنوية عالية .. في قطاع غزة والضفة الغربية الأهالي مستعدون للمقاومة المسلحة .. وأنا ما كنت أريد أن أزيد متاعبك بالحديث عن متاعبي ولكن ما دمت تكلمت عن البعثيين، فلا بأس من أن أنقل إليك خبرا مثيراً للذهول .. لقد قررنا في المنظمة بعد النكسة أن نبدأ مقاومة مسلحة ضد الاحتلال الإسرائيلي في داخل البلاد، وقد أفرزنا ثمانية عشر ضابطاً من جيش التحرير من أبناء الضفة الغربية وقطاع غزة لنرسلهم إلى داخل البلاد، إلى مدنهم وقراهم، عند أهلهم وذويهم، ليبدأوا إنشاء خلايا مدربة على السلاح، وتشرع في القيام بحرب العصابات .. وسافر ضباطنا إلى دمشق، ليسافروا منها إلى عمان، ومنها إلى الضفة الغربية... وفي دمشق قبضت السلطة على ضباطنا،وأودعوا سجن المزة لثلاثة أيام، وأجرى معهم اللواء أحمد سويداني رئيس أركان الجيش السوري، تحقيقاً واسعاً، وتردد ضباطنا في بادئ الأمر أن يذكروا له الحقيقة، لكنهم، اعتزازاً بمهمتهم وتسهيلاً لإطلاق سراحهم، كشفوا له عن حقيقة مهمتهم، وما كان من اللواء سويداني إلا أن

اقتادهم في اليوم الرابع إلى مطار دمشق، وركبوا الطائرة إلى القاهرة، وهو يقول لهم " قولوا للشقيري الذي بعثكم، ما لكم طريق من هنا" ووصل ضباطنا الثمانية عشر إلى القاهرة، يروون لي هذه الحكاية، ولولا أن الذين قصوها علي كانوا ثمانية عشر ، لظننت أنها أضغاث أحلام، كما يقول العرب... ومع هذا فإن جيش التحرير الفلسطيني في سوريا، ويبلغ ستة آلاف، قد كان في الخطوط الأمامية أثناء المعركة .. نحن ندفع رواتب جيش التحرير في سوريا، وسوريا لا تدفع التزاماتها إلى المنظمة، ولا إلى جيش التحرير الفلسطيني.

وقال : وما هي أحوالكم المالية في الوقت الحاضر ...

قلت : معظم الدول العربية متخلفة عن التزاماتها .. ولا ندري كيف نستطيع الاستمرار في استبقاء جيش التحرير الفلسطيني ..

قال : بالنسبة لنا ..نحن نتقاسم رغيفنا معكم . وأنت تعلم أننا نعيش ظروفاً مالية صعبة، وسأصدر الأمر إلى الفريق فوزي أن يدفع مخصصات جيش التحرير الموجود عندنا من ميزانيتنا .. إلى أن يفرجها الله ..

وسألني الرئيس عبد الناصر : وكم كانت خسائر جيش التحرير في الجبهة السورية.

قلت : لم يصلني العدد الكامل حتى الآن.

قال : وهل تعلم أن خسائر الجيش السوري في المعركة كانت عشرين ضابطاً، ومائة وخمسة وعشرين جندياً .. وهذا العدد أقل من الضحايا الذين سقطوا أمام بيت الرئيس أمين حافظ لما قامت محاولة انقلابية عليه !!

قلت : يظهر أن القيام بانقلاب في دمشق أهم من الحفاظ على الجبهة السورية، وأغلى ثمناً من الدفاع عن الوطن ..

قال : البعثيون ليسوا وحدهم مصدر الشر في الوطن العربي .. مصيبتنا أيضاً في أبو رقيبة، وفي الحسن، وفي الحسين..

قلت : أنا أعرف هؤلاء الثلاثة .. ولكن هل من جديد بشـأنهم .. قال : الحسن الثاني يهاجمنا في مجالسه .. مثل الملك فيصل .. قال الملك حسين أن خطأنا الأكبر أننا لم نبدأ بالهجوم، وأنه لو كان هو مكاننا لكان البادئ بالهجوم. طيب يتفضـل يحل مكاننا ويتفضـل يهجم، من يمنعه من الهجوم. لكن هو قبل أن يتكلم فليخلص المغرب من النفوذ الاقتصـادي اليهودي .. اليهود في المغرب مسـتولون على زمام الاقتصـاد في المغرب. الحسـن الثاني ألقى القبض على مئات الطلاب والعمال والشباب لأنهم قاموا بمظاهرات وإضراب أيام حرب يونيو ... واعتقل محجوب بن صـديق الأمين العام لاتحاد العمال في المغرب بتهمة إهانة السـلطة . هل التحرك الوطني في المغرب يعتبر إهانة للسـلطة .. أما الحسـين ملك الأردن فلم ترك بلداً في أوروبا وأمريكا إلا وأعلن فيها أن أمريكا وبريطانيا لم يكن لهما ضـلع في العدوان الإسـرائيلي .. مع أن الملك حسـين اتصـل بي يوم 7 يونيو عند الفجر وقال لي أن 400 طائرة تهاجم الجبهة الأردنية، وأن أجهزة الرادار في الأردن اتضـح لها أن هذه الطائرات أمريكية وبريطانية .. والحبيب بور رقيبه بدأ يتكلم علينا بعدما انتهت الحرب .. وكذلك فإن الشـباب في تونس الذي قاموا بمظاهرات يوم خمسـة يونيو هم الآن في السجون،وينتظرون محاكمة عسكرية .. كيف نرجو خيراً للأمة العربية من أمثال هؤلاء الناس ..

قلت : بل إن الملك حسين قد فضح نفسه بنفسه، فقد أعلن في مؤتمراته الصحفية التي عقدها في الولايات المتحدة، بأنه كان مضطراً لتوقيع اتفاقية الدفاع المشترك مع الجمهورية العربية (30 أيار 1967) والدخول في الحرب، وأنه لم يكن له خيار نظراً للظروف التي كانت تسود المنطقة آنذاك .. على كل حال، هؤلاء الذين سيحضرون مؤتمر القمة المقبل ..

قال : أنا أعلم ما يقول الناس عن مؤتمر القمة، وصلتني تقارير عن مصر والبلاد العربية، أنه كيف عبد الناصر يوافق على حضور مؤتمر القمة في الخرطوم مع أنه هو الذي قاطع مؤتمرات القمة في سنة 1966، وأن هذا الموضوع يؤثر في كرامتي أنا وافقت على مؤتمر الخرطوم لأضع الجميع أمام مسؤولياتهم كرامتي الشخصية ليست موضوع بحث .. ولا يهمني كذلك إذا قيل أن حضوري مؤتمر القمة سيكون محل شماتة. أنا لا يهمني لا الشماتة ولا الكرامة . ولا أنا ذاهب لأحرج أحداً .. اللي عاوز يساهم في المعركة يتفضل .. واللي مش عاوز تترك حسابه لشعبه..

وعدت السؤال مرة ثانية .. ما هو موقف أصدقائنا الروس ..

قال : العلاقات الدولية لا يوجد فيها صداقة .. الروس يساعدوننا . لهم مصالح في المنطقة .. ونحن لنا مصلحة في مساعدتهم . أنهم يقدمون لنا معاونات اقتصادية وعسكرية .. نحن لا نستغني عن الروس في الظروف الحاضرة . أمريكا فرضت علينا حصاراً كاملاً .. ولم يعد أمامنا لا أن نمد أيدينا إلى الروس.

قلت : وماذا كان موقفهم قبل المعركة وأثناءها..

قال :طبعاً لا يساعدوننا كما تساعد أمريكا إسرائيل .. أمريكا تقدم لإسرائيل بدون حساب .. وروسيا تقدم لنا بعد ألف حساب وحساب .. أمريكا تريد أن تهزمنا إسرائيل بأي ثمن .. وروسيا لا تريدنا أن ننتصر على إسرائيل .. العملية عملية مصالح متوازنة .. الاتحاد السوفيتي يتطلع إلى قيام جمهوريات شيوعية في الوطن العربي، ونحن نقاوم ذلك بكل قوتنا، لا نريد استبدال استعمار باستعمار .. أنت تذكر أني تخاصمت مع خروشوف حول هذا الموضوع .. نحن لا نوافق على قيام نشاط شيوعي في المنطقة .. وأعلنا دائماً أن صادقتنا مع الاتحاد السوفيتي تقوم على أساس الاحترام المتبادل والمصالح المشتركة وعدم التدخل .

قلت : (وأنا أعود إلى السؤال مرة ثانية) ما هو موقف الاتحاد السوفيتي قبل المعركة وبعدها؟.

قال : أنا عارف من الأصل أن الروس لا يحاربون من أجلنا، ولا يريدون أن يصطدموا مع الأمريكان من أجلنا، وأن مصلحتهم هي بقاء إسرائيل حتى يظل النزاع مستمراً في الشرق الأوسط ،ونظل محتاجين للاتحاد السوفيتي .. لكن لا شك أن أمريكا قد انتصرت علينا وعلى الروس في هذه الحرب .. الأمريكان خدعوا الروس ،وقالوا لهم أن يضغطوا علينا وأن لا نبدأ بالقتال .. وحصل هذه فعلاً .. السفير السوفيتي أبلغني رسالة من قادة الاتحاد السوفيتي يلحون أن لا نكون البادئين بإطلاق النار، كما أن أمريكا ستضغط على إسرائيل .. يوم السبت في 3 يونيو مساء جاءني السفير السوفيتي وقال لي إن الاتحاد السوفيتي على يقين بأن الأزمة في طريقها إلى الهدوء، وإن إسرائيل لن تكون البادئة بالهجوم .. هذا مع العلم بأنه قبل أسبوع، لما كان عندنا يوثانت، سلمني

برقية وصلت إليه من الرئيس جونسون وهو في القاهرة يطلب أن يبلغني بأن أمريكا ترى أن إغلاق خليج العقبة في وجه الملاحة الإسرائيلية يعتبر عدواناً على إسرائيل ومن حقها أن تدافع عن نفسها .. ولكن ظهر الآن أن أمريكا لم تضغط على إسرائيل .. كان هنالك تواطؤ بين أمريكا وإسرائيل على ضرب القومية العربية ... أمريكا حققت سياستها وانتصرت .. الأمريكان كانوا أشطر من الروس .. أنا لا أريد أن أنسب سوء النية إلى الروس .. ولكن الروس تركونا وحدنا في المعركة .. كانت باخرة التجسس الأمريكية " ليبرتي " تساعد اليهود وأمريكا قدمت لإسرائيل كل المعلومات التي حصلت عليها عن طريق الأقمار الصناعية .. والأسطول الروسي كان في شواطئنا لا يفعل شيئاً، ولا بقدم لنا أي خدمة، ولو مظاهرة عسكرية، وانتهت المعركة وكأن الروس غير موجودين في المنطقة ... لقد كان الأسطول الروسي في شواطئنا وكان بإمكان الرادار السوفيتي في السفن الحربية السوفيتية أن يقدم لنا معاونات قيمة، ولكنه لم يفعل .. هذا مع العلم أن شمس بدران (وزير الحربية) حينما ذهب إلى موسكو في 25 مايو ليبحث مع الروس مدى المساعدات التي يمكن أن يقدموها لنا، أخبره قادة الاتحاد السوفيتي الثلاثة، بود جورني وبريجنيف وكوسيجين، أن موسكو تؤيد القاهرة من غير تحفظ ولو أدى ذلك إلى احتمال نشوب حرب عالمية ثالثة.

قلت : والأسلحة السوفيتية ؟ ألم يكن بالإمكان أن ترسل روسيا طائرات مقاتلة أثناء حرب الأيام الستة ؟

قال : الأسلحة السوفيتية التي كانت عندنا هي أسلحة دفاعية .. ليست أسلحة هجومية، الأمريكان أعطوا إسرائيل أسلحة أحسن من السلاح الذي قدمته روسيا لنا، مع أن الروس يملكون أسلحة متفوقة.

وحينما ضـرب العدو طياراتنا ومطاراتنا في خمسـة وسـتة يونيو طلبت من الاتحاد السـوفيتي أن يرسـل إلينا طائرات مقاتلة بدلاً من الطائرات التي فقدناها حتى نستطيع أن نواصل المعركة، وتردد قادة السوفيت في بادئ، وبعد إلحاح، وافقوا بشـرط أن تمر الطائرات المطلوبة عن طريق يوغسـلافيا .. وقد اتصلت بالرئيس تيتو فوافق على ذلك، ولكن الاتحاد السوفيتي أبدى خشية أن يتعرض الأسـطول الأمريكي للطائرات السـوفيتية حتى ولو كانت عن طريق يوغوسـلافيا، واقترحوا أن يرسـلوها إلينا عن طريق الجزائر، ووافقنا على ذلك، يوم 8 يونيو قالوا أن الأمر يحتاج إلى بضـعة أسـابيع .. وهكذا انتهت المعركة دون أن يمدنا الاتحاد السوفيتي بالطائرات المطلوبة ...

ووضـع الرئيس عبد الناصـر يده على جبينه، وهو يسـتذكر تلك الأيام الرهيبة .. وقال : ولقد وقع حادث آخر، ولا أزال في حيرة من تفسـيره ... ففي اليوم السادس من يونيو كانت وصلت إلى شواطئنا سفينة سوفيتية محملة بمدافع كنا طلبناها قبل العدوان، وبعد أن اقتربت من شواطئ الإسكندرية عادت إدراجها دون أن تفرغ شحنتها، بحجة أن الطائرات الإسرائيلية قد تقصفها .. مع أننا لو اسـتلمنا هذه الأسـلحة في وقتها لكان بإمكاننا الصـمود بضـعة أيام في مواقعنا الرئيسية في سيناء..

قلت : والأسلحة التي تصلكم الآن؟."

قال : نحن الآن محتاجون لكل شيء، لأي شيء، تحطم جيشنا وتدمر سـلاحنا.. نحن نبدأ من جديد .. ولذلك فنحن نقبل ما تعطيه روسـيا لنا، وبعد هذه المرحلة سـنطالب بطيران متفوق .. المعركة معركة طيران .. الطيران هو الذي يقرر مصـير المعركة .. وسـنطالب الروس أن يقدموا لا أجود طائراتهم،

خصوصاً أننا أصبحنا بعيدين الآن عن إسرائيل .. قبل حرب يونيو كانت مطاراتنا في سيناء قريبة من الأهداف العسكرية في إسرائيل .. أما الآن فإن الوضع قد تغير، هذا ما نؤمله من الروس في المرحلة الحاضرة ..

واستطرد الرئيس عبد الناصر قائلاً : والإذاعة السعودية تلاحقنا أن تتخلى عن صداقتنا مع الروس .. أنا مستعد أن أتخلى عن الروس، ولكن من أين نأتي بالأسلحة، حتى الدفاعية .. هل الملك فيصل يريد أن يعرفني على أهداف الاتحاد السوفيتي .. نحن نعرف الاتحاد السوفيتي جيداً .. نحن كنا في المعركة سنة 1948 في فلسطين ، وكانت تصلنا الأخبار عن مناقشات الأمم المتحدة ... وأنا لا أنسى أن جروميكو وزير الخارجية الروسية كان بدافع عن إسرائيل مثلا أمريكا وأشد، في مجلس الأمن كانت روسيا تسند إسرائيل .. كانت تعارض في خروج القوات الإسرائيلية من النقب .. وبقي الموقف الروسي عدائياً إلى أوائل الخمسينات ... هذه الأمور وغيرها نعرفها حق المعرفة .. أين كان فيصل لما كنا محاصرين في الفالوجة، وكان جروميكو في خطبه في الأمم المتحدة يساند إسرائيل علينا .. أنت عارف هذه الأمور كلها...

وكان الرئيس عبد الناصر يتحدث وكأنه وجد ضالته المنشودة .. كان يبحث عن شخص يحدثه عن همومه، ليخرجها من صدره، حتى يستريح ولو بعض الشيء .. وكان يريد أن لا يكون هذا الشخص ملكاً، ولا رئيساً ... وربما لا يريده أن يكون مصرياً ... فكنت أنا ذلك الشخص ... فلسطيني ... لاجئ ...غير مسئول ... عاش القضية كل عمره...

وأردت أن أخفف عن الرئيس عبد الناصر بعض الشيء فأردت أن أنتقل إلى ناحية أخرى في الموضوع، لعل فيها شيئاً من العزاء والرجاء ...

فقلت : وما هو موقف الرئيس الجزائري بومدين، لقد لاحظت أنه كان فاتراً بعد انتهاء اجتماع القمة الخماسية...

قال : الرئيس الجزائري بومدين يريد منا استئناف القتال .. وأنا أريد استئناف القتال ولكن لا أستطيع ذلك قبل أن نستكمل استعداداتنا العسكرية .. بومدين يريد أن نباشر الحرب الآن ولو على طريقة حرب العصابات، ونحن غير مستعدين لهذه العملية، عندنا مشاكل اقتصادية كبيرة، وعندنا أعداء في الداخل، وعندنا أمريكا تتربص بنا الدوائر ... أمريكا تريد إسقاط الحكم الوطني في البلاد العربية، ابتداء من مصر .. ثم أن بومدين كان يعارض أصلاً في وقف إطلاق النار .. كان يريد أن نستمر في الحرب حتى ولو دخلت إسرائيل إلى القاهرة وإلى دمشق وإلى بغداد لأن ذلك في رأيه يجعل المعركة في الوطن العربي كله...

واستطرد الرئيس عبد الناصر قائلاً : والواقع أن هذا كان ممكنا لو أن هذا كان ممكناً لو أن الأمة العربية كانت منظمة على الصعيد الشعبي، وأنا أفكر بعد إزالة آثار العدوان أن أستقيل من رئاسة الجمهورية وأن أكرس كل وقتي للاتحاد الاشتراكي حتى ننظم الجماهير العربية، ونكون قادرين على الاستفادة من طاقات الشعوب العربية ،ونكون قادرين على الاستفادة من طاقات الشعوب العربية .. هذا هو جوهر الخلاف بيني وبين الأخ بومدين...

وهنا سألني الرئيس عبد الناصر : وأنت ما هو رأيك في الموضوع؟

قلت : كلاكما على حق ..

قال : (مقهقهاً) كيف، كلانا على حق .. لا بد واحد يكون على حق، والآخر على الباطل..

قلت : كل واحد منكم يمثل مدرســة عسـكرية... أنت كنت في الجيش النظامي، وابومدين كان في جيش التحرير، في جيش العصـــابات .. ولذلك فتفكيرك نظامي، وتفكير ابومدين تفكير عصابات .. أنت تريد أن تقود النضال وأنت رئيس دولة ... وبومدين كان يقود النضال وهو ضابط في خنادق الشعب ..

وسألني الرئيس عبد الناصر : وصاحبك الملك فيصل ما هو موقفه؟ وماذا تتوقع أن يكون موقفه في مؤتمر القمة ...

قلت: الملك فيصل صديقي صحيح، ولكن سابقاً ... الملك فيصل عنيد جداً، ولا أستبعد أن يعتذر عن حضور مؤتمر القمة .. وإذا حضر فإنه سيصر على حل مشكلة اليمن، إنه يريد أولاً " إزالة العدوان المصري" عن اليمن ، قبل أن يفكر في إزالة " آثار العدوان الإسرائيلي" على البلاد العربية..

وعدت مرة ثالثة أسأل عن موقف الاتحاد السوفيتي .. وماذا سيفعل الاتحاد السوفيتي من أجل إزالة آثار العدوان...

قال : الاتحاد السوفيتي يركز كل جهوده في الوقت الحاضر على الأمم المتحدة، والرئيس بود جورني حينما كان عندنا في القاهرة في الأسبوع الماضي ركّز على العمل السياسي داخل الأمم المتحدة وخارجها ... وأنهم سيواصلون الضغط على الرئيس جونسون ليضغط على إسرائيل للوصول إلى التسوية السلمية ...

قلت : وما هو رأي سيادتك في هذه المحاولة...

قال : نحن نتبع الطريقين .. نقوي جيشنا ونجرب طريقة الأمم المتحدة .. بعد العدوان الثلاثي عام 1956 نجحت تجربة الأمم المتحدة في إجلاء إسرائيل عن سيناء وقطاع غزة

قلت : الظروف تغيرت .. اليوم لايوجد إيزنهاور ولاخروشوف ..

قال :على كل حال لا ضرر من التجربة .. وإن كان الناس في مصر متحمسين .. يريدون إخراج إسرائيل بالقوة ... البارحة كنت في حديث مع ابني خالد حول هذا الموضوع ... خالد والشباب متحمسون، إنهم لا يريدون إخراج إسرائيل عن طريق الأمم المتحدة، ولكنهم يريدون أن نغسل العار ونخرجهم بالقوة..

وطالت الجلسة، وأحسست أني أثقلت على الرئيس عبد الناصر في هذا الحديث، فنهضت أستأذن بالانصراف وسرنا إلى الباب الخارجي والرئيس عبد الناصر يسألني :

أيه رأيك في كلام خالد؟

قلت : هل تريد الحق؟

قل : نعم .. أيه الحق ؟

قلت : أنا مع خالد ولست مع أبو خالد ...

فقهقه ضاحكاً وقال : كله واحد .. معي ومع خالد كله واحد ..

وانصرفت إلى منزلي، وإلى مكتبي لأدون ما دار بيني وبين الرئيس عبد الناصر من حديث، وأدونه في يومياتي كاملاً، فلا يسقط منه موضوع ولا معنى، ولا يسقط منه ملك أو رئيس ...

لقد كان حديثاً شــاملاً وأحســب أن حكام العرب ســيقرأون هذا الحديث، وهم يعجبون أو يضحكون ..

والله تعالى يقول في كتابه الكريم :

"أفمن هذا الحديث تعجبون، وتضحكون ولا تبكون".

صدق الله العظيم

هل جئتم لإزالة العدوان..

أم لإزالـة منظمـة التحرير

انهزم الملوك والرؤساء الهزيمة الكبرى في معركة الأيام الستة في حزيران (يونيو) عام 1967 .. وتوالت بعد ذلك الهزائم السياسية واحدة بعد الأخرى .. تماماً كالمسبحة المفروطة، حين تتساقط حبة بعد حبة.

وكانت أولى الهزائم السياسية أن مجلس الأمن قد قرر وقف القتال، دون أن يقرر عودة القوات الإسرائيلية إلى خطوط ما قبل القتال..(1967/6/9) .

ولقد قضيت في الأمم المتحدة قرابة خمسة عشر عاماً من عمري، أعطيتها كل جوارحي، حتى لم يبق عليَّ إلا أن أمد فراشي في أورقتها وأنام فيها، ولم أشهد في جميع القضايا التي عالجتها الأمم المتحدة، سابقة واحدة قررت فيها الأمم المتحدة وقف إطلاق النار إلا وقرنته بالعودة إلى خطوط ما قبل القتال ..

وهكذا فقد جاءت حرب حزيران هي السابقة الوحيدة، والاستثناء الأوحد ... وقف القتال من غير عودة إلى الوراء ...

وكانت الهزيمة السياسية الثانية ذلك الفشل الذريع الذي انتهت إليه الدورة الطارئة للأمم المتحدة التي انعقدت بناء على اقتراح الاتحاد السوفيتي (19 حزيران) وكانت النتيجة أن رفضت الجمعية العامة جميع مشروعات القرارات التي عُرضت عليها بشان انسحاب القوات الإسرائيلية ... واستمرت القوات الإسرائيلية تحتل الأراضي العربية المحتلة ... ولِمَ لا .. فالأمم المتحدة، من حيث النتيجة، لم تقل لإسرائيل : أخرجي من الأراضي المحتلة...

وبعد هذه الهزائم السياسية على الصعيد الدولي، جاءت الهزائم السياسية على الصعيد العربي.

وإن الباحث عن الأســـباب لا يعدم أن يجد ســـبباً، ولو هزيلاً، للهزائم السياسية على الصعيد الدولي .. ولكننا لا نستطيع أن نجد سبباً للهزائم السياسية التي منينا بها في الوطن العربي ... إلا أن الملوك والرؤســـاء جديرون بهذه الهزائم على الصعيدين الدولي والعربي سواء بسواء ...

أما على الصـــعيد العربي، فقد وقفوا أمام النكبة يتثاءبون، كأنما الأراضي العربية التي احتلتها إسرائيل ليست أرضاً عربية، وكأنما الكرامة العربية التي أهدرت ليست بذات قيمة .. وكأنما مصير الأمة التي يحكمونها ليس بذي موضوع !!.

وبقي كل حاكم عربي في عاصـــمته مكتوف اليدين، معقود الســـاقين، ولكن مطلوق اللســـانين : لســـان الإذاعة، ولســـان الصـحافة، يخادع الجماهير العربية، ويرد أسباب النكبة إلى مئة سبب وسبب، حتى يحجب الحقيقة الأزلية إنه هو السبب !!

وهذا هو حكم قاس، من غير شـــك، ولكنه حكم عادل ومنصـــف، فإن قسوة الحكم متوازية مع هوية المجرم وماهية الجريمة ..

ولم يكفِ أن الملوك والرؤســـاء كانوا الســـبب الأكبر في الهزيمة، وأن تفاوت درجات المسئولية في أعناقهم .. ولكنهم بعد أن وقعت وتمت .. وبعد أن أعلنوا أنها ســـتكون عبرة ودرســـاً، لاذوا بالفرار .. تماماً كما يفعل المجرمون العاديون، يقترفون الجريمة ثم يفرون.

وفرَّ الملوك والرؤســـاء إلى مخابئهم، إلى قصـــورهم، يفكرون في طمس معالم الجريمة، بإطلاق شـــعار جديد يكون ملهاة للجماهير، يخدرها ويعزيها ويسليها...

ومن هنا جاء الشــعار الجديد " إزالة آثار العدوان" بعد الهزيمة .. وكان تدمير إسرائيل وتحرير فلسطين هو الشعار السابق الذي أعلنه الملوك والرؤساء، قبل الهزيمة، في مؤتمرات القمة الثلاثة، في القاهرة والإسكندرية والدار البيضاء ...

وكما كان الشــعار الســابق عبثاً ولهواً، فقد جاء الشــعار الجديد أعبث لهواً، وألهى عبثا .. وأخذت الأحداث تتكلم ..

وأول هذه الأحداث أن وزراء خارجية الدول العربية لم يجتمعوا إلا في الســادس عشــر من حزيران (يونيو) في الكويت ... أي بعد عشــرة أيام من العدوان .. وكان من حق الأمة العربية المنكوبة بإســرائيل، وبالحكم العربي أن تتساءل :

- مادا كان يفعل وزراء الدول العربية طيلة هذه الأيام؟
- ولماذا لم يجتمع وزراء خارجية الدول العربية فور العدوان ؟

ولكن ما هو أهم من ذلك .. فإن من حق الجماهير العربية أن تقذف بسؤال أكبر في وجه الملوك والرؤســاء : ماذا كنتم تفعلون أثناء العدوان؟... ولماذا لم تجتمعوا فور العدوان؟؟.

ومع هذا فإن اجتماع وزراء الخارجية في الكويت قد انعقد لبضــعة ساعات، وركب الوزراء بعدها طائرة واحدة إلى نيويورك ليخطبوا خطباً ضجرت من أمثالها ســقوف الأمم المتحدة وجدرانها، منذ أن خطب على منبرها نوري الســعيد، وفارس الخوري، وكميل شــمعون، وفيصــل بن عبد العزيز، في عام 1948 مهددين ومنذرين .. وذهب كل ذلك أدراج الرياح، وبقيت الرياح!!

وظل الملوك والرؤساء يشدون أبصار الجماهير العربية وأسماعها إلى الأمم المتحدة، كأنما إزالة آثار العدوان، ستتم في نيويورك لا في الوطن العربي...

وانتهت الدورة الطارئة إلى فشل ذريع (4 يوليو – تموز) ولم يتحرك الملوك والرؤساء من مخادعهم، وهم مشغولون بمخادعة الأمة العربية عن بلواها، لتنسى أنهم هم بلواها.. وما بلواها إلا هم..

وحصل اجتماع واحد فقط .. هو اجتماع القمة الخماسية (12 يوليو – تموز) ووصفه الرئيس عبد الناصر بأنه " تم من غير ترتيب ..". فقد حضره الرؤساء عبد الناصر والاتاسي وبومدين والأزهري وعارف ... وتخلله ملك واحد هو الحسين بن طلال...

وكل ما استطاع أن يفعله هذا الاجتماع الخماسي، أنه قرر الدعوة إلى اجتماع قمة أكبر، في الخرطوم، يسبقه اجتماع وزراء خارجية الدول العربية للدرس والتنسيق والتمهيد ... وبدأت الاجتماعات..

اجتمع وزراء خارجية الدول العربية في الخرطوم في 1 آب (أغسطس) .. واجتمع مؤتمر وزراء المال والاقتصاد والبترول العرب في 15 آب – (أغسطس) في بغداد ... ثم عاد وزراء خارجية الدول العربية للاجتماع في الخرطوم في 26 آب – أغسطس، واجتمع مؤتمر الملوك والرؤساء في الخرطوم في 12 آب– (أغسطس).

ومعنى ذلك أن الملوك والرؤساء الذين كان يفرض عليهم الواجب الوطني، أو تفرض عليهم ضخامة الهزيمة وجسامة النكبة أن يجتمعوا يوم العدوان أو بعد انتهاء العدوان مباشرة، لم يجتمعوا إلا بعد خمسة وثمانيين يوماً

من احتلال سيناء والجولان والضفة الغربية .. وما أرخص الوطن العربي على ملوكه ورؤسائه..

واجتماعات وزراء الخارجية هذه .. ما جدواها ... وماذا تستطيع أن تنسق أو تمهد ... هؤلاء الوزراء لا يملكون من أمرهم شيئاً، ولا يعكسون رغبات شعوبهم .. هؤلاء ليسوا أعضاء في حكومات ديمقراطية، مسئولة أمام الشعب .. هؤلاء موظفون عند الملوك والرؤساء، يعزلونهم ويعينونهم متى شاؤوا ... والملوك والرؤساء بدورهم لا يمثلون مشيئة الشعوب، ولا يستمدون سلطتهم من رغبات الشعوب ... الملوك ورثوا السطلنة عن آبائهم بالسيف والترس ... والرؤساء وصلوا إلى الحكم عن طريق الدبابة والمدفع* ... وليست في حاجة أن أذكر الإستثناءات فإنه ضائع في الجماعة!!

ومثل هذا النوع من الحكم في الوطن العربي من شأنه أن تتلاحق على يديه المصائب، وأن تكون النكبات من بعض إنجازته، ومثل هذا الحكم إذا حلت في عهده الهزائم لا يستطيع أن يجد لها حلاً، ولا منها مخرجاً ...

بل إن الحكم الأجنبي الصديق، تحقيقاً لمصالحه ومطامحه، كان أكثر جدية في الأخذ بزمام المبادرة .. وها نحن نرى الدول الشيوعية، تعقد في هذه الفترة اجتماعين للقمة : أحدهما في التاسع من حزيران (يونيو) في شبه جزيرة القرم، والثاني في 11 تموز (يوليو) في بلغراد، للنظر فيما يجب عمله للحفاظ على سمعتهم ومصالحهم في الشرق الأوسط، وقد نزلت بها الشروخ والصدوع في أعقاب حرب الأيام الستة.

---

* يعني المؤلف بالأنظمة التي كانت سبب النكبة، وليس الأنظمة التي قامت رداً على النكبة.

وكذلك فإننا نرى المارشال تيتو، الصديق الشخصي للرئيس عبد الناصر، تحركه المصالح والمبادئ، فيعرض مشروعاً لحل أزمة الشرق الأوسط.. ويحمله وزراؤه وسفراؤه، إلى القارات الست.. وقد وصل هذا المشروع إليَّ بوصفي رئيساً لمنظمة التحرير الفلسطينية ... والمنظمة هي إحدى المؤسسات التي أثبتت وجودها في القارات الست، بعد عشرين عاماً من ضياع الشخصية الفلسطينية ..

ومشروع الرئيس تيتو، على خيره وشره، قد أشغل الرأي العام الدولي وحرك قضية الشرق الأوسط لزمن غير قصير .. وراحت وكالات الأنباء تتبارى في التكهن بمحتوياته، وقد آن الأوان لمذكراتي أن تنشره كاملاً، عن مذكرة وصلتني من السفارة اليوغوسلافية في القاهرة ... "سري جداً " وختمتها بالعبارة التقليدية " وتقبلوا تحيات السفارة اليوغوسلافية .. " وينص المشروع على ما يلي :

أولاً – انسحاب القوات الإسرائيلية تحت إشراف مراقبي الأمم المتحدة من الأراضي العربية التي تحتلها منذ نشوب القتال في الخامس من حزيران (يونيو) الماضي.

ثانياً – يتولى مجلس الأمن أو الدول الأربع الكبرى ضمان جميع دول المنظمة وحدودها ريثما يتم وضع حل نهائي للقضايا المتنازع عليها ولتحقيق هذه الغاية يمكن وضع قوات دولية على جانبي الحدود.

ثالثاً – حرية المرور لجميع السفن في مضايق تيران (خليج القبة) إلى حين صدور قرار من محكمة العدل الدولية.

رابعاً – تكون الملاحة في قناة السويس كما كانت قبل الخامس من حزيران .

خامســاً – بعد تنفيذ هذه الإجراءات يتخذ مجلس الأمن الدولي خطوات لحل القضـــايا الأخرى المتنازع عليها وفي مقدمتها مشـــكلة اللاجئين الفلسطينيين وقضية مرور السفن الإسرائيلية في قناة السويس ويجري اتخاذ هذه الخطوات بمساهمة مباشرة من الفرقاء المعنيين".

والمارشـال تيتو هو الذي حمل مشـروعه بنفسـه إلى القاهرة، فقد وصـل إليها بعد شـــهر واحد من وقف إطلاق النار على رأس وفد يوغســـلافي كبير (1967/8/10).. وقد مهدت المصـــادر اليوغوســـلافية في بلغراد لهذه الزيارة فأعلنت " أن يوغوسلافيا لا يمكن أن تؤيد على الإطلاق أي عمل سياسي لحل أزمة الشــرق الأوســط إلا إذا كان هذا الحل مقبولاً لدى الدول العربية " . فكان ذلك إيذاناً بأن يوغوسلافيا قد أعدت مشروعاً لحل أزمة الشرق الأوسط.

وكان هذا هو الواقع فعلاً فقد عرض المارشـــال تيتو على صـــديقه الرئيس عبد الناصر بنود المشروع .. واجتمعت بالمارشال تيتو في السفارة اليوغوسلافية .. وسمع الجواب .. من الرئيس عبد الناصر ومني...

أجاب الرئيس عبد الناصر بأن المشروع جدير بالدرس وأنه يحسن بالرئيس تيتو أن يعرضـه على سـوريا والعراق فإن قبلاه فهو مسـتعد لقبوله ..وإلا فلا بد من البحث عن طريق آخر..

وأجبت بأن الشـعب الفلسـطيني ليس فريقاً في الأمم المتحدة ولا يسـعه قبول هذا المشروع، لأنه يترك قضية فلسطين في مجموعها من غير حل ... ويجعل الأمر بين يدي مجلس الأمن .. ويكفي أن مجلس الأمن فيه الولايات المتحدة !!

وحسب التقاليد الدبلوماسية فقد كذبت المصادر اليوغوسلافية أن الرئيس تيتو يحمل مشروعاً، وأذاعت وكالة الأنباء اليوغوسلافية رسالة من القاهرة بأن " ما نشرته الصحافة عن " مشروع السلام" اليوغوسلافي ما هو إلا استنتاج وتنبؤ غير صحيحين!!"

ونتيجة لإجابة الرئيس عبد الناصر فقد سافر الرئيس تيتو إلى دمشق (13 آب – أغسطس) وبقي فيها يومين، اجتمع خلالهما بالرئيس السوري الدكتور نور الدين الأتاسي وإخوانه ... ولم توافق سوريا على مشروع المارشال تيتو، وطالبت بإدخال تعديلات أساسية عليه حتى أصبح مشروعاً بعثياً لا يوغوسلافياً.

وصدر بيان صحفي على أثر انتهاء المباحثات السورية اليوغوسلافية يغطي الرفض بعبارات ناعمة، تقول : " إن المباحثات تعتبر إسهاماً جديداً في تعزيز العلاقات بين البلدين الصديقين لتعزيز الجهود المشتركة لإزالة آثار العدوان الإسرائيلي على البلدان العربية .. وإن المباحثات جرت في جو ودي وتم خلالها تبادل وجهات النظر في الأزمة القائمة في الشرق الأوسط وفي الوضع العالمي وفي تطوير العلاقات بين البدلين ". بيان كله مقدمات من غير نتائج.

وغادر المارشال تيتو دمشق إلى بغداد، إكمالاً لمهمته، وقد بقي فيها يوماً واحداً، سمع فيها من الرئيس عبد الرحمن عارف ما سمعه في دمشق، ولكن بلهجة أكثر اعتدالاً ... ولم يصدر بيان صحفي ولا بلاغ مشترك، وعاد إلى القاهرة، حيث توجه منها إلى الإسكندرية، مع الرئيس عبد الناصر لاستكمال المباحثات في جو أكثر هدوء وصفاء.

ولم تسفر مباحثات الإسكندرية عن قبول مباشر لمشروع الرئيس تيتو ... ولكن تم الاتفاق بين الرئيسين اليوغوسلافي والعربي أن تستمر المساعي السياسية لتأييد وجهة النظر العربية وأن يظلا على اتصال فيما بينهما، وصدر بيان مشترك يؤكد" أنه لا يمكن الوصول إلى حل لهذه الأزمة إلا باحترام الحقوق والمصالح العادلة للشعوب العربية ... وضرورة مساعدة الدول العربية بما يمكنها من تعويض ما سببته الحرب من خسائر وبدعم طاقاته الاقتصادية والدفاعية من أجل المقاومة الفعالة لأية محاولة للعدوان ". وكانت هذه العبارة الأخيرة موجهة للاتحاد السوفيتي .

وأعلن الرئيس تيتو في مؤتمره الصحفي " إن هناك تفاهماً بيننا وبين الدول العربية على ما سوف يتخذ من إجراءات لحل هذه الأزمة حلاً سياسياً" وكانت هذه العبارة موجهة إلى الولايات المتحدة..

ويوغوسلافيا بزعامة الرئيس تيتو تحسن مخاطبة الروس والأمريكان معاً، وقد انتفعت من الفريقين معاً .. وهي، بعد إسرائيل، الدولة الأولى في تلقي المعونات الأمريكية.

وكانت ردود الفعل على مشروع الرئيس تيتو متباينة ...

فقد تلقى الرئيس الأمريكي ليندن جونسون مشروع السلام اليوغوسلافي مع رسالة من الرئيس تيتو حملها وزير خارجيته ماركو نيكزيتش .. ولم يقابله الرئيس الأمريكي باكتراث .. واكتفى الناطق الصحفي في البيت الأبيض بقوله : " إن هنالك عدة حكومات مهتمة في عروضها، يحدوها الأمل بإمكان تسوية أزمة الشرق الأوسط ..

وتسلم الرئيس الفرنسي شار ديغول المشروع اليوغوسلافي، وأعلنت المصادر الفرنسية أن الجنرال ديغول موافق عليه بصورة عامة وأن حل أزمة الشرق الأوسط يتطلب موافقة الدول الأربع الكبرى.

أما في لندن فقد وقفت الحكومة البريطانية موقف الحيطة والحذر فقد أعربت الدوائر المطلعة عن رأيها في أنه من المحتمل أن ينال المشروع اليوغوسلافي عطف العواصم الدولية الكبرى..

ولم تتحدث موسكو عن المشروع اليوغوسلافي، لأن الرئيس تيتو قد أعده أصلاً، بالتفاهم مع الاتحاد السوفيتي.

وفي نيودلهي، أعلنت السيدة انديرا غاندي رئيس وزراء الهند موافقتها على المشروع وأثنت على الرئيس تيتو لجهوده في تسوية أزمة الشرق الأوسط.

وفي روالبندي،استقبل الرئيس الباكستاني المشير محمد أيوب خان السفير اليوغوسلافي الذي سلمه مشروع الرئيس تيتو، ولم تعلق المصادر الباكستانية على المشروع، تاركة للدول العربية أن تتخذ الموقف الذي تراه مناسباً.

وأني لأذكر بهذه المناسبة ،أن السفير الباكستاني في القاهرة، قد زارني ليتعرف على الموقف العربي إزاء مشروع الرئيس تيتو، فإن الباكستان كما قال " تقبل ما تقبلون وترفض ما ترفضون ..".

قلت : له إن القاهرة ودمشق وبغداد قد رفضت المشروع، ولكنها لم تعارض أن يستمر الرئيس تيتو في بذل جهوده السياسية لحل أزمة الشرق الأوسط على أسس أخرى...

وقال السفير الباكستاني: ولكن الأستاذ حسنين هيكل، في مقاله الأسبوعي ألأخير (1967/9/29) قد أعلن موافقته على مشروع الرئيس تيتو بقوله : " إن مقترحات المارشال تيتو تشكل إطاراً معقولاً لمحاولة الحل السياسي".

قلت : الأستاذ محمد حسنين هيكل صحفي قدير من غير شك، وهو يعبر عن رأيه الشخصي، ولا يمثل رأي القاهرة، ولا رأي العواصم العربية الأخرى...

قال : الذي أعلمه أن الأستاذ هيكل على صلة وثيقة بالرئيس عبد الناصر .

قلت : الرئيس عبد الناصر على صلة وثيقة بكل مواطن .. والأستاذ هيكل أحد المواطنين..

وأحسب أن السفير الباكستاني قد انصرف من مكتبي وهو غير قانع بهذا التكذيب ولا بهذا التفسير .. ولكن ما العمل ؟؟

ولقد أسهبت بعض الشيء في تفاصيل المشروع اليوغوسلافي، لأعود وأؤكد أنه حينما كان الرئيس تيتو يقوم بنفسه وبوزرائه وبسفرائه ليطوف على مئة وعشرين دولة يعرض عليهم في عواصمهم " مشروع السلام"، كان حكام العرب يجوبون في الآفاق في منازلهم، لا يدرون ما يصنعون..

وأخيراً .. اجتمع موظفو الحكام العرب الذين يسمون، عادة في الصحف، بوزراء الخارجية العرب، وهكذا انعقد مؤتمر وزراء خارجية الدول العربية في الخرطوم في اليوم الأول من شهر آب – أغسطس 1967.. والحمد لله.. ولا يحمد على مكروه سواه ...

وانعقد المؤتمر في الصـــالة الرئيســـية في القصـــر الجمهوري في الخرطوم وســـط المظاهر المعتادة من الحفاوة والتكريم، وعلى مشـــهد من الصـــحفيين ومراسلي وكالات الأنباء، من الذين عندهم بقية أمل في الحكم العربي !!

وافتتح السيد محمد أحمد محجوب رئيس وزراء السودان المؤتمر، في جلسة علنية بخطاب دعا فيه إلى وحدة الصـــف لإزالة آثار العدوان ختمه بقوله .. " في الوقت الذي امتزج فيه الدم العربي بأرض الكفاح والقتال لا يقبل التاريخ منا أبداً أن نختلف على موائد السـياسـة والتخطيط، فلقد قالت شـعوبنا كلمتها وبقي علينا أن نسـتلهم مشـاعرها وأن نسـلك دربها، درب النضـال .." وصـفق الوزراء لهذه الكلمة الطيبة .. والتصفيق في الاجتماعات العربية هو الاستجابة الوحيدة لأي خطاب سواء كان حسناً أو عفناً ...

وبدأت جلســات المؤتمر بعد ذلك مقفلة .. ومعنى كلمة مقفلة، أن لا تُعطى أخبار الاجتماعات إلى الصحف بصورة علنية ورسمية .. ولكن لا مانع من أن يلتقي الوزراء بالصـــحفيين في حجراتهم ليقول لهم كل وزير : أنت تعلم أننا التزمنا عدم إذاعة شـيء .. ولكن المصـلحة تفرض أن يعلم الرأي العام العربي بعض الشــيء .. أن وفدنا قد قدم مقترحات مهمة، وهذه صــورة عنها .. ولكن مع الأسـف، ماذا نعمل ..معظم الوفود الأخرى لم توافق على مقترحاتنا .. ومع هذا فســنظل نناضـــل لإنجاح مقترحاتنا .. على كل حال.. نحن نثق بك .. وانشر ما تجده متفقاً مع المصلحة العامة .. وسنظل على اتصال .. وسأطلعك على ما يجد .. ولا بد أن نلتقي بعد كل جلسة !!

وكذلك يتصـرف الوزراء الآخرون مع الصـحفيين الآخرين . إلاَّ من عصـم ربك ..

ولم يكن تفسيري لتعبير " الجلسة المقفلة " تجنياً على الوزراء العرب .. فقد عقدت الجلسة المقفلة واستمرت خمس ساعات للبحث في جدول الأعمال وترتيب بنوده، وتجويد ألفاظه، حتى تم الاتفاق عليه، وتم الاتفاق أن يظل سرياً لا يعلن في الصحف .. وإذا بالصحف..

وإذا بالصحف العربية والأجنبية تنشره في اليوم التالي لتعلن : أن وزراء خارجية الدول العربية قد اتفقوا على أن يكون جدول الأعمال مؤلفاً من البنود الخمسة الآتية :

وها أنا أنشرها عن الصحف، لأنها مطابقة لأوراقي ومتفقة مع الواقع:

أولاً – بحث النتائج التي أسفرت عنها مناقشات الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورة انعقادها غير العادي لبحث أزمة الشرق الأوسط .

ثانياً – تضافر جهود الدول العربية لإزالة آثار العدوان .

ثالثاً – استمرار وقف ضخ البترول العربي إلى الدول التي ساندت العدوان.

رابعاً – تصفية القواعد العسكرية في الأراضي العربية .

خامساً – وضع خطة عربية شاملة بعيدة المدى سياسياً وعسكرياً واقتصادياً لدعم التضامن العربي وتحقيق المبادئ السابقة.

والواقع أن وزراء جدول الأعمال مجموعة من الطوائف العربية تنم عن " شخصية " كل وفد من الوفود العربية..

ومن هذه الطوائف، أن السيد المنجي سليم رئيس الوفد التونسي قد اقترح أن يكون البند الأول على جدول الأعمال دراسة أسباب النكسة وهو يريد من وراء هذا الاقتراح أن يثبت أن الرئيس أبو رقيبة كان على صواب في الدعوة

إلى التعايش مع إسرائيل، وأن الحرب فكرة خاطئة .. وأن الواقعية هي السياسة الرشيدة .. وأن البورقيبية هي قمة العقل والحكمة!.

واقترح السيد إبراهيم ماخوس استخدام البترول كسلاح فعال في المعركة، وتصفية القواعد العسكرية الأجنبية .. وتساءل الوفدان المغربي والليبي عن معنى موضوع تصفية القواعد العسكرية الأجنبية .. ومن المقصود بهذا الاقتراح .. وكادت جدران القاعة أن تقول : أن القواعد الأجنبية .. ومن المقصود بهذا الاقتراح .. وكادت جدران القاعة أن تقول : إن القواعد الأجنبية، عندكم في بلادكم..

واقترح وفد السودان تسوية قضية اليمن باعتبارها إحدى العقبات في طريق التضامن العربي .. فقد أصبح السودان برنادوت قضية اليمن .

وتساءل الوفد الجزائري ما إذا كان هدف المؤتمر هو استمرار النضال واستئناف القتال أم الاستسلام ... ولم يجب الوفد الجزائري عن سؤاله، والجواب بين شفتيه...

وحرص السيد محمود رياض وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة أن لا يدخل في خلاف مع أحد، أو أن يؤيد هذا الوفد على ذاك. وأن القاهرة لا تريد أن تحرج أحداً .. وكل ما تؤكد عليه أن تقدم كل حكومة ما تستطيع من المساهمة من غير إحراج ولا استدراج .. أما بالنسبة لقضية اليمن فإن لدى الجمهورية العربية المتحدة مشروعاً محدداً على أساس المصالح الوطنية بين جميع الفرقاء المعنيين.

واقترح السيد إسماعيل خير الله وزير خارجية العراق بحث الوسائل الناجعة لجعل الاقتصاد العربي في خدمة القضية العربية وإزالة آثار العدوان .

واقترح الشيخ صباح الأحمد وزير خارجية الكويت تنقية الجو العربي من الشوائب دعماً للتضامن العربي ..

واقترح الدكتور جورج حكيم وزير خارجية لبنان وضع خطة سياسية تكتيكية لمعالجة القضية في الأمم المتحدة، والقيام بحملة اتصالات واسعة مع الدول الصديقة .

ولم يقترح السيد عمر السقاف وزير الدولة السعودي للشؤون الخارجية شيئاً، لأن الوفد السعودي يتكلم وراء الكواليس، إلا في الجلسات التي تدون فيها محاضر عن الاجتماعات.

وتقدمت باسم الشعب الفلسطيني بطائفة من المقترحات السياسية والإعلامية والعسكرية لتكون أساساً لخطة عربية شاملة لإزالة آثار العدوان اللاحق والسابق.

ولم أكد انتهي من سرد مقترحات المنظمة، طالباً توزيعها، وكانت هي المقترحات الوحيدة المكتوبة، حتى تململ الوفد التونسي في مقاعده وتكلم السيد المنجي سليم كلاماً بين التصريح والتلميح.

وقال : أعتقد أننا نحن اتفقنا في اجتماعات وزراء الخارجية في نيويورك أن تكون هذه الاجتماعات قاصرة على وزراء خارجية الدول العربية، دون سواهم.

وكنت أنا المقصود بهذا الاقتراح .. فأنا الوحيد الذي لم أكن وزير خارجية، وبدا واضحاً من كلام المندوب التونسي أن هذا الموضوع كان محل بحث بين الوفود العربية في نيويورك، وأنه كان هناك شبه اتفاق بين بعض الوفود العربية على عدم حضوري هذا الاجتماع.

وبدت علامات الموافقة الصـــامتة على وجوه الوفود الســـعودية والأردنية والليبية* والمغربية، وبدرجات متفاوتة.

وطلبت الكلام وقلت: إن رئيس منظمة التحرير الفلســطينية، الذي هو أنا بلحمي ودمي، ليس فضــولياً في هذا الاجتماع .. أن الشــعب الفلســطيني هو فريق أصـيل في هذا الاجتماع .. وما دمت رئيسـاً لمنظمة التحرير الفلسطينية فإن حضـــوري معكم هو حق لا منحة .. ولو أني تخلفت عن هذا الاجتماع لوجب عليكم أن توجهوا لي الدعوة .. إن اجتماعكم هذا هو من أجل البحث في إزالة آثار العدوان ..وقد وقع العدوان على الشـعب الفلسـطيني منذ عام 1917، حين صـدر وعد بلفور الشـهير، واسـتمر هذا العدوان حتى عام 1967، وشـمل فلسـطين بأسـرها. وتوسـعت رقعة العدوان في هذا العام حتى شـملت أراضـي الدول العربية ولهذا فأنا وانتم يجمعنا العدوان الواحد .. ومع هذا فإذا كان هناك من مصـــلحة وطنية في عدم حضــوري هذا الاجتماع فإني أحب أن أعرفها .. أما إذا كانت هناك أمور شخصية فإني أتجاهلها ولا أبالي بها ..

فقال الســيد منجي ســليم : لا نريد أن ندخل التفاصــيل، ولا أن نبحث عن الماضـي وعن أسباب الكارثة .. كل ما أريد أن أقوله إن اجتماعاتنا العربية بعد النكبة يجب أن تكون بين أشخاص مسؤولين وعلى درجة كافية من المسؤولية، وهذا لا يتوفر إلا في الوزراء باعتبارهم الممثلين الرسـميين للحكومات العربية .. وذلك حتى نخرج بقرارات سديدة ومسؤولة ..

قلت : هذا كلام غريب جداً .. وإن كنت لا أســـتغربه من مندوب تونس .. ولا أعتقد أن هذا الكلام يمثل مشــاعر الشــعب التونســي الذي كان لي شــرف

* طبعاً قبل ثورة الفاتح من سبتمبر .

الدفاع عن قضـــيته لعدة ســـنوات في الأمم المتحدة .. ومن كان لا يرضـــيه حضوري في هذا الاجتماع فإنه يستطيع أن يخرج ولا يشارك فيه.

وهنا تدخل رئيس الجلسـة السـيد محمد أحمد محجوب : وقال : أنا أعلم أن هذا الموضـوع قد بحث فيما بيننا حينما كنا في الدورة الطارئة للأمم المتحدة .. ولم يتخذ بشأن هذا الموضع أي قرار، وأن الحكومة السودانية، باعتبارها الدولة المضـيفة قد وجهت الدعوة إلى السـيد رئيس المنظمة، لأن الشـعب الفلسـطيني منذ أن تأســـســـت الجامعة العربية عام 1945، وهو عضـــو طبيعي في الاجتماعات العربية ..وعلى كل حال فإن الأمر مطروح للبحث الآن، ولكن أرجو أن يكون بمنتهى الهدوء والموضوعية..

وعاد السـيد المنجي سـليم إلى الكلام وقال : أنا لا أبحث موضـوع المنظمة ولا حق تمثيل الشـعب الفلسـطيني في الاجتماعات العربية . ولكن النقطة التي أحصـــر حديثي فيها هي أن هذا الاجتماع مخصـــص لوزراء خارجية الدول العربية .. والسيد الشقيري ليس وزير خارجية..

وقلت أنا لست وزير خارجية .. وإذا استقلت فلسطين سوف يأتي إليكم وزير خارجية فلســـطيني ..تماماً كما جرى لتونس .. لقد وصـــلت إلى تونس إلى الاستقلال واصبح لها وزير خارجية، ومن أجل هذا فإن السيد المنجي سليم هو معنا .. وأنا لســـت مفتوناً بهذه الاجتماعات .. إن خبرتي الطويلة أن هذه الاجتماعات لا جدوى فيها .. وإنما أنا أحضـــر كواجب .. وعلى كل حال فإن الشـعب الفلسـطيني هو الذي يختار من يمثله .. وليس لتونس ولا لغير تونس أن تتدخل في هذا الموضوع ....

ثم ألقيت بقفازي أمام الوزراء .. وقلت : إن الأمر لا يحتمل الجدال .. وأنا لا أرضـى أن توجه هذه الإهانة للشـعب الفلسـطيني .. وإذا كانت إسـرائيل قد احتلت وطني بكامله فليس معنى هذا أنها احتلت عقلنا وكرامتنا .. وأنا الآن أطرح هذا الموضـوع عليكم متسـائلاً : هل تريدون بقائي معكم، أم تريدون خروجي .. وإنه يهمني أن تتعرف الأمة العربية على موقفكم .. أريد منكم قراراً .. الآن ..

وتدخل رئيس الجلسـة السـيد محجوب .. وقال : إن البحث يدور بصـورة أخوية.. ولا داعي هناك لأخذ قرار .. إنما هي وجهة نظر أبداها الوفد التونسـي .. وإني أشعر أن أحداً من الحاضرين لا يريد استبعاد منظمة التحرير من هذا الاجتماع..ويمكننا أن نعتبر الموضوع منتهياً ...

ولكن السـيد المنجي سـليم لم يعتبر الموضـوع منتهياً .. فقد عاد إليه مرة أخرى ولكن بصورة أخرى .. وقال :إذن، أنا أقترح تأجيل الاجتماع .. وأن ينعقد الاجتماع المقبل في منزل الرئيس .. وأن يكون الحضور قاصراً عل الوزراء ..

وقلت: إذا كان السـيد المنجي لا يمل من الباطل ، فأنا لن أمل من الحق .. وأنا لا أمانع من تأجيل الاجتماع إذا كانت هذه هي رغبتكم .. ولا مانع من عقد الاجتماع في بيت الرئيس .. وسأحضر الاجتماع لأن بيت الرئيس في هذه الحالة هو مكان الاجتماع، وليس ملكاً للرئيس.. هذا إذا كان الاجتماع مخصصاً لبحث آثار العدوان.

فقال الرئيس بلهجة سـودانية : ونحن مجتمعون من أجل ماذا .. أحب أن أسأل الوزراء نحن مجتمعون من أجل ماذا؟.

فقلت : إذا كنتم ســـتجتمعون في منزل الرئيس من أجل الأمور الخاصــــة بالدول العربية، مثل تجارة القطن والأرز والفجل، فأنا لا مكان لي معكم ولا داعي لحضـــوري.. وإذا كان اجتماعكم هو من أجل إزالة آثار العدوان .. فإن العدوان واقع على بلدنا وشعبنا، ولا بد من حضوري ومشاركتي .. ومن كان لا يعجبه ذلك فإنه يستطيع أن يعود إلى عاصمته...

ثم واصـــلت حديثي متســـائلاً: هل اجتمعتم لإزالة آثار العدوان أم لإزالة منظمة التحرير؟ إن الرغبة في التخلص من رئيس منظمة التحرير ليســت ســراً .. هنالك وثائق في ملفات الجامعة العربية تثبت أن الملك فيصـــــل والرئيس بورقيبة والملك حسين يريدون " خلع الشقيري" من رئاسة المنظمة، ولم يستطيعوا ذلك قبل الهزيمة .. ولعلهم يشعرون الآن أن الفرصة قد لاحت بعد الهزيمة[1] .

قلت هذا الكلام .. ونظر الســـيد المنجي إلى رفاق الطريق والهدف .. السعودية والأردن وليبيا والمغرب، فلم ينجده أحد.

وتدخل الرئيس للمرة الأخيرة لينقذ الموقف .. وقال أنا أعتبر الموضـــوع منتهياً ونحن لا نستطيع أن نتخذ قراراً حول هذا الموضوع ولا أن نبحثه .. وقد فاتني أن أقول لكم من الأول إن الموضوع خارج عن اختصاصنا كوزراء .. إن الملوك والرؤســـاء في القمة الثانية، في الإســـكندرية قد قرروا اعتماد منظمة التحرير الفلسطينية ممثلة للشعب الفلسطيني.. وإن الملوك والرؤساء هم الذين يملكون تغيير هذا القرار .. وإذا كان الوفد التونســـي أو غيره يريد أن يتابع الموضوع فمن الممكن بحثه في مؤتمر القمة المقبل..

---

[1] راجع:أحمد الشقيري، **على طريق الهزيمة مع الملوك والرؤساء**.

ثم أعلن الرئيس، أن الاتفاق قد تم على جدول الأعمال .. ويحسن بنا أن نعطي الفرصة لدراسته.. ولذلك نقرر تأجيل الاجتماع إلى الغد ... وتأجيل لا للدرس، ولكن لتهدئة الجو ... ودعماً للتضامن العربي !!

ولكن هذا الحل لم يرضِ السيد المنجي سليم، فكان لا بد له أن يقدم دليلاً محسوساً على أنه نفذ تعليمات الرئيس بورقيبة، فأصدر بياناً بعد انتهاء الجلسة وزعه على الصحفيين العرب والأجانب قال فيه: " إن رأي الحكومة التونسية كان ولا يزال أن لا مبرر لحضور السيد الشقيري بعد أن أتضح أنه لا يقف عند حدود المسئولية التي تقتضيها الظروف".

وطلب إليَّ الصحفيون أن أعقب على هذا البيان فقلت : لي تعقيب واحد ... في هذا اليوم ... أصدرت المحكمة العسكرية التونسية الخاصة أحكاماً تصل إلى عشرين عاماً على أربعة وخمسين تونسياً بتهمة الاشتراك في التظاهرات التي عمت تونس في حزيران (يونيو) الماضي، وهاجم فيها المتظاهرون المنشآت الأمريكية والبريطانية واليهودية ... هذه هي تونس الدولة، لا تونس الشعب، التي يتكلم بلسانها السيد المنجي سليم، وزير العدل في الحكومة التونسية ... وليحي العدل .

وتوالت الاجتماعات ثلاثة أيام تخللتها ليلة سامرة ساهرة على النيل .. وقد ترددت طويلاً أن أقول كلمة واحدة عن تلك الليلة الحمراء، على باخرة نيلية، حفلت بالشراب والغناء، فإن التصرفات الشخصية من شراب وعربدة ملك أصحابها .. ولكني تساءلت ومعي نفر من أمثالي الغرباء عن تلك الليلة الحمراء: هل هذا الفرح والمرح، هذا الابتهاج والانشراح، احتفال بتحرير

فلسطين؟؟ أما من دقيقة واحدة، على الأقل، للتأمل .. للتأمل فيما صارت إليه الأمور في الجولان وسيناء وبيت المقدس؟؟

وتذكرت، ما أشـــقى الذين يتذكرون .. تذكرت المجاهد نور الدين زنكي، يسأله جلساؤه لِمَ هو مطرق دائماً ... وكان ذلك أيام الحملة الصليبية على مصر .. فقال : كيف لي أن أبتسم والصليبيون يضربون بلادنا في مصر ..

وكائنا ما كان الأمر، فقد غاصـــت تلك الليلة الحمراء في اليوم الثاني في تيار الخلافات والمناقشات بين الوزراء، وكانت مشكلة اليمن، وموضوع البترول العربي على رأس المناقشات.

وكان السيد محمد أحمد محجوب رئيس وزراء السودان هو فارس مشكلة اليمن، فقد سـبقت له وسـاطات كثيرة بين الرياض والقاهرة لتسـوية المشـكلة .. ولكنها انتهت إلى فشل كامل .. وكان السبب، باختصار، الملك فيصل .. ذلك أن الرئيس عبد الناصـر قد تنازل وتنازل، وذهب بنفسـه إلى السـعودية، وقابل الملك فيصـل، لعل هذه المبادرة النابعة من التقاليد العربية تجعل الملك فيصـل يوافق على حل وسط.

ولكن الملك، لم تهزه هذه البادرة العربية، ولم يَر في مجيء الرئيس عبد الناصـــر إليه إلا مجيء المنكســـر المعتذر ... وبقي على إصـــراره وعناده .. كالحزب الوطني في مصـــر، حاشـــا لله من التشـــبيه، لا مفاوضـــة إلا بعد الجلاء...".

وكان هذا هو مطلب فيصـــل، لا مفاوضـــة إلا بعد الجلاء، أنه يريد جلاءً آخر جندي مصري عن اليمن، كما جلا آخر جندي بريطاني عن مصر !!

وعرض الرئيس السوداني الموضوع من جديد ... وقال : " إن حل هذه المشكلة أصبح الآن أوجب وألزم .. الشعوب العربية في الخارج تطالب باستئناف القتال .. وكيف نستأنف القتال وهذه المشكلة قائمة .. يجب إزالتها لنعبئ الطاقات المصرية السعودية مع الطاقات العربية الأخرى للمعركة..".

ورفع الرئيس السوداني ملفاً ضخماً بين يديه يحتوي البرقيات والعرائض التي وردت من الوطن العربي، وقال : كل هذه العرائض تطالب باستئناف القتال .. لقد وردت على المؤتمر من كل أنحاء الوطن العربي... فكيف نقاتل وهذه المشكلة قائمة .

وطلب السيد محمود رياض الكلام: فشرح مراحل المشكلة... وتكلم كلاماً موضوعياً هادئاً .. وأعرب عن استعداد الجمهورية العربية المتحدة للوصول إلى تسوية ترضي جميع الأطراف، واقترح العودة إلى اتفاقية جدة وتنفيذها بروح أخوية صادقة ...

ولم يتحدث السيد عمر السقاف وزير الدولة السعودية للشئون الخارجية .. وأراد عدد من الأعضاء استدراجه إلى الكلام ولكنه بقي معتصماً بالصمت .. وتحدث الرئيس السوداني لينقذ الموقف، فقال : أظن أن الأخ السقاف ليست لديه تعليمات بهذا الموضوع، ولا داعي لأن يحرج بعضنا بعضاً .. وبقي السيد السقاف صامتاً .. ومسكين من يمثل السعودية، إذا لم يكن مستعداً للإقامة أو الاستقالة ...

وطال الأخذ والرد في هذا الموضوع .. وتكلم مندوبو تونس والمغرب وليبيا والأردن، وكانت أحاديثهم تتجه إلى أن الموضوع بين يدي " جلالة الملك فيصل

المعظم " وليس للمؤتمر أن يبحث هذا الموضـــوع . لأن وزارء الخارجية لا يبحثون أي موضوع يتعلق مباشرة برؤساء الدول .. وحيا الله البروتوكول !

وحاول عد من الوفود أن يحملوا السيد السقاف أن يتصل بالملك فيصل ليعرب له عن رغبة المؤتمر أن يبادر إلى تسوية مشكلة اليمن على أساس اتفاق جدة ... ولكن السيد السقاف اعتذر عن ذلك قائلاً : ليس عندي تعليمات في الموضوع .. وهو ليس من اختصاصي ...وقطعت جهينة قول كل خطيب ...

وتدخل الرئيس السوداني ليقفل باب البحث في الموضوع وأعلن: أن السودان هو الذي تولى أمر الوساطة في الموضوع، وأنه سيواصل مساعيه .. فأقفل الموضوع وأقفلت الجلسة..

وخرجنا .. ولكن الجلسة عادت وانعقدت خارج الجلسة .. وراء الكواليس حسب العادة ، فإن القضايا العربية تُحلّ في المعابر والردهات، لا في قاعة الاجتماعات.

وطلب الرئيس السوداني من السيد السقاف أن يبرق إلى الملك فيصل بما دار في الجلسة، فاعتذر إليه السقاف مكرراً : ما عندي تعليمات .. على نسق " ماكو أوامر " التي كان يرددها ضباط الجيش العراقي في أثناء حرب فلسطين عام 1948.

وعلى هذا، فقد أرسل الرئيس السوداني برقية إلى الملك فيصل عن طريق سفارته في جدة، وجاء جواب الملك فيصل في اليوم التالي، من غير إبطاء، فقد كان الجواب حاضراً في ذهن الملك فيصل لأنه ناضج عنده منذ أن نشبت الثورة في اليمن.

وقال الملك فيصل في جوابه : " نحن لسنا طرفاً في النزاع، والشعب اليمني هو الذي يقرر مصـــيره بعد جلاء القوات غير اليمنية عن اليمن.." ومعنى ذلك جلاء القوات المصرية أولاً .. وبعد ذلك نتكلم..

وكان هذا الجواب هو الجواب الذي كان يكرره الملك فيصـــل على مدى ثلاثة أعوام، كلما ناشده أي عربي، أو أنشده أي شاعر، حتى لو كان الشاعر هو الســيد محمد أحمد محجوب رئيس وزراء الســودان ..ويومها قلت للشـــاعر الناثر السيد محجوب: ما قاله العرب : ما أرانا نقول إلا معادا !!

وعدنا إلى بحث الموضـــوع في الجلســـة التالية .. فلم يكن أمام وزراء الخارجية إلا أن يصدروا توصية غير مكتوبة ، وهو أن يستمر الرئيس السوداني في مســـاعيه الحميدة، وأن يترك الموضـــوع لمؤتمر القمة ... لعل الملوك والرؤساء يجدون للأمر مخرجاً !!

وانتقلنا بعد ذلك لبحث الموضوع الخطير : استخدام البترول في المعركة...

وهبَّ الســـيد إبراهيم ماخوس وزير الخارجية الســـورية، يتكلم عن أمريكا وبريطانيا ودورهما في مساندة العدوان الإسرائيلي وأن الجماهير العربية تطالب بوقف البترول عنهما.

وأعلن السيد إسماعيل خير الله وزير خارجية العراق أن لدى العراق مشروعاً اقتصادياً متكاملاً لاستخدام الطاقات الاقتصادية العربية، ومنها البترول، للعمل على إزالة آثار العدوان، ويتلخص المشروع في " وقف ضخ البترول لمدة ثلاثة أشـهر ابتداء من أول شـهر أيلول (سبتمبر) القادم، وسحب الأرصدة العربية واحتياطيات النقد المودعة أو المســـتثمرة في بنوك دول العدوان، وتأميم جميع

المصـــالح الاحتكارية الأجنبية، وإنشـــاء صـــندوق عربي للإنماء، واتحاد للمدفوعات، وتحقيق التكامل الاقتصادي بين الدول العربية".

وتحدثت بدوري عن فتح الجبهة الاقتصـادية في المعركة، إلى أن تسـتكمل الدول العربية استعداداتها العسكرية لاستئناف القتال، وذكرت أن الشيخ عبد الله الطريقي خبير البترول العربي قد وافق على أن ينضـم إلى وفد منظمة التحرير الفلسـطينية، وأنه حاضـر معنا ليشـرح الجوانب الاقتصـادية والفنية المتعلقة باستخدام البترول كسلاح في خدمة القضية العربية...

وخلال حديثي عن قضـية البترول، كان السـيد عمر السـقاف يغادر معقده ويهمس كلاماً في أذن الرئيس السـوداني .. كنت أفهمه بالفراسـة لا بالسـماع .. فالسـعوديون لهم مهارة عجيبة في الهمس والوشوشـة،منذ حروبهم مع الهاشميين وآل رشيد .. وليس هذا الكلام مزاحاً ولا مداعبة..

وقد صحت فراستي، فبعد أن انتهت الجلسة، جاءني رئيس الوزراء السوداني ليقول : هل تريد أن تنسف المؤتمر .. المؤتمر معقود من أجل فلسطين ويجب على فلسطين أن تهيئ كل فرصة لنجاح المؤتمر.

قلت : خير إن شـــاء الله .. نحن ما جئنا لننســـف المؤتمر .. وإن كنا مستعدين أن ننسف كل من يريد أن ينسف المؤتمر .. وما هو الموضوع؟؟

قال : الوفد السعودي عازم على الانسحاب، إذا كان الشيخ عبد الله الطريقي سيتحدث في المؤتمر...

قلت : لماذا الانسحاب؟

قال : الطريقي سعودي الجنسية .. وهو مغضوب عليه من الملك فيصل .. وأن ضمه إلى الوفد الفلسطيني هو تحد واضح للملك فيصل .. وخصوصاً أن قضية البترول حساسة جداً عند الملك فيصل..

قلت : أنا ظننت أن المؤتمر سيشكرني لأني جئتهم بخبير عربي في شئون البترول .. وليس بين وفودكم خبير بترولي واحد .. وهل يمكن أن ينفض هذا الاجتماع بدون بحث قضية البترول؟.

قال : عندي حل للموضوع.

قلت : ما هو ؟

قل : هنالك اتجاه عند عدد من الأخوان أن نحيل قضـــية البترول بكاملها إلى مؤتمر لوزراء البترول العرب .. وفي هذه الحالة يمكن للمنظمة أن ترسـل أي خبير بترولي تختارونه ليعرض رأيه باسمكم أمام ذلك المؤتمر.

قلت : سأفكر في الموضوع...

قال غاضباً : تفكر أيه .. انتم عاوزين عنب والا تقاتلوا الناطور...

قلت : سأفكر في الموضوع .. كل خوفي، وأنا أعرف الاجتماعات العربية السابقة، أن نخرج من هذا المؤتمر عنب ولا ناطور !!

وعدنا إلى الاجتماع .. ورأيت الحل الوسط بنفسـي ، فقد كان الشـيخ عبد الله الطريقي قد أعد دراسة وافية عن الموضوع، فقدمتها في بداية الجلسة وقلت هذا هو رأي المنظمة، وهو رأي علمي يستند إلى الأرقام والوقائع..

وانبرى السـيد المنجي يتحدث عن قضـية البترول، وأنه موضـوع خطير ولا يجوز أن يتخذ فيه أي قرار ارتجالا .. وأنه يتصـــل باقتصـــاد الدول البترولية نفسها، وهي وحدها التي تقرر أمره.

ثم دخل السيد المنجي بالتفاصيل، وهو ينظر في الأوراق التي في ملفه، كما يفعل المحامي الذي يترافع عن قضية تقاضى عليها أجراً، فأورد دخل السعودية من البترول، وكذلك الكويت، وليبيا، كل ذلك بالبرميل يومياً، وبالدولار سنوياً .. تماماً كما لو كانت آبار البترول كله في تونس !!

والواقع أن المنجي سليم، أن لم يكن قد تقاضى الأجر المؤجل، حسب لغة المحامين ، كان ينتظره، كما كان يتوقع، فقد كانت تونس ترشح السيد المنجي سليم لأن يكون أميناً عاماً للجامعة العربية، وكانت السعودية والأردن وليبيا تؤيد هذا الترشيح .. فقد آن الأوان، وقد حلت الهزيمة، أن يتولى شئون الجامعة العربية رجل غير مصري .. كان ذلك هو منطقهم ..

وتكلم الشيخ صباح الأحمد وزير الخارجية الكويتي فأعرب عن استعداد الكويت للموافقة على أي قرار يتخذ بالإجماع بشأن البترول .. والإجماع صيغة ذكية للرفض .. لأن الإجماع غير ميسور بوجود السعودية وليبيا، وهما تقفان بعناد ضد المساس بالبترول من قريب أو من بعيد، حتى لا تلوث أيدي اللامسين !!

ولكن الوزير الكويتي أورد نقطة جديرة بالدرس، وهي أن الكويت تعتمد في استخراج ماء الشرب والإضاءة على ضخ البترول، وطالب بإيجاد لحل لهذه المشكلة.

ورفعت الكوفية عن إذن الشيخ صباح وهمست في إذنه، وكيف عاش الكويت آلاف السنين قبل البترول ؟؟

أما وزيرا ليبيا والسعودية فلم يتكلما في الموضوع، ولكنهما كانا" يطيبان " مرافعة السيد المنجي سليم بالحواجب وفرقعة الأصابع .

وتكلم السيد إسماعيل خير الله وزير خارجية العراق فعارض السيد المنجي سليم في أرقامه ووقائعه، وأيد مقترحاته التي تدعو إلى وقف ضخ البترول لمدة ثلاثة أشهر على الأقل ..

وصاح الوزير السوري السيد إبراهيم ماخوس مطالباً بالمبادرة إلى إصدار قرارات حاسمة بالنسبة للبترول، حتى قبل أن يجتمع الملوك والرؤساء.

ووقف السيد المنجي سليم ليقول : إذا أنتم قررتم قطع البترول فنحن لا نتحمل المسئولية، ولا نستطيع أن نشارك في هذه الاجتماعات.

وسأله السيد ماخوس : وما هي المسئولية؟

قال المنجي سليم : نحن نؤمن إيماناً جازماً بأنكم إذا تعرضتم للبترول فإن أمريكا ستضطر إلى احتلال مناطق البترول بقوة السلاح .

وساد الاجتماع جو من التوتر وأصبح الوزراء يناقش بعضهم بعضاً، من غير نظام، وتدخل الرئيس السوداني وقال :يا إخوان .. هذا موضوع له جوانب سياسية من اختصاصنا، ولكن له جوانب اقتصادية وفنية ومالية كلها من اختصاص وزراء ليسوا معنا، وهم الوزراء العرب المختصون بشئون المال والاقتصاد والبترول، ولذلك فإني أقترح أن نرجئ بحث الجوانب السياسية لهذا الموضوع، وأن نقرر دعوة الوزراء العرب المختصين إلى اجتماع قريب لبحث الموضوع ن كل جوانبه، وتقديم تقرير بأبحاثهم وتوصياتهم..

ودار نقاش طويل حول هذا الاقتراح، وانتهى المؤتمر بعده إلى الموافقة عليه وتقرر أن يجتمع وزراء المال والاقتصاد والبترول العرب في بغداد في 15 آب (أغسطس)، وأن يجتمع وزراء الخارجية في 26 آب (أغسطس) لدراسة

توصــيات مؤتمر بغداد، ليكون كل شـــيء جاهزاً أمام مؤتمر القمة الذي تقرر عقده في 29 آب.

وهكـذا انتهى مؤتمر وزراء الخـارجيـة العرب في الخـامس من الشــــهر (آب 0 أغسطس) بعد أن أصدر توصيات إنشائية في مقدمتها الحفاظ على التضامن العربي، وهو الموضوع القديم الذي نشأ مع نشوء الدول العربية.

ذلك ما دونته في يومياتي عن مؤتمر وزراء خارجية الدول العربية اسـتذكر أيامه وأشـــخاصـــه وأحداثه، لأجد أنه لم يكن أكثر من تلك الليلة النيلية، ونحن نلهو بالمأساة ونزهو بالعار .. ونشرب نخب الشهداء .. وليس لأحد أن يشمئز من هذه التعابير الصــارخة الجارحة .. ذلك أن يومياتي قد سـجلت أموراً رهيبة عن العدو، كان يفكر فيها ويخطط لها وينفذها، حين كان وزراؤنا في عبثهم يعبثون ..

أجل، سجلت يومياتي أمراً رهيبة، وهذه بعضها، أوردها موجزة، بتواريخها ثم بتعليقاتي العابرة عليها . كما دونتها ..

- ليفي أشـــكول، رئيس الوزراء الإســـرائيلي تكلم في هيأة الهســـتدروت التنفيذية فأكد على ضــرورة الهجرة – الهجرة .. الهجرة .. وأصــر على أنه يجب أن يبلغ تعداد إسرائيل خمسة ملايين نسمة في نهاية هذا القرن ..." (67/7/11) . وكان اليهود في بداية القرن ثلاثين ألفاً على أكثر تقدير.
- أرســل ايبان وزير خارجية إســرائيل مذكرة إلى الأمم المتحدة يعلن فيها إأن إسرائيل ترفض الانصياع لقرار مجلس الأمن الخاص بالقدس، ولا تعتبر أنها " ضـــمت " القدس إليها، ولكنها " وحدت " شـــطري القدس

لتكون عاصـــمة لإســـرائيل (67/7/11) . وقال الملوك المســـلمون وأمراؤهم، وهم يســـمعون هذا الكلام عن وطن الإســـراء والمعراج وأولى القبلتين وثالث الحرمين، " سمعنا وأطعنا"

- قالت جريدة الجروسالم بوست الإسرائيلية التي تصدر بالقدس " إن قرار مجلس الأمن الذي صـدر بشـأن القدس، لا يهمنا من قريب أو بعيد " (1967/7/16). ولماذا تهتم إســرائيل لمجلس الأمن، وهو لا يملك لهم نفعاً ولا ضراً ...
- عرض في سينما " رون " في القدس الفيلم المعروف " ستة أيام للنصر " واشـتبك الشـباب العرب مع الشـباب اليهودي في معركة، وسـقط عدد من الجرحى (1967/8/9) وقلت ما أســـعد الأمة بشـــبابها وأشـــقاها بحكامها .
- خطب الجنرال ديان في مهرجان شـعبي فقال : " إذا كنتم شـعب التوراة فإنكم تملكون أرض التوراة من النيل إلى الفرات" (1967/8/9). وقلت فليسمع حكام العرب من النيل إلى الفرات.
- ولمناسـبة عيد الحداد اليهودي على ضـياع القدس الذي يحتفلون به في كل عام، أعلن مجلس الحاخامية اليهودي الأعلى في إســـرائيل " أن طقوس الحداد التي يمارسها اليهود في كل عام يجب أن تستمر، وأن لا يحدث أي تغيير فيها، رغماً عن أن القدس جميعها في أيد يهودية اليوم، لأن المعبد وقدس الأقداس لا يزال ركاماً ولا تزال قطاعات هامة من الشـــعـب اليهودي تعيش في بلاد مختلفـة في المهجر "

(1967/8/10) . وقلت : هلا يســمع بعضــنا الذي يســخرون بالقيم الروحية والذكريات التاريخية.

- ابا يبان وزير خارجية إسرائيل عقد مؤتمرا صحافياً حضره ما يقرب من مئة صــحفي من المراســلين الأجانب قال فيه : " إن خريطة الشــرق الأوســط التي كانت موجودة قبل 5 حزيران (يونيو) قد دمرت إلى غير رجعة " (1967/8/14).

وقلت : وهل يسمع من في القبور.

وغير هذا، وغير هذا، مما دونته يومياتي .. ولكن نبذة واحدة وردت في يومياتي لم أســـتطع أن أجد عليها تعليقاً .. فقد كانت مفجعة موجعة .. لجمت قلمي وأوراقي .. كانت النبذة نقلاً عن تعليق إذاعة إســـرائيل باللغة العربية تســـتعرض فيه انتصـــاراتها الثلاثة في 48، 56، و 1967 ... وختمته بالآية القرآنية المعروفة : " وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله .. ". تســتخدم القرآن على شعب القرآن !!.

وتضرعت إلى الله" أتهلكنا بما فعل السفهاء منا"

صدق الله العظيم

هل نحن سعاة بريد..
عند الملوك والرؤساء

مؤتمر القمة العربي الرابع، بملوكه ورؤسائه ووزرائه، كان مؤتمر الأيام الستة، كحرب الأيام الستة، هزيمة أخرى للأمة العربية .

وكانت الهزيمة هذه المرة، لا في سيناء والجولان والضفة الغربية، ولكن في قلب عاصمة عربية، في الخرطوم حاضرة جمهورية السودان.

ففي الأيام الثلاثة الأولى اجتمع الوزراء والسفراء، وفي الأيام الثلاثة التالية اجتمع الملوك والرؤساء .. وكانت نتيجة الاجتماعات وحصيلة القرارات هزيمة قومية صادعة، لا تزال الأمة العربية تعيش آثارها، كما تعيش آثار العدوان الإسرائيلي،الجاثم على الأرض العربية .

ولقد شهدت مؤتمرات القمة الثلاثة في القاهرة والإسكندرية والدار البيضاء، وهالني ما كان فيها من تناقضات ومشاحنات !!

ووقعت النكبة الكبرى في حرب الأيام الستة، واندفع الملوك والرؤساء في حملة كبرى للنقد الذاتي، يشرحون ظروف النكبة ويردونها إلى أسبابها، ويتعاهدون على الانتفاع من أخطائها والاستفادة من دروسها...

وجاء مؤتمر الخرطوم كاليوم الموعود ... ومعه السؤال الكبير الأوحد .. هل استفاد الملوك والرؤساء من دروس النكبة .. ومضت ستة أيام في اجتماعات ومباحثات، ومآدب ومجاملات، لتثبت من جديد، أن الملوك والرؤساء، كالعهد بهم، لم يتعظوا ولم يعتبروا .. وقد تجلى ذلك في أمور...

من هذه الأمور أن الملوك والرؤساء ما جاؤوا إلى مؤتمر القمة في الخرطوم بخطة شاملة مدروسة تتناول الجوانب العسكرية والاقتصادية والسياسية...

وباستثناء الرئيس عبد الناصر الذي كان يحمل معه ملفا سياسيا مدروساً، والرئيس العراقي عبد الرحمن عارف الذي كان يحمل مشروعاً

اقتصـــادياً متكاملاً، فإن الملوك والرؤســـاء لم يكونوا يحملون إلا حقائبهم، وليس فيها غير ملابسهم، الخارجية قبل الداخلية...

ولم يكن هذا الاجتماع على عجل .. فقد ســبقته مشـــاورات، ورســـل، ورسالات، امتدت ثمانين يوماً بلياليها ...

وكانت الأمة العربية الماجدة، وكل ذنبها أنها صــــابرة على حكامها، تحسن الظن بلقاء الملوك والرؤساء في الخرطوم ، وتعلق الأمل على مؤتمرهم، وترجو الخير على يديهم...

وجاءت مذكراتي، ومعها هذه الأعوام الســـتة من التجارب والمعاناة.... لتثبت أن مؤتمر الخرطوم كان أكبر هزيمة سياسية حلت بالأمة العربية ... منذ أن كان للأمة العربية ملوك ورؤساء..

ففي هذا المؤتمر كانت اللاخطة هي الخطة...

وانتصرت اللاوحدة على الوحدة ...

وتغلب بترول العرب على العرب ...

وارتفعت راية الحلول السلمية بديلا عن مسيرة النضال ..

وبرز شعار الصمود .. فكان صموداً على أرض الذل والهوان ..

وليس هذا الكلام حماســياً عاطفياً .. فلم أعد ابن العشــرين أو الثلاثين ... وأنا الآن أكتب ما أكتب، وقد تجاوزت الستين.

بل إن هذا الكلام ليس وراءه بغض لهذا الملك، أو كراهية لذلك الرئيس، فقد مات البعض وخلع البعض الآخر، وأنا سـائر مع الباقين لنلقى وجه الله ... وفي غمرة هذا الإحساس، لا يكتب المرء إلا منصفاً وعادلاً ..

وبهذا الإحســـاس وحده، فإني أكتب عن مؤتمر القمة في الخرطوم ... من بدايته إلى نهايته، وكانت منظمة التحرير هي البداية .. ذلك أن الدعوات قد أرسـلت إلى الملوك والرؤسـاء ... ولم ترسـل إلى رئيس واحد هو رئيس منظمة التحرير.

وطال انتظاري للدعوة .. وحكومة السودان في حرج كبير ... فقد توالت علينا الأنباء بأن هذا الملك لا يحضـر ... وأن ذلك الرئيس لا يحضـر .. وأن وجود الشقيري هو السبب.

وكان قد سـبق للملك حسـين والرئيس بورقيبة والملك فيصـل قبل حرب الأيام الستة، أن أعلنوا أنهم لا يرون " السيد أحمد الشقيري جديراً بتمثيل الكيان الفلســطيني"[1] ووقعت حكومة الســودان وهي الدولة المضــيفة في حرج وحيرة،...إنها حريصـة على حضـور جميع الملوك والرؤسـاء ... وهي كذلك لا تستطيع أن تقرر " وحدها" استبعاد رئيس منظمة التحرير.

ولقد كنت زاهداً، في الواقع, أن أحضـر مؤتمرات القمة بعد الذي عانيته من الملوك والرؤسـاء في السـنوات الثلاث الماضـيات ... ولكني رأيت كذلك أنه لا يصـح من أجل القضـية الفلسـطينية شـعباً ووطناً، أن أرضـى بهذه السـابقة، وتغيب منظمة التحرير عن الساحة.

وخطرت لي إحدى خواطر الشـــباب .. فنفذتها على الفور ...دعوت السـيد شـفيق الحوت مدير مكتب المنظمة في بيروت، وقلت له : يا أخ شـفيق ... أنت لك صـداقات طيبة في السـودان ... المنظمة لم تصـلها دعوة لحضـور مؤتمر القمة ... أرجو أن تسـافر إلى الخرطوم وأن تكلم رئيس الحكومة وزملاءه

---

[1] أحمد الشقيري، **على طريق الهزيمة مع الملوك والرؤساء**.

بالحسنى .. فإن لم تجد تجاوباً فأبرق إليَّ ... وستجدني في اليوم نفسه في مطار الخرطوم، ومن المطار إلى الجامع الكبير، لأعلن للشعب السوادني إني سأكون ضيف الشعب، في بيت الله، في الجامع الكبير .. وأن الملوك والرؤساء ومعهم حكومة السودان يريدون استبعاد منظمة التحرير عن الحضور ...

وهكذا كان، فقد سافر السيد شقيق الحوت .. ومضت ثمانية وأربعون ساعة، فجاءت البرقية من الحكومة السودانية بدعوة رئيس منظمة التحرير لحضور مؤتمر القمة ... وكنت في المساء نفسه في الخرطوم، والسيد محمد أحمد محجوب في استقبالي في المطار، وبادرني معاتباً، وهو يقول ...

- تنزل في الجامع لماذا .. وبيتك موجود .. تنزل عندي سواء وافق الملوك والرؤساء على حضورك أو لم يوافقوا ...

قلت : إن رغبتي أن أذهب إلى الجامع لأستعين بالشعب على الملوك والرؤساء...

قال: والله يا أخي .. أنت ما تعرف حماسة الشعب السوداني .. إذا علموا بالأمر فسيهاجمون المؤتمر بالعصي .. يكسرون رؤوسنا ..

قلت : وهذا هو المطلوب ..

وذهبت إلى الفندق وتركت السيد محجوب في المطار، وهو معتمر بعمامة سودانية، ومسربل بجلبابه الأبيض الفضفاض، ينتظر بقية الوافدين من دنيا العرب .. الوزراء والسفراء.

وذهبت في اليوم الثاني لحضور اجتماع وزراء الخارجية، وهو الاجتماع الذي يمد جدول الأعمال للملوك والرؤساء ومعه التوصيات والدراسات.

وبدأ رئيس الاجتماع السـيد محمد أحمد محجوب، وهو يرتدي بدلة أنيقة، وكان أجمل في الليلة الماضـية بعمامته وجلبابه، يسـتحث الوزراء المبادرة إلى العمل حتى يكون كل شـيء جاهزاً وفي موعده قبل أن ننشـغل باسـتقبال الملوك والرؤساء ..

وافتتح السـيد إسـماعيل خير الله وزير الخارجية العراقي المناقشـة وطرح مشروعه " التكامل الاقتصادي" كما شرحه في الاجتماع السابق في أول الشهر (آب – أغسـطس) وقال : لقد انعقد في بغداد اجتماع وزراء المال والاقتصـاد والبترول العرب (10 آب – أغسطس) واشترك فيه مندوبون عن البحرين وقطر وأبو ظبي .. وأن توصـيات هذا المؤتمر هي بين أيدينا الآن، وأنا أرجو أن نناقشها ونقرها ونرفعها إلى الملوك والرؤساء ...

وكان الرئيس العراقي الفريق عارف قد أقترح مؤتمر وزراء المال والاقتصـاد والبترول العرب بكلمة قال فيها : " إن شـركات النفط تربح الملايين لتحيلها إلى أسـلحة قاتلة تهديها إلى عدوتنا إسـرائل .. وإذا كنا نرغب في أن نعيش بعزة وكرامة أصـبح لزاماً علينا أن نعيد النظر في واقع وطننا ونحمي ثروتنا من الاحتكار "، ودعا الوزراء العرب إلى إقرار المشروع العراقي ": كسلاح اقتصادي ضد إسرائيل وضد الدول التي تساند إسرائيل".

وأخذ الوزير العراقي السـيد خير الله يتلو توصـيات مؤتمر بغداد من عبارة " سري وخاص" إلى عبارة "المرفقات " وأني أوجزها كما يلي:-

أولاً : يوصي المؤتمر بوقف ضخ البترول كلياً، وإلى أجل غير محدود حتى تزول آثار العدوان .. ذلك أن وقف الضخ سلاح اقتصادي فعال، على أن لا يكون محدداً بمدة أو جزئياً ...

ثانياً : يوصي المؤتمر بأن يتم سحب الأرصدة العربية بالإسترليني والدولار، وتخفيض الاستثمارات العربية في منطقتي الدولار والإسترليني، وأن يتم نقل الأرصدة الذهبية العربية المودعة في كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية إلى خارجها، وأن توجه الاستثمارات الحكومية إلى الأسواق العربية.

ثالثاً : إنشاء مستجمع للاحتياطات النقدية .

رابعاً : إنشاء صندوق عربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، كما يوصي المؤتمر بإنشاء صندوق لدعم الدول العربية المتضررة بالعدوان الإسرائيلي، وإنشاء اتحاد المدفوعات العربي تنضم إليه جميع الدول العربية..

خامساً :يوصي المؤتمر إقامة مجموعة اقتصادية عربية مشتركة، ترمي إلى تحقيق التكامل الاقتصادي والاكتفاء الذاتي .. والوحدة الاقتصادية العربية..

وقد أرفق بالتوصيات تقارير تفصيلية مدروسة عن شئون البترول والأمور المالي والاقتصادية العربية.

ولا بد أن أنوه، مع التوكيد والتشديد، أن هذا المؤتمر الذي أنعقد في بغداد، كان أكبر مؤتمر اختصاصي شهدته الأمة العربية في تاريخها المعاصر.. فقد احتشدت فيه النخبة الممتازة من خبراء الوطن العربي وكفاءاته الدراسية في مختلف المواضيع البترولية والمالية والاقتصادية وقد استمر المؤتمر منعقداً لمدة أسبوع كامل، وتفرعت عنه لجان متخصصة تولت دراسة القضايا المعروضة

عليها .. وبلغت الدراسات والتوصيات والمشروعات عدة ملفات احتوت كنوز العقل العربي، الدارس المدقق ...

أقول هذا ليتأكد المواطن العربي أن توصيات مؤتمر بغداد لم تكن مرتجلة ولا عاطفية، ولكنها كانت حصيلة دراسة العلماء .. وبقيت المهمة على الوزراء ..

ولكن الوزراء الذين اجتمعوا هذا اليوم في الخرطوم ليمهدوا للملوك والرؤساء أعمالهم قد وقفوا مبهوتين أمام هذه التوصيات .. لا يدرون ما يصنعون بها.

وانبرى الوزير التونسي السيد المنجي سليم يفند توصيات المؤتمر وأنها غير علمية، وتحتاج إلى درس طويل، ولا بد من إحالتها إلى خبراء!

وسانده الوزير الليبي الدكتور أحمد البشتي مطالباً بمزيد من الدراسة والتعمق في البحث !!

وصاح الوزير السوري الدكتور ماخوس بأن الموضوع قد قتل بحثاً واستنفذ كل أنواع الدراسة .. وتدخل السيد محمد أحمد محجوب ليعيد الاجتماع إلى الهدوء والنظام وقال : -

أنتم في اجتماعكم السابق بحثتم موضوع البترول، ولم تستطيعوا الاتفاق على قرار، ثم أحلتم الموضوع إلى مؤتمر يضم وزراء المال والاقتصاد والبترول باعتبارهم أهل الخبرة، حتى يقولوا كلمتهم .. وها قد جاء تقرير المؤتمر، لم يبق عليكم إلا أن تحددوا موقفكم من تقرير مؤتمر بغداد بالموافقة أو الرفض أو التعديل.

فعاد السيد المنجي سليم إلى الكلام وقال : إن هذا الموضوع خطير وكبير، ولا يمكن أن ننظر فيه بمثل هذه السهولة ولا بمثل هذه السرعة.

واســتأذنت بالكلام فقلت : لدي ملف كامل عن الموضــوع من بدايته إلى نهايته .. وأنا مستعد أن أضع أمام الوزراء عرضاً كاملاً ييسر علينا سبل العمل ... وأنا لا أريد أن أعود إلى موضـــوع البترول منذ اجتماعات بلودان في عام 1946 حينما صدرت القرارات السرية الشهيرة باستخدام البترول كسلاح فعال في قضــية فلســطين لردع الولايات المتحدة عن تأييدها لمشــروع إقامة الدولة اليهودية .. وكذلك فإني لا أريد أن أستعرض القرارات الكثيرة التي صدرت بشأن البترول على مدى عشـرين عاماً، منذ إنشـاء الجامعة العربية .. ولكني أريد أن أقتصر على المرحلة الراهنة التي نحن فيها الآن.

واســـتطردت بعد ذلك إلى القول: في أوائل حزيران (يونيو) من هذا العام وضح تماماً أن الموقف بيننا وبين إسرائيل يؤذن بالانفجار، وخاصة بعد إغلاق خليج العقبة وسحب قوات الطوارئ الدولية، تداعى وزراء النفط في الدول العربية فعقدوا اجتماعاً طارئاً في بغداد، وكان ذلك في الرابع من حزيران، واتخذوا بالإجماع قرارين تاريخيين هامين أولهما : قطع النفط العربي ومنع وصـــوله بطريق مباشر أو غير مباشر إلى الدول التي تعتدي أو تشترك في الاعتداء على سيادة دولة عربية أو على أراضيها أو مياهها الإقليمية، وقد فسر المؤتمر أن العدوان الذي يؤدي إلى قطع النفط بأنه الاعتداء المســلح المباشــر أو مد العون العسكري إلى العدو بأية صورة كانت، أو محاولة إمرار السفن التجارية عبر الخليج العقبة تحت حماية عســكرية أيا كان نوعها .. والقرار الثاني الذي وافق عليه المؤتمر ينص على أن دخول أية دولة في عدوان مسلح مباشر أو غير مباشر ضد الدول العربية يخضع أموال شركاتها وأموال رعاياها الموجودة في أراضي الدول العربية لقوانين الحرب، بما في ذلك أموال شركات النفط.

واستأنفت حديثي بعد ذلك قائلاً : لقد كان هذا القرار الإجماعي قبل العدوان الإسرائيلي بيوم واحد .. ووضعت الحكومات العربية أمام الامتحان .. وبدأت المعركة وانتهت وجاء الأوان لاستخدام البترول كما قرر وزراء البترول أنفسهم ..

وارتفعت الأصوات من الأمة العربية تطالب بتنفيذ القرارات البترولية ...

وكان أول صوت أرتفع في الوطن العربي من اتحاد عمال البترول العرب فقد وجه نداء إلى كل الدول العربية بمنع تصدير البترول إلى الدول المعتدية وطرد رعاياها من البلاد العربية .. وكان ذلك يوم العدوان .. (1967/6/5).

وقد أشرت إلى موقف اتحاد عمال البترول بالذات، لأنهم أول من يتأثر بتوقف المؤسسات البترولية، وما يؤول إليه ذلك بالنسبة لأرزاقهم.

وقاطعني الوزير التونسي قائلاً : نحن لا شأن لنا بالعمال، نريد أن نتحدث عن موقف الدول العربية.

قلت : سأتحدث عن موقف الجميع، الحكومات والشعوب ... وسأضع أمام مؤتمركم الصورة كاملة .. وأن الصورة طويلة بعض الشيء ولا أعتذر عن ذلك، فإن النفط هو السلاح الباقي للأمة العربية في الظروف الراهنة، بعد أن تحطمت الأسلحة العسكرية.

ورحت أسرد الوقائع المتصلة بالنفط في الوطن العربي، مع الأحداث والتواريخ، منذ أواخر شهر أيار .. شهر الأسرار والأخبار ... فكانت كما يلي:-

- في الكويت، أدلى الشيخ صباح الاحمد الصباح وزير خارجية الكويت قبل سفره إلى القاهرة حاملاً رسالة من أمير الكويت إلى الرئيس عبد الناصر بحديث قال فيه "إننا لا نبخل بالدم في هذه

المعركة فكيف بالبترول، وإن هذا الموضوع أصبح ثانوياً بالنسبة لما هو حاصـــل الآن .. وكان هذا الحديث جواباً عن ســؤال صـــحفي حول إمكانية استخدام البترول في المعركة المحتملة التوقع (1967/5/23).

- وفي لندن، فقد أعلن الملك فيصـل في مؤتمر صـحفي، وكان في زيارة لبريطانيا أن أي عربي يتردد في خوض هذه المعركة غير جدير بحمل أسـم عربي" وفي نفس اليوم نفى دبلوماسـيون سـعوديون النبأ القائل إن الملك فيصل هدد بقطع النفط عن الدول الغربية إذا ما ساعدت إسرائيل في الحرب ضد العرب .. (1967/5/23).
- وفي الكويت، عقد مجلس الأمة اجتماعاً لمناقشـــة تطورات الأزمة في الشرق الأوسط وطالب أعضـاء المجلس بتأميم حصـة الولايات المتحدة في بترول الكويـت ووقف البترول عن الـدول الاســتعمـاريـة واتخـاذ إجراءات ضـــد أي دولة تقف إلى جانب إســرائيل، وألقى الشــيخ جابر الاحمد رئيس الحكومة بياناً أمام المجلس أعلن فيه أن الحكومة كلفت وزير خـارجيتها إبلاغ ممثلي الـدول الكبرى أن اشـــتراك أيـة دولـة في العدوان على البلاد العربية سـيعرض مصـالحها في الكويت إلى الخطر (1967/5/27).
- وفي ليبيا، أعلن الســيد خليفة موســى وزير شــئون النفط لوكالة الأنباء الليبية الرســمية أن حكومته ســتتخذ جميع الإجراءات لمنع تدفق النفط الليبي إلى أية دولة تشترك في العدوان الصـهيوني (1967/6/2).
- وفي بغداد، أعلنت الحكومة العراقية وقف ضـــخ النفط "بالنظر للموقف الخطير في موقف كـل من الولايـات المتحـدة وبريطـانيـا وقيـامهمـا بمـد

العون العســـكري للعدو ..." وقرر الاتحاد العام لنقابات العمال في العراق مقاطعة جميع البواخر وناقلات النفط ... وكان هذان القراران في اليوم الثاني من العدوان (1967/6/6).

- وفي الكويت، اجتمع مجلس الوزراء وقرر وقف تصـــدير النفط إلى الولايات المتحدة وبريطانيا (1967/6/6).
- وفي الجزائر، أصدرت الحكومة قراراً بوقف تصدير البترول إلى بريطانيا والولايات المتحدة (4967/6/7).
- وفي بغداد، رفضـــت الســلطات العراقية تحميل ناقلة بريطانية وأنذرتها بوجوب مغادرة المياه الإقليمية العراقية فقامت بتنفيذ الأوامر فوراً وكانت الناقلة البريطانية وحمولتها 41 ألف طن قد وصــلت إلى ميناء البصــرة في اليوم الأول من العدوان .. (1967/6/7).
- وفي السعودية، عرض الشيخ أحمد زكي اليماني وزير البترول السعودي على مجلس الوزراء الســعودي القرارات التي أصــدرها مؤتمر وزراء البترول الذي عقد في بغداد، وصـرح " بأن مجلس الوزراء قد وافق على قرارات مؤتمر بغداد وأصــدر أمراً بمنع وصــول البترول الســعودي إلى الدول التي تشارك إسرائيل وتساعدها عسكرياً في عدوانها على الأمة العربية ،وأنه قد تم إبلاغ ممثل شـــركة أرامكو تلفونياً بمحتوى القرار لتنفيذه، وكذلك أبلغت جميع الشركات البترولية العاملة في السعودية .. ومنذ صـــباح هذا اليوم توقف ضـــخ بترولنا إلى الدول التي تقف في صف الوليدة الممسوخة إسرائيل ".(1967/6/7).

- وفي نيويورك، أعلن ناطق بلسان شركة أرامكو البترولية أن الشركة أغلقت منشآت إنتاج النفط والمصافي التابعة لها في المملكة العربية السعودية بسبب وقوع تظاهرات مناوئة للأميركيين هناك، وأن عدة مئات من السعوديين بينهم عدد من موظفي الشركة اشتركوا في التظاهرات، وأن منازل حوالي 1350 أمريكياً يعملون في المنشآت قد دمرت، ولكن لم تلحق إضرار بمنشآت النفط .. (1967/6/7).
- وفي طرابلس، قررت الحكومة الليبية " وقف ضخ البترول ومنع تصديره من الموانئ الليبية، وذلك التزاماً من ليبيا بالدور الذي تفرضه طبيعة المرحلة التي تمر بها الأمة العربية ضد العدوان الصهيوني وتضامناً مع الدول العربية المنتجة للبترول" .. إلى آخر ما جاء في البيان الرسمي (1967/6/7).
- وفي البحرين، أصدر الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة حاكم البحرين أمراًَ بوقف جميع عمليات شحن ناقلات البترول، كما أمر بإغلاق خط الأنابيب الذي ينقل النفط الخام من السعودية إلى البحرين (1967/6/7).
- وفي بيروت، أصدرت القيادة العليا للجيش اللبناني أمراً "بمنع تحميل أو تزويد أي سفينة من أي نوع كان بالبترول اعتباراً من الآن وإلى إشعار آخر (1967/6/7).
- وفي واشنطن أعربت الدوائر الرسمية عن قلقها البالغ بسبب توقف النفط العربي وقد أكد المسؤولون الأمريكيون أن قطع النفط سيضعف إلى حد

بعيد نشـــاط الولايات المتحدة الحربي في فيتنام كما أنه قد يؤدي إلى مزيد من الاضـطراب الاقتصـادي الداخلي وإنه من المعروف أن كمدن كبيرة من منتوجات النفط المصـــفى التي تؤمن الطاقة للعمليات الحربية الأمريكية في فيتنام تأتي من مصـــافي الخليج العربي مضـــافاً إلى ذلك أن أوروبا الغربية تستورد ستين في المائة من نفطها من الشرق الأوسط (1967/6/7).

- وفي الجزائر، أصـــدرت الحكومة أمراً بإقفال مكاتب ثلاث شـــركات بترولية تملكها هولندة، وبريطانيا وفرنســا وســويســرة، وختمت مكاتبها بالشمع الأحمر (1967/6/10).
- وفي إمارة أبو ظبي، أمر الحاكم الشـيخ زايد بن سـلطان شـركات النفط العاملة في أبو ظبي عدم تحميل ناقلات النفط المتوجهة إلى بريطانيا والولايات المتحدة.
- وفي الرياض، أصـدرت الحكومة السـعودية أمراً بالموافقة على اسـتئناف شـــحن النفط من رأس تنورة، ولكن ليس إلى الولايات المتحدة وبريطانيا (1967/6/12).
- وأعلن مســـئول في شـــركة أرامكو أن عملياتها في المملكة العربية الســـعودية عادت إلى حالتها الطبيعية وأن مصـــافي البترول في رأس تنورة والخليج العربية عـادت إلى العمـل وأخـذت تزودنـا نـاقلات النفط كالعادة وأن الحظر العربي المفروض على إرســـال النفط إلى الولايات المتحدة وبريطانيا ما زال ساري المفعول (1967/6/13).

- وفي الرياض، أعلن الشيخ أحمد زكي اليماني وزير البترول السعودي أن حظر إرسال شحنات النفط إلى الولايات المتحدة وبريطانيا ما زال مستمراً وأن خط التابلاين لا يزال مغلقاً، حرصاً على دقة تطبيق قرار مجلس الوزراء القاضي بحظر تدفق البترول السعودي إلى الدول التي تساعد دويلة العصابات الصهيونية، وأن وقف ضخ الزيت تماماً بدأ منذ اللحظة التي صدر فيها القرار.. ثم وضعت الترتيبات التي تضمن عدم تسرب أي شحنة إلى أي دولة تقرر منع البترول السعودي عنها... وعلى ضوء ذلك فقد أصدرت حكومة صاحب الجلالة أمراً لشركة أرامكو يسمح باستئناف ضخ الزيت ابتداء من منتصف ليلة الثلاثاء، بعدم وصول الزيت السعودي إلى أراضي الدول التي قررت حكومة صاحب الجلالة منعه عنها، وقد عينت وزارة البترول والثروة المعدنية مراقباً من كبار موظفيها للإشراف على تطبيق الترتيبات المذكورة ويجري هذا التدبير بالتعاون الكامل مع شركة أرامكو. (1967/6/13).
- وفي الكويت، أعلن الشيخ صباح الاحمد وزير الخارجية الكويتي، عقب اجتماع وزراء الخارجية العرب الذي عقد في الكويت أن الدول العربية المنتجة للنفط ثابتة على قراراها بقطع النفط عن الدول التي ساعدت إسرائيل في عدوانها على الدول العربية (1967/6/17).

- وفي الجزائر، ألقى الرئيس الجزائري بومدين خطاباً في اجتماع شعبي ضم عشرة آلاف شخص، دعا فيه الحكومات والشعوب العربية إلى وقف شحن النفط إلى أعدائها لمدة سنة..(1967/6/19).

- وفي الجزائر، هاجم الراديو، القرار الذي اتخذته السعودية بالسماح لشركة أرامكو بضخ النفط، ووصف القرار بأنه خيانة، وأن من شأنه أن يشجع الاستعماريين ليضغطوا على دول عربية أخرى لتحذو حذو السعودية .. (1967/9/22).
- وفي الكويت، أعلن الشيخ جابر الاحمد رئيس حكومة الكويت في حديث نقلته إذاعة الكويت إن بلاده ستتقيد بأي قرار يتخذه مؤتمر قمة عربي بشأن النفط، وأن الكويت قد أوقفت شحن النفط إلى الدول التي ساندت العدوان الإسرائيلي الغادر .. (1967/6/28).
- وفي السعودية، نقلت إذاعة مكة تصريحاً للشيخ أحمد زكي اليماني وزير البترول السعودي قال فيه إن خسارة بلاده نتيجة لوقف ضخ النفط خلال الأربعة وعشرين يوماً الماضية تزيد على مئة وستة مليون ريال سعودي وأن الخسارة من الآن وصاعداً لن تقل عن مليون ونصف مليون ريال يومياً ..(1967/6/29).
- وفي طرابلس أبرقت وكالة اليونايتد برس للأنباء تقول إنه يبدو أن حسين مأزق رئيس حكومة ليبيا*، استقال أول أمس بسبب خلاف نشب حول ما إذا كان يجب على ليبيا أن تستأنف ضخ النفط إلى دول الغرب أم لا، وأضافت الوكالة تقول إن حكومة مأزق كانت تتعرض لضغط شديد جداً من الوطنيين الذين يريدون استمرار المقاطعة مهما كان الثمن بينما أعلن بعض المسؤولين في حكومة مأزق عن قلقهم لأن ليبيا

* قبل الثورة.

تخسر يومياً مليون ونصف المليون من الدولارات منذ بدء وقف تصدير البترول الليبي.

- وفي بغداد، استجابت الحكومة العراقية لطلب إسبانيا بأن تبيعها النفط بسبب موقفها المشرف من العدوان الأخير على البلاد العربية (1967/7/1).
- وفي السعودية، طالبت جريدتا الندوة والبلاد باستئناف ضخ النفط بحجة أن إيقاف الضخ يضر بمصالح العرب الاقتصادية وأن بالإمكان الاستفادة من عائدات النفط في تمويل الجيوش العربية المقاتلة (1967/7/2).
- وفي الجزائر، عقبت إذاعة الجزائر على تصريح وزير النفط السعودي وما قاله بأن قطع النفط العربي يضر بالاقتصاد العربي، فهاجمت المملكة العربية السعودية، ووصفتها بأنها طعنت الدول العربية من الخلف وأن التحلل من حظر النفط إلى بريطانيا وأمريكا يعني خيانة الكفاح...(1967/7/31).
- وفي ليبيا، أعلن اتحاد العام للنقابات الليبية الإضراب الشامل احتجاجاً على سياسة الحكومة الجديدة التي يرأسها السيد عبد القادر البدري، بعد أن أعلنت استئناف ضخ النفط وتصديره إلى بعض الدول الغربية، وقد دعا عمال نقابة النفط إلى الإضراب لمدة ثلاثة أيام، مطالبين بعدم استثناء ألمانيا من إمدادها بالنفط بالإضافة إلى أمريكا وبريطانيا .. (1967/7/4).

- وفي الســـعودية، دعت جريدة عكاظ التي تصـــدر في جدة إلى إعادة تصدير النفط إلى الولايات المتحدة وبريطانيا، بعد أن أعلن الملك حسين أنه أصـــبح متأكداً من عدم اشـــتراك الولايات المتحدة وبريطانيا في العدوان الإسرائيلي الأخير على البلاد العربية..(1967/7/4).
- وفي بغداد، دعا مدير شركة النفط الوطنية إلى تأميم الممتلكات النفطية الخاصة بالولايات المتحدة وبريطانيا في العراق (1967/7/5).
- وفي طرابلس، أصـــدر عمال النفط في ليبيا بياناً قالوا فيه " إن إعادة ضــخ النفط الليبي ســيوفر أرباحاً طائلة لشـركات النفط بسـبب رخص النفط الليبي، وكأن ليبيا بإعادتها الضـــخ تقدم لشـــركات دول العدوان جائزة كبرى قدرها 450 مليون جنيه إضــافية مكافأة لها على العدوان " (1967/7/6).
- وفي أبو ظبي، أعلن الحاكم الشـيخ زايد بن سـلطان أنه لا يعتزم كسـر الحظر الذي فرضـــه العرب على شـــحن النفط إلى الولايات المتحدة وبريطانيا (1967/7/6).
- وفي جدة، قالت الإذاعة الســعودية إن الحكومة ترى أن أســـاس حظر تصـــدير النفط إلى بريطانيا وأمريكا لم يعد قائماً، وأن هذا الحظر يهدد مستقبل الأقطار العربية.(1967/7/7).
- وفي ليبيا، اســتأنفت الحكومة ضـــخ النفط الليبي إلى فرنســا وإيطاليا وتركيا وإســبانيا واليونان، وأنهى عمال النفط إضــرابهم واعتقل عدد من زعمائهم.(1967/7/7).

- وفي القاهرة، أذاع صوت العرب تعليقا هاجم فيه سياسة المملكة العربية السـعودية الداعية إلى إعادة صـخ النفط إلى كل من أمريكا وبريطانيا (1967/7/8).
- وفي بغداد، نددت الهيئات والمنظمات العراقية بقرار الحكومة السـعودية استئناف ضـخ النفط إلى بريطانيا والولايات المتحدة، وبموقف ليبيا من دول العدوان .(1967/7/10).
- وفي طرابلس، نفى ناطق باسم وزارة النفط ما يشاع من أن ليبيا تصدر النفط إلى بريطانيا وأمريكا، وأكد أنها لا تصدره إلا إلى خمس دول هي إسبانيا وتركيا واليونان وفرنسة وإيطاليا. (1967/7/10).
- وفي السعودية، دعت إذاعة مكة إلى إعادة النظر في قرار تصدير النفط العربي إلى أمريكا وبريطانيا، على اعتبار أن الدول العربية المنتجة للنفط بحاجة لعائداته، لدعم اقتصـادها، لمد جبهات القتال ومسـيرة النضال بما تحتاج من أموال (1967/7/11).
- وفي بيروت، صرح الشيخ أحمد زكي اليماني وزير النفط السعودي أثناء زيارته للعاصـمة اللبنانية أن حكومته لا تنوي اسـتئناف ضـخ النفط إلى أمريكا وبريطانيا(1967/7/12).
- وفي الكويت، أعلن الشيخ أحمد زكي اليماني وزير النفط السعودي إثناء زيارتـه أن العرب يتكبدون خسـائر طـائلـة نتيجـة قعطهم النفط عن بريطانيا وأمريكا (1967/7/13).
- وفي الخرطوم، أذاع الرئيس السوداني السيد إسماعيل الأزهري كلمة في الراديو شدد فيها على أهمية سلاح النفط في المعركة (1967/7/19).

- وفي بغداد، طلبت الحكومة العراقية من اليابان أن تقدم تأكيدات قاطعة بان النفط العراقي الذي يصدر إليها لن يصل بشكل مباشر أو غير مباشر إلى بريطانيا وأمريكا (1967/7/22).
- وفي بون، أعلنت مصادر رسمية في ألمانيا الغربية أن الحظر الذي تفرضه ليبيا والعراق على تصدير النفط إلى ألمانيا الغربية يحرمها من 40 في المائة مما تستورده من النفط (1967/7/22).
- وفي الكويت، صرحت مصادر رسمية أن قطع النفط الكويتي عن أمريكا وبريطانيا يكلف البلاد ما قيمته مائة وخمسة وأربعون مليون دولار سنوياً (1967/7/23).
- وفي بغداد، أعلن السيد إسماعيل خير الله وزير الخارجية العراقي أن الحكومة العراقية لا تزال ملتزمة كلياً بالقرارات التي اتخذها مؤتمر البترول العربي حول قطع النفط عن البلدان التي أيدت وتؤيد إسرائيل (1967/8/11).
- وفي بيروت، نقلت وكالة يونايتد برس للأنباء أن كمية من النفط العربي تصل إلى بريطانيا بواسطة طرف ثالث، ولم تذكر الوكالة أسم الطرف الثالث، كما لم تكشف النقاب عن كمية النفط التي تصل بريطانيا بهذه الطريقة (1967/8/14).
- وفي لندن، نشرت جريدة الجارديان البريطانية تحقيقاً ذكرت فيه إن المشروع العراقي المتعلق بالبترول قوبل بالفتور من قبل السعودية وليبيا وتونس والمغرب (1967/8/17).

- ومن جدة، قالت الإذاعة السعودية إن وقف ضخ النفط سيضر باقتصاد بعض الدول العربية وبالتالي بالمجهود الحربي، العربي، وحذرت من أن المقاطعة الاقتصادية العربية لبعض الدول الكبرى لن يكسب العرب إلا غضب تلك الدول، وأنه ليست هنالك دواع حقيقية لهذه المقاطعة.."

فرغت من هذا السرد الطويل لموضوع النفط العربي ومواقف الحكومات العربية، وكان وزراء الخارجية يدونون في مفكراتهم كل ما يتعلق بحكومته، وكأنهم يستعدون للرد والإيضاح!!

ورأى رئيس المجلس أن موضوع النفط إذا فتح على مصراعيه فسيأخذ وقت المؤتمر بكامله، وهو لم ينجز شيئاً بعد، فاقترح إحالة الموضوع بكامله مع توصيات مؤتمر وزراء المال والبترول والاقتصاد العرب على مؤتمر الملوك والرؤساء، " وهم يتصرفون في الأمر".

وعارض وزيرا الجزائر والعراق، بوتفليقة، وخير الله ، وأصرا على بحث الموضوع، وأنه لا يستغرق وقتاً لأن الجوانب الفنية والاقتصادية قد استنفذت ولم يبق إلا بحثه من الناحية السياسية.

وتدخل الوزير التونسي السيد المنجي سليم وطلب أن يترك الموضوع للملوك والرؤساء لأنهم أقدر على معالجته، وقد يجدون صيغة مقبولة من الجميع، وأيده الوزير المغربي الدكتور أحمد العراقي بقوله :"إن وقف البترول العربي هو سرطان قاتل بالنسبة للدولة العربية نفسها.".

ولم يتكلم الوزيران السعودي والليبي، فقد تكلمت عنهما الوقائع التي سردتها .. وانتظرا أن يرمى الأمر على عتبات مؤتمر القمة ويخلصا من الكلام، أو التصويت..

والواقع إني طلبت التصويت .. وقلت لرئيس الجلسة .. نحب أن نعرف في هذه الجلســـة من الذين يوافقون على توصـــيات مؤتمر بغداد، ومن الذين يعارضون.

وسأل رئيس الجلسة وما هي الفائدة التي تبتغيها من التصويت ؟؟؟

قلت : أريد أن يعرف العالم العربي، ماذا يقول المســـئولون العرب في الداخل، وماذا يقولون في الخارج .. إن موضــوع البترول قد مضـــى عليه أكثر من ربع قرن، وهو يترنح بين العلن والخفاء .. وقد اجتمع أكبر حشـــد من الكفاءات العربية في بغداد قبل أسبوع، وأقروا بالإجماع ضرورة استخدام البترول كسلاح فعال في خدمة القضية العربية لقد قال الاقتصاد والعلم كلمته، ولم يبق على السـياسـة إلا أن تقول كلمتها .. وإذا كان الاقتصـاد يقول نعم، فلم يبق على السـياسـة إلا أن تقول نعم .. هذا إذا كنا جادين مخلصـين ... وخشـي الرئيس السـيد محجوب أن يتطور الموضـــوع إلى نقاش حاد، فاقترح وقف المناقشة لتستأنف في الجلسة المقبلة .

ودارت الأحاديث وراء الكواليس بين الوزراء والسـفراء وتدخل الوسـطاء من الخبراء بحجة " أن الملوك والرؤسـاء سـيتوافدون غداً أو بعد غد ومن الخير أن يترك الموضـوع بين أيديهم فإنهم أقدر على معالجته .. وأنه ينبغي اقتصـار الجلســة التالية على إعداد جدول الأعمال ولا داعي أن ينقســم مؤتمر وزراء الخارجية على نفسه."!!

وجاءني الرئيس السـوداني ليقول : يا أخي .. " مرافعتك " مسـجلة في المحاضر، وستحال المحاضر كلها إلى الملوك والرؤساء .. وفي مؤتمر القمة تستطيع أن تثير هذا الموضوع من جديد .. ولا داعي للتصويت وليكن اجتماعنا

اليوم مســاء ... وأنا ســأكون مشــغولاً باســتقبال الملوك والرؤســاء مع الرئيس الأزهري.

وهكذا كان فقد اجتمعنا في المســـاء وطرح الرئيس محجوب اقتراحه بإحالة موضوع النفط إلى الملوك والرؤساء وتمت الموافقة بالصمت..

وقلت : هنالك قضـــايا أخرى غير النفط، وعلى أهميته فليس النفط كل شــيء .. إن لدى المنظمة ورقة عمل تريد أن تطرحها وتناقشــها، ونحن نطمع أن يوافق عليها مؤتمركم ويحيلها إلى الملوك والرؤساء.

وقال : الرئيس السوداني: تفضل واقرأها علينا.

وبدأت اقرأ .. تقترح المنظمة على الصعيد الفلسطيني ما يلي :

1- وضــع خطة تفصــيلية لإعداد وتنظيم ومســاندة المقاومة الشــعبية المسلحة في داخل فلسطين المحتلة.
2- إصدار بيان باسم ملوك والرؤساء الدول العربية يلتزمون بموجبه نيابة عن حكوماتهم وشــعوبهم بتعبئة جميع طاقات الأمة العربية وإمكاناتها لتحرير فلســطين وتأييد شــعب فلســطين في كفاحه لاســترداد وطنه، ويعرف هذا البيان باسم " عهد بيت المقدس" .
3- الاســتمرار في دعم منظمة التحرير الفلســطينية وتمكينها من تحمل مسـؤولياتها القومية في تعبئة الشـعب الفلسـطيني ليقوم بدوره الطليعي في تحرير وطنه وتقرير مصيره".
4- تعزيز جيش التحرر الفلسـطيني بحيث تكون للمنظمة سـلطة كاملة عليه من حيث تشــكيله وتدريبه وتســليحه وجميع شــؤونه الإدارية، على أن يكون الواجب العسكري مرتبطاً بالخطة العربية الموحدة.

5- إنشاء معسكرات لتدريب أبناء فلسطين في الدول العربية.. بالتعاون مع منظمة التحرير الفلسطينية.

6- إصدار التشريعات والأوامر اللازمة من الدول العربية كل حسب نظمها الدستورية لتمكين منظمة التحرير الفلسطينية من استيفاء ضريبة التحرير من أبناء فلسطين حيثما وجدوا..

7- الوفاء بجميع الالتزامات المالية المترتبة لمنظمة التحرير الفلسطينية وجيش التحرير الفلسطيني، بموجب قرارات مؤتمر القمة، والاستمرار في أدائها في مواعيدها المقررة.

- **وعلى الصعيد العربي – تقترح المنظمة**

1- إنشاء (الدولة العربية المتحدة) من الدول الراغبة في الاتحاد، لها سيادة كاملة في الشؤون السياسية والعسكرية والثقافية والاقتصادية والمشروع مرفق بهذه الاقتراحات(1).

2- تعزيز الجامعة العربية لتدعيم العلاقات فيما بين الدول العربية ومنها الدول العربية المتحدة المقترح إنشاؤها.

3- وضع سياسة بترولية عربية تكون ناحيتها الإيجابية الانتفاع بهذه الثروة لخير الأمة العربية، وناحيتها الرادعة معاقبة الدول الأجنبية التي تتصدى لإلحاق الأذى بالقضية العربية وقضية فلسطين.

4- سحب الأرصدة العربية من المصارف الأجنبية وإنشاء بنك مركزي.

5- إنشاء صندوق قومي للتعمير والتحرير، تؤمن له موارد ثابتة تجبى بموجب تشريعات قانونية

---

(1) انظرا كتاب المؤلف: حوار وأسرار مع الملوك والرؤساء.

6- إنشـــاء جهاز إعلامي عربي موحد، في إطار الجامعة العربية يكون له استقلال ذاتي ، ويؤمن له مورد ضخم، وكفايات عربية وأجنبية ممتازة.

7- بالإضـــافة إلى التعزيز العســكري الذي تقوم به الدول العربية، بوضـــع نظام خاص لوزارات التربية العربية يتم بموجبه تدريب عسـكري صـــارم وتوعية قومية عميقة، للطلاب والشباب في الوطن العربي.

8- إنشـــاء لجان شــعبية في الوطن العربي لمعاونة الحكومات العربية في تنفيذ جميع المسؤوليات القومية.

- **وعلى الصعيد الدولي: تقترح المنظمة:**

1- قطع العلاقات الســياســية والاقتصـــادية والثقافية مع الولايات المتحدة، وبريطـانيا وألمـانيا الغربية والدول الأخرى التي قامت بدور بارز في مقاومة الموقف العربي في الدورة الطارئة للأمم المتحدة، وكذلك اتخاذ الإجراءات اللازمة لتأميم جميع مؤسساتها في الدول العربية.

2- تعزيز العلاقات الســـياســـية مع الدول الصـــديقة، وتحويل العلاقات الاقتصـادية والثقافية العربية إلى تلك الدول ... وبصـورة خاصــة تدعيم الروابط مع الدول الإسلامية.

3- إصــــدار بيان تؤكد فيه الدول العربية بأن علاقاتها مع الدول الأجنبية تقوم على أساس موقفها من قضية فلسطين وإرسال البيان إلى السكرتير العام للأمم المتحدة ليوزع على الدول الأعضاء كوثيقة رسمية .

4- الاعتراف بألمانيا الشرقية.

5- إدراج بند على جدول الأمم المتحدة في دورة ايلول المقبلة بإقتراح نقل مقر الأمم المتحدة من نيويورك إلى باريس.".

وقال الرئيس الســوداني: – هذه اقتراحات نافعة، ســنقوم بطبعها وتوزيعها على الوفود، ونضـعها في الملف الذي سنقدمه إلى الملوك والرؤسـاء مع جدول الأعمال...

قلت : قبل إحالتها إلى الملوك والرؤسـاء يجب أن يناقشـها الوزراء ، ويقرروا بشـأنها ما يرونه قبولاً أو رفضـاً، أو تعديلاً أو اوضـافة .. فهل نحن هنا سـعاة بريد لدى الملوك والرؤساء ...؟

قال الوزير التونســـي الســـيد المنجي ســـليم، هذا مؤتمر حكومات والاقتراحات يجب أن تأتي من قبل الحكومات!!

قلت : منظمة التحرير ليســت حكومة، ولكنها في هذه الاجتماعات لها نفس الحقوق التي للحكومات ... وإذا كان الوزير التونســـي يريد أن يبحث هذا الموضوع فنحن حاضرون.

وتدخل الســـيد محمود رياض وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة وقال :لا داعي لخوض هذا الموضـــوع مرة ثانية ... المنظمة من حقها أن تقدم ما تشــــاء من المقترحات ..وورقة العمل التي قدمها رئيس المنظمة تحتوي أراء مفيدة ... ومن الحكمة أن نحيلها إلى لجنة فرعية لدراســتها وتقديم التوصــيات بشأنها ...

وأيد الاقتراح كل من الوزير الكويت الشـــيخ صـــباح الاحمد، والوزير العراقي السيد إسماعيل خير الله.

وتكلم الوزير الليبي الدكتور البشــتي، وســانده الوزير المغربي الدكتور أحمد العراقي ما خلاصـــته أن هذه الاقتراحات جديدة وليس عندهما تعليمات

بشأنها ولا يستطيعان أن يتخذا بشأنها أي موقف .. وشاركهما الوزير السعودي السيد عمر السقاف بكلمة واحدة : " ما عندي تعليمات" .. وكانت هي الكلمة الوحيدة التي تفوه بها في المؤتمر... في داخل الاجتماعات.

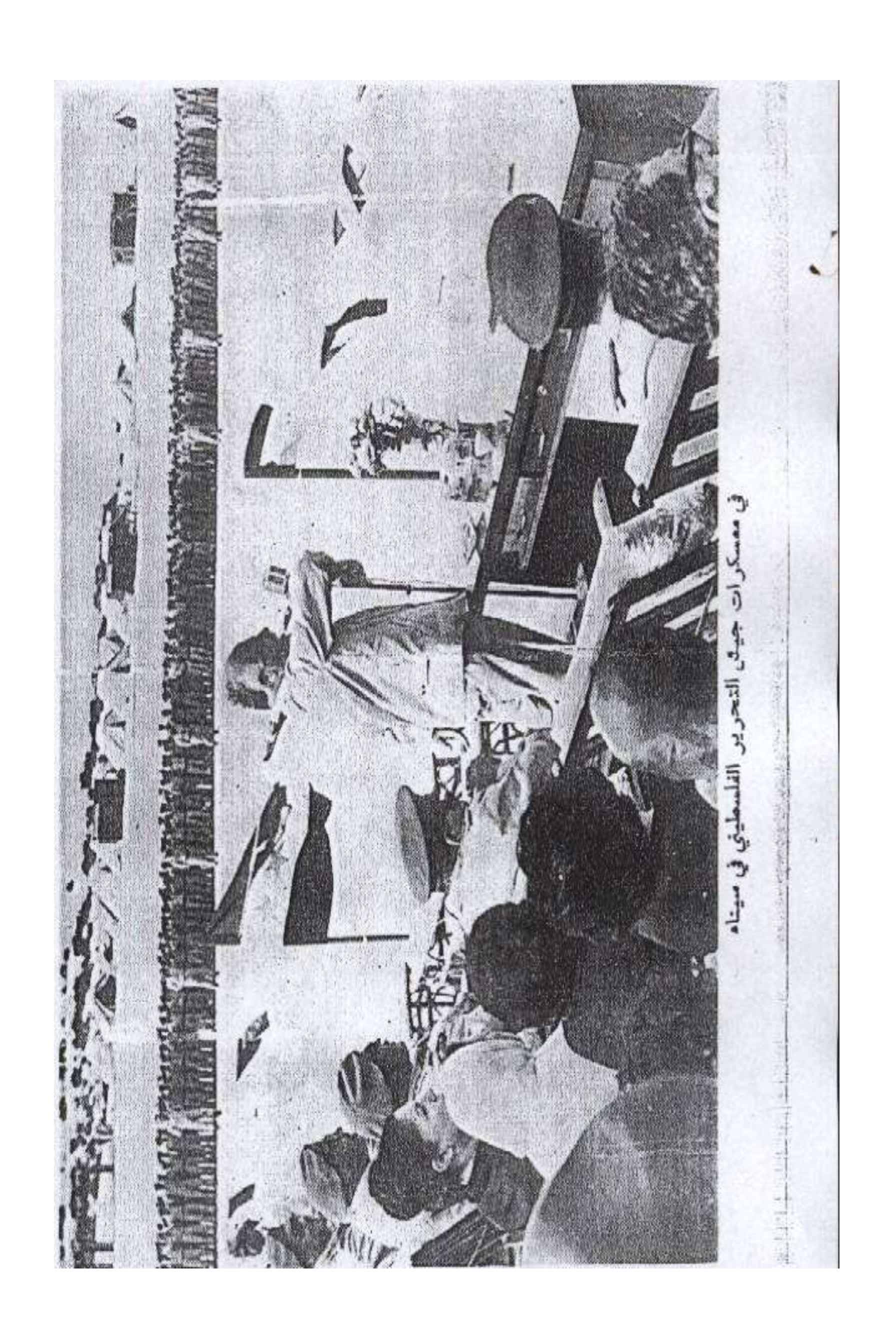
وحسب الوزير اليمني أن الفرصة لاحت له، فقال: وقضية اليمن، أما عندكم تعليمات بشأنها ... وكان هذا الكلام موجهاً إلى الوزير السعودي السيد السقاف .. ولكن لم يجب السقف ولا السقاف !!

وتعطل جهاز التكييف في قاعة الاجتماعات، واصبح الجو الطبيعي ثقيلاً كالجو السياسي، وبدا واضحاً أن الوزراء يريدون أن يكونوا سعاة بريد لدى الملوك والرؤساء يحملون إليهم الملفات من غير توصيات ..

والواقع أن الذي تعطل لم يكن جهاز " التكييف"، ولكن الذي تعطل هو إرادة النضال، والعناد في الحق، والتصميم على التضحية.

ومن غير أن أقارن، فإن المقارنة تفجعني ففي الأيام التي كان فيها الوزراء العرب يخطبون في القاهرة أو بغداد، أو الخرطوم، كان العناد الإسرائيلي مشفوعاً بالتصميم والإرادة يتجلى في الاجتماعات الشعبية التي كانت تنعقد في إسرائيل.

وفي أحد هذه الاجتماعات خطب الجنرال بيجال آلون وزير العمل الإسرائيلي فقال : " يجب أن يكون نهر الأردن حد إسرائيل الشرقي، وأن الوجود الإسرائيلي الدائم في الضفة الغربية سيضمن سلامة إسرائيل .. وأن



في معسكرات جيش التحرير الفلسطيني في سيناء

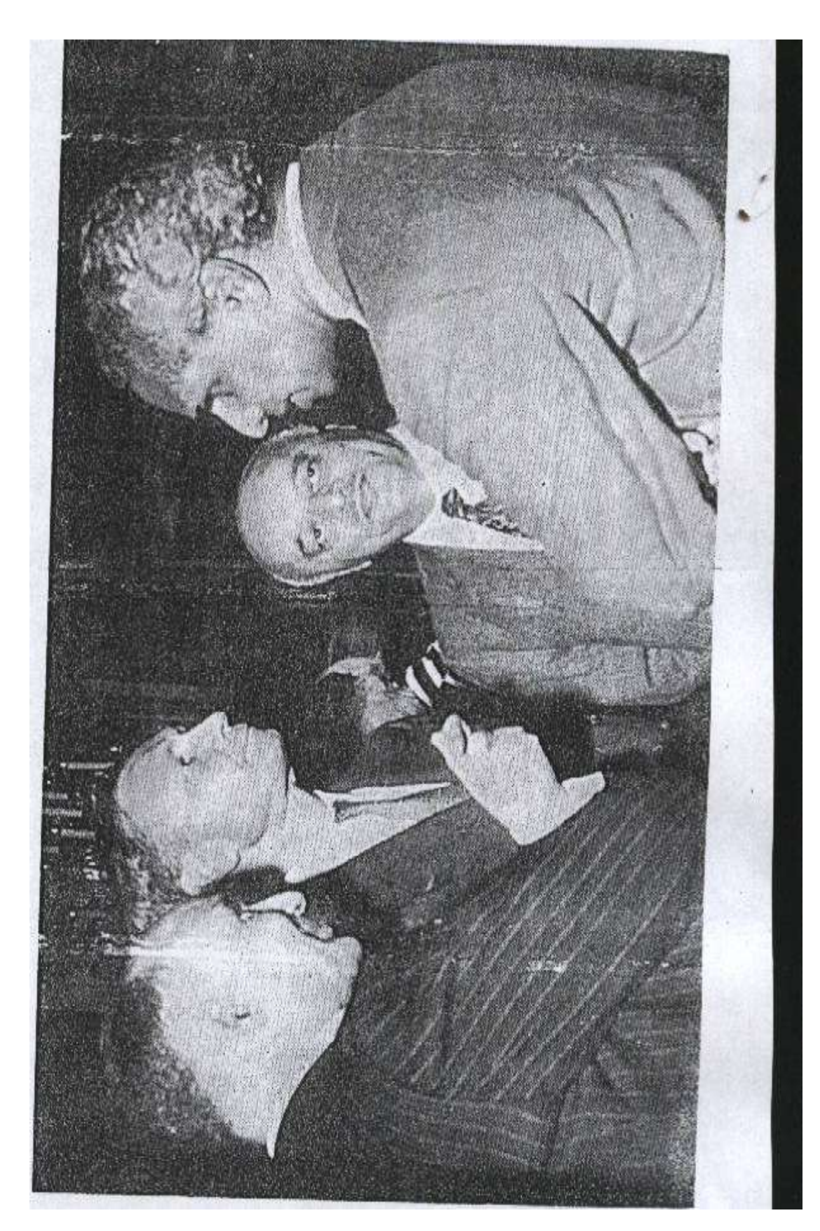


في ٥ حزيران تحول بيتي في كيفون الى ثكنة للفدائيين .. و يبدو هنا المقدم محمد الشاعر يعطي توجيهاته الى فصيل من الفدائيين المستجدين





مع الفريق أول علي علي عامر









مع جروميكو وير خارجية الاتحاد السوفييتي

الجولان جزء من إســرائيل القديمة، ولا يقل انتماؤها إلى إســرائيل عن نابلس والخليل .. ألم يحكمها يفتاح أحد أجدادنا العظام..".(1967/8/15).

بل إن مؤتمرات القمة برمتها لم تعد تخيف إســرائيل.. ولم تعد تثير اهتمامها إلا بصــورة عادية، وهذه وكالة الصــحافة الفرنســية قد نشــرت تعليقاً عشــية انعقاد مؤتمر القمة تقول فيه : إن إســرائيل لم تعد تشــعر بمخاوف عند الإعلان عن اجتماع عربي على مستوى القمة..."(1967/8/29).

ومع هذا فقد مضــينا نعد جدول الأعمال للملوك والرؤســاء، بعد أن تعطل جهاز " التكييف".

أجل، لقد أعددنا جدول الأعمال وما أعددنا أنفســنا للنضــال .. بالعناد والتصميم .. كما يفعل عدونا ..

ولهذا فقد كان جدول الأعمال يصدق فيه قوله تعالى:

"أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف"

صدق الله العظيم

مؤتمر الخرطوم..
ـــــــــــــــــــــ يحتضر في يوم ميلاده

في فجر الثلاثاء، التاسع والعشرين من شهر آب (أغسطس)، في السنة الأولى من النكبة الكبرى نهضت من فراشي لأرى السماء غير السماء، والأرض غير الأرض، والخرطوم غير الخرطوم.

فركت عيني، وأنا أنظر من الشرفة، لاستيقن ما أرى، وما كذب البصر ما رأى ... لقد أبصرت بالأشجار فإذا هي بيضاء بأغصانها وجذوعها وأعمدة الكهرباء بيضاء بسواريها ومصابيحها، والشوارع بيضاء بأرصفتها وأسطحة المنازل بشرفاتها بيضاء .. وظننت لأول وهلة ، أن سحابة بيضاء من الثلج قد هبطت على المدينة، فجعلت من الخرطوم إحدى مدن القطب الشمالي المتجمد ..

ولكني سرعان ما تبينت الأمر على حقيقته بأذني لا بعيني .. فقد كان هذا " البياض" يتكلم ويصيح يأكل ويشرب ويتنفس ويدخن، تبينت أن هذا هو شعب السودان، افترش الأرض وتسلق الأشجار واحتشد في الشوارع، وملأ الأسطحة والشرفات ... والجميع بالملابس البيضاء والعمائم البيضاء، وكأنما

هبط على الخرطوم رداء من السماء، ناصع البياض، تزيده الشمس الساطعة تألقاً وسناء.

وكان هذا الحشد الأبيض الأكبر هو لاستقبال الملوك والرؤساء الوافدين على مؤتمر القمة، وكان من العجب الأعجب أن تحشد هذه الخلائق في ذلك اليوم اللاهب لتستقبل الملوك والرؤساء استقبال الفاتحين المنتصرين.. ولما يمسحوا بعد، عفار الهزيمة، وغبار النكبة، عن وجوههم!!

وتلك كانت مفارقة عجيبة حقاً، للذين لا يعرفون هذا الشعب، وعناده في حقه وصبره على آماله .. ولكن الشعب أراد أن يستقبل آماله المرجوة وقد فقدها، وأطماحه التي يصبو إليها وقد خسرها.

وهكذا فقد خرج الشعب لا ليستقبل الهزيمة والمهزومين بالأمس، وإنما ليستقبل النصر والمنتصرين بالغد، ومن هنا كان هذا الطوفان من البشر يغمر الخرطوم على سعتها وامتدادها، من المطار إلى الحارات وليس هذا مبالغة في الوصف.. ولكنه هو الحقيقة في عبارة وجيزة.

وخرجت مع الوزراء والسفراء إلى المطار لنستقبل الملوك والرؤساء كل وزير ليستقبل ملكه أو رئيسه .. وأما أنا فلم يكن لي ملك ولا رئيس ولا وطن قائم ولا شعب مجتمع .. وكان يكفيني أن أكون واحداً من المواطنين جئت لاستقبال الأمل والرجاء في صدر الغيب البعيد أو القريب لا أدري.

وبدأ القادمون الكبار يتوافدون .. الرئيس اللبناني شارل حلو .. الرئيس العراقي عبد الرحمن عارف، الملك الأردني حسين بن طلال .. الرئيس اليمني المشير عبد الله السلال، أمير دولة الكويت الشيخ صباح الاحمد الصباح، الأمير حسن الرضا ولي عهد المملكة الليبية في العهد الساقط، السيد الباهي

الأدغم ممثلا للرئيس التونسي الحبيب بورقيبة، السيد عبد العزيز بوتفليقة ممثلاً للرئيس الجزائري هواري بومدين، الدكتور بن هيمة ممثلاً لملك المغرب الحسن الثاني.

وجرت مراسم الاستقبال المعتاد للجميع بكل حفاوة وانسابت سيارات الوفود بين الجماهير المحتشدة إلى فندق السودان في فيض زاخر من الحماسة البالغة والهتافات المدوية.

ولم يبق إلا قدوم الرئيس عبد الناصر والملك فيصل.. وأخذ الشعب ينتظر ورجال الدولة وموظفو المراسم يروحون ويغدون ويتشاورون ثم ينظروني إلى السماء .. إلى الأفق البعيد بحثاً عن طائرة قادمة من القاهرة أو الرياض.

وهبطت أولاً طائرة الرئيس عبد الناصر، فاشتد زحام الجماهير من حول أرض المطار، والناس يودون أن يخطفوا الرئيس ليحملوه على الأكتاف إلى الخرطوم، غير مبالين بالبروتوكول وتقاليده .. والشعب في السودان على الفطرة العربية ..

وخف الجميع لاستقبال الرئيس عبد الناصر يتقدمهم رئيس مجلس السيادة السيد إسماعيل الأزهري، ورئيس الحكومة السيد محمد أحمد محجوب، والوزراء العرب، وتعالت الهتافات الداوية ترددها الجموع حتى خفتت مراسم الاستقبال الرسمي ومعها العشرون طلقة وطلقة التي تطلقها مدافع الاستقبال لا مدافع الميدان !!

وأقترح الرئيس الأزهري أن ينتظر الرئيس عبد الناصر في المطار بعض الوقت، فقد أصبحت طائرة الملك فيصل وشيكة الوصول، وبهذا يكون من

المناسب أن يركب الرئيس عبد الناصر والملك فيصل في سيارة واحدة ومعهما الرئيس الأزهري، ليكون الموكب واحداً أمام الجماهير.

وأعرب الرئيس عبد الناصر عن رأيه في أن تكون مراسم الاستقبال كالمعتاد، لكل ملك أو رئيس على حدة .. ولم ينشرح الرئيس عبد الناصر لهذا الرأي، فلم يلتق بالملك فيصل بعد القطيعة الطويلة بينهما، فضلاً عن أن الحسابات ما صفيت بينهما, وما يزال مصير المؤتمر القمة يكتنفه الظلام ...

ومشى الرئيس عبد الناصر إلى صالة المطار ليلقي كلمة إلى الشعب السوداني .. وكانت إذاعة الخرطوم ومعها إذاعة القاهرة جاهزة للاستقبال لتسمع الأمة العربية من الخرطوم على المحيط ... ومن الخرطوم إلى الخليج.

ولم تقتصر خطبة الرئيس عبد الناصر على الشكر والتحية، بل تعرض لمؤتمر القمة وما يدور حوله فقال : (إذا كانت الاجتماعات التمهيدية التي كان من عملها الإعداد لهذا الاجتماع على مستوى القمة العربي لم تحقق ما كنا نرجوه منها فأن ذلك أيضاً لا يثنينا عن التمسك بالمحاولة إلى آخرها .. ونحن قد جئنا إلى هذه المحاولة ونحن نعلم أن أخوانا أعزاء علينا يرون مقدماً بعدم جدواها، ولكنا آثرنا مهما كانت الاعتبارات أن نجي، وأننا لنتمنى من كل قلوبنا أن يتحقق ما يتصوره البعض، حتى من إخواننا، بعيد المنال) .

وكانت هذه العبارات موجهة إلى سوريا والجزائر اللتين اعتذرتا عن حضور المؤتمر(لعدم جداوه) كما أعلنت إذاعات دمشق والجزائر.

وبينما كان الرئيس عبد الناصر يتحدث إلى جماهير الأمة العربية توقفت إذاعة السودان وأنتقل الميكروفون إلى المطار لينقل نبأ وصول طائرة

الملك فيصل، وظل شعب السودان يواصل الاستماع إلى إذاعة صوت العرب، ولم يخل الموقف من شيء من الارتباك ...

وخرج الرئيس عبد الناصر ومعه الرئيس محمد أحمد محجوب وسط الطوفان البشري، والجماهير تهتف ملء الحناجر، والنساء تزغرد والطلاب والشباب يتسابقون على الموكب، تتصبب جباههم بالعرق، وتتشقق أشداقهم، وهم يصيحون : ناصر ... ناصر ... شعب واحد .. جيش واحد .. القتال.. القتال .. الثأر.

واستمرت هذه الهتافات تواكب الرئيس عبد الناصر حتى أوصلته إلى فندق السودان .. وبقى الرئيس إسماعيل الأزهري في المطار ليستقبل الملك فيصل، وتمت مراسيم الحفاوة .. وخرج الملك فيصل ومعه الرئيس الأزهري في سيارة الرياسة في موكب فخيم عظيم، تحف بهما الجماهير .

وكانت الجماهير تهتف، ولكن بشعارات أخرى لها معناها ومغزاها، والجماهير العربية ذكية واعية، تحسن صياغة الشعارات، كما تجيد القصائد الشعبية.

كان هتاف الجماهير، (عدو عبد الناصر عدو الله) .. وعلى طول الطريق، من المطار إلى الفندق، كانت الجماهير تقترب من سيارة الملك فيصل لتصيح في أذنيه : (عدو عبد الناصر عدو الله) .. وكان الملك فيصل، يلقي بكوفيته على رأسه ووجهه، من حين إلى حين، لا اتقاء للحر، فهو اليف الحر في الجزيرة العربية، ولكن اتقاء لهذا الهتاف ومعناه ومغزاه أشد لهباً من حر الخرطوم والرياض معاً .

وعلى طول الطريق كذلك فقد كانت الرايات، أشـد إحراجاً من الهتافات ... فقد كانت الرايات مكتوباً عليها .. (أوقفوا البترول عن دول العدوان) وما إلى ذلك من العبارات البترولية.

وصـل الملك فيصـل إلى فندق السـودان وهو يبدي سـروره من اسـتقبال السودان الرسمي، ويكظم غيظه من (استقبال) السودان الشعبي ...

وبهذا تكامل وصـول الملوك والرؤسـاء، وقد تخلف عن القافلة ملكان وثلاثة رؤساء.

تخلف الملك المخلوع إدريس السـنوسـي، لأسـباب صـحية كما ذكر ولي عهده حسـن الرضـا، وتذكرت الملك الكامل وقد حمل نفسـه على محفة عبر الصـحاري والقفار ليصـل إلى ميدان القتال في دمياط ويشـرف على معركة المسلمين بنفسه ضد الصليبين، غير مبالٍ بالمرض الذي هده وأنهك جسده ... وما أعظم الفارق بين الملوك المجاهدين، والملوك المتقاعدين المتثاقلين..

وتخلف الحسـن الثاني ملك المغرب، وهو هو الذي اقترح عقد مؤتمر قمة ينعقد في الرباط في عشية العدوان الإسرائيلي، وهو يريد المؤتمر أصـلاً أن ينعقد في عاصـمته حتى ينسـى الشـعب همومه من الحكم .. وها هو اليوم يتقاعس عن المجيء إلى الخرطوم وهو في ريعان شبابه، وقد كرس لسانه بعد الهزيمة ليقول على الدوام .. " كان يجب على الرئيس عبد الناصـر أن يبدأ بالهجوم ولو كنا مكانه لكنت البادئ بالهجوم .." وها هو لا يبدأ بالسـفر فضـلا عن الهجوم !!

وتخلف الرئيس السـوري الدكتور نور الدين الاتاسـي لأن القيادة القومية مؤتمر القمـة، وأوفدت الدكتور إبراهيم مـاخوس إلى الخرطوم ليجتمع بـالملوك

والرؤساء في حجراتهم، لا في قاعة الاجتماعات .. فكان موقفاً ينم عن المراهقة السياسية بالإضافة إلى التفاهة القومية .. واكتفى البعث السوري أن يصيح من دمشق، عن طريق جريدة الثورة " بأن مؤتمر القمة هو المنبر الأخير لدعاة تصفية قضية فلسطين".. وكان الأجدر أن يتخذوا من هذا المنبر مسيرة جديدة أصيلة تحول دون تصفية القضية الفلسطينية !

وتخلف الرئيس التونسي بورقيبة، وكان في تمام الصحة وكمال العافية كما يقول إخواننا التونسيون، واختار أن يخاطب مؤتمر القمة من تونس فخطب في اجتماع شعبي كبير دعا فيه العرب أن " يعترفوا بوجود إسرائيل وأن يمتنعوا عن التهديد بمسحها من خارطة العالم وطالب الدول العربية بأن تنهي حالة العداء مع إسرائيل، وأضاف أن العرب يتعرضون الآن للهزيمة والاحتلال لأن أحدهم (عبد الناصر) توقع أن يأتي المعتدي من الشرق فجاء من الغرب ...(1967/8/26) ونسى الرئيس أبو رقيبة خطابه الشهير في يوم : " الآن جاءت ساعة الحرب .."!!

وتخلف الرئيس الجزائري هواري بومدين، وفي اليوم الأول لعمل مؤتمر القمة، خطب في مؤتمر شعبي كبير بالجزائر فقال :" نحن نرفض أي حل سياسي لأزمة الشرق الأوسط لأن هذا الحل يشكل في الواقع اعترافاً بإسرائيل وتصفية نهائية للقضية الفلسطينية .. وأن متابعة النضال هو الوسيلة الوحيدة لاسترداد الأرض العربية المحتلة وتحرير فلسطين .. وإذا جرى استفتاء في العالم العربي حول النقطتين التاليتين : متابعة النضال أو الإقرار بالأمر الواقع فأنا متأكد أن 99 بالمائة من الشعب العربي سيختار متابعة النضال .. ولا يحق لأية حكومة عربية أن تعمل على تصفية القضية الفلسطينية لأن هذه تتعلق

بمصـــير شــعب بأســره .. وأن الطريق مفتوحة لكم من يريد أن يذهب إلى تل ابيب، ولكن فليذهب وحده ولا يطلب من الحكومات العربية الأخرى أن يلحقوا به للتفاوض مع إســـرائيل والاعتراف بالأمر الواقع والهزيمة ... ويجب أن نقوم بالتصـــفية الشـــاملة للمصـــالح الإمبريالية في العالم العربي .. " إلى آخر هذا الخطاب الرائع الذي كنت أتمنى أن يلقيه الرئيس الجزائري في مؤتمر القمة، في الخرطوم، لعله يوجهه وجهة أخرى.

ونحن لو حذفنا ثلاثة من المتخلفين وهم الملك الحســـن الثاني والرئيس بورقيبة، والملك إدريس، فلا مناص من الأســـف على تخلف الرئيس بومدين والأتاســـي فقد كان حضـــورهما مدعاة لدفع المؤتمر خطوة واحدة إلى الأمام أو خطوة أقل إلى الوراء ... بل لأمكن رفع المؤتمر من الهوة التي وقع فيها، وسـميت ظلماً بمرحلة الصـمود ...وجاءت الأحداث لتثبت أن الصـمود تحقق، ولكن على الهوان!!

وهكذا انعقد مؤتمر القمة بما يقرب من نصف رؤسائه .. ومع هذا فإن مؤتمر القمة لم يصل إلى نصف القمة.. بل أنه هوى إلى الحضيض.

وفي مســـاء يوم الثلاثاء (1967/8/29) خرجت من الفندق إلى قاعة الجمعية التأسـيسـية، وتعاقب مجيء الملوك والرؤسـاء والوفود لشـهود الجلسـة الافتتاحية العلنية.

وألقى الرئيس السـوداني السـيد إسـماعيل الأزهري خطاباً حذر فيه من " التنابذ والتناحر لئلا يهدر الحق العربي والكرامة العربية، مؤكداً أن مســـئولية اتخاذ قرارات بناءة تقع على عاتقنا ولن تغفر لنا شـــعوبنا إخفاقنا وعلينا واجب

ملح يقضي باتخاذ جميع التدابير الاقتصادية والعسكرية والسياسية لإزالة آثار العدوان، وأن واجبنا الأول أن نخرج من هذا المؤتمر بوحدة بناءة وخلاقة".

وانتهت الجلسة العلنية، وخرج الصحفيون والمصورون، وانعقدت الجلسة مقفلة، وباتت كل ذرة في القاعة، تتساءل هل سيحقق المؤتمر الأمل المرجو في اتخاذ " التدابير الاقتصادية والعسكرية والسياسية لإزالة آثار العدوان".

كما أشار الرئيس الأزهري في خطابه ... أم إن هذا الكلام سيكون شأنه شأن رايات القماش التي نصبت بالمئات في ميادين العاصمة وهي تطالب الملوك والرؤساء " قاطعوا دول العدوان "... نريد استئناف القتال " " البترول سلاح المعركة " .. وما إلى ذلك من الشعارات .. حبر على قماش يتماوج في الهواء!

وبدأت الجلسة المقفلة أعمالها بالشئون التنظيمية .. ولم يكن جو الاجتماع مسترخياً .. فالحاضرون لم ينفتح بعضهم على بعض، ولم تهيأ لهم لقاءات سابقة ليتفاهموا على القضايا الحساسة، والرئيس عبد الناصر والملك فيصل لم يلتقيا منذ مؤتمر القمة في الدار البيضاء ووقعت بينهما قطيعة حادة، المشير السلال يحاول عبثاً أن ينزع ابتسامة أو نظرة من الملك فيصل، والملك حسين يراقب تحركات وفد منظمة التحرير، والوفد التونسي يستشعر الغربة في هذا الاجتماع بعد أن استبعدت تونس عن الاجتماعات العربية بسبب مواقف رئيسها الحبيب بورقيبة، والرئيس اللبناني شارل حلو يدير وجهه المكتنز إلى الجميع ليعرض دور لبنان التقليدي في المساعي الحميدة، والوزير الجزائري السيد عبد العزيز بوتفليقة يطبق عينيه ويفرك جبينه وهو يتذكر في ذهنه الخطوط العريضة للسياسة الجزائرية، والرئيس العراقي عبد الرحمن عارف وأمير

دولة الكويت الشــيخ صــباح الأحمد يتبادلان النظرات بحثاً عن مخرج لقضــية النفط لا يكون فيه ضـــرر ولا ضـــرار .. والوفدان الملكيان الليبي والمغربي يتهامسان لتنسيق مواقع الأقدام!!

كان هذا هو الجو النفسي للمؤتمر، قلوب مغلقة في الجلسة المقفلة .. ولاحت الفرصة للرئيس الأزهري أن يفتح القلوب، ومعها الأفواه .. فوقف وقال : إن عملنا الأول هو انتخاب رئيس للمؤتمر وأنا أرشح نفسي للرياسة، وأظن أنكم لن تجدوا خيراً مني لرياسة المؤتمر !!

وانفتحت الأفواه .. وضـــحك الجميع، ولم يكن الأمر في حاجة إلى موافقة، فالتقاليد تقضـــي أن تكون الرياســة للدولة المضــيفة.. وجلس الرئيس الأزهري في كرسي الرياسة: ثقيل الجسم خفيف الروح..

وتقدم رئيس وزراء السودان السيد أحمد محمد محجوب، بوصفه رئيساً لمؤتمر وزراء الخارجية، ولخص أعمال المؤتمر، وتوصـــيات مؤتمر وزراء الاقتصـــاد والمال والبترول العرب، ثم تلا جدول الأعمال الذي أقترحه وزراء الخارجية وهو :

أولاً : بحث النتائج التي ترتبت عن العدوان الإســرائيلي على الدول العربية ودراسة وسائل إزالة آثار العدوان:

أ) على المستوى العسكري...

ب) على المستوى الاقتصادي (توصيات مؤتمر بغداد).

ج) على المستوى السياسي

ثانياً : تضافر الجهود لإزالة آثار العدوان ودراسة نقاط الضعف لتلافيها في المستقبل.

ثالثاً : تصفية القواعد العسكرية الأجنبية في الدول العربية..

رابعاً : وضع خطة عربية شاملة بعيدة المدى ومتكاملة سياسياً وعسكرياً واقتصادياً لدعم التضامن العربي وتحقيق الأهداف العربية.

ومن غير بحث أو كلام أو تصويت، أقر الملوك والرؤساء، بالصمت، جدول الأعمال ..وقد أوردته بالنص الكامل ليرى المواطن العربي في النهاية ما الذي بحث في هذا الجدول، وما الذي تم عليه الاتفاق .. وأخيراً، ماذا كان حظه من التنفيذ...

وأقول " التنفيذ"، لا بعد المؤتمر مباشرة فحسب، ولكن حتى بعد السنوات الست التي انقضت على ذلك المؤتمر.

وبعد إقرار جدول الأعمال، افتتح الرئيس الأزهري باب المناقشة .. وسأل :

- من يريد أن يتكلم.

فلم يتكلم أحد ...

وعاد الرئيس وسأل : هل من اقتراح .. ولم يتكلم أحد ..

ولم يجد الرئيس أمامه إلا أن يعلن تأجيل الجلسة إلى صباح الغد .. وخرجنا نحمل معنا جدول الأعمال إلى الفندق، كل وفد إلى جناحه المخصـــــص له .. وأنا إلى غرفتي، لأن شعب فلسطين مقصوص الجناح في الهواء، فلماذا يكون له جناح على الأرض ... أو في الفندق !!

وبدأت الاجتماعات في الأجنحة، الملوك والرؤســـــاء يتزاورون، وأنا أطوف عليهم أقدم لكل واحد منهم ملفاً كاملاً عن الجوانب السياسية للقضية الفلسطينية، والأمور العسكرية لجيش التحرير الفلسطيني، والوضع المالي لمنظمة التحرير،

ومع هذا كله ورقة العمل التي قدمتها إلى مؤتمر وزراء الخارجية العرب في مطلع هذا الشهر، ومشروع الدولة العربية المتحدة.

وكانت إجراءات الأمن المسددة لا تسمح لأحد بدخول الفندق،ولذا فقد كانت تلفونات الفندق مشغولة باستمرار ... مشغولة مع الصحفيين، فقد كانوا يطلبون الوزراء والسفراء على التلفون، ويستدرجونهم لأحاديث صحفية،من غير نصب ولا تعب..

وقضينا شطراً من الليل في حديقة الفندق ننعم بالنسيم الناعم هروباً من الهواء المكيَّف ... وما أن انتصف الليل حتى خرج الرئيس عبد الناصر بسيارته، وخرج بعده الملك فيصل بسيارته، وتقدمتهما سيارات الحرس .. وكان لا بد لهذه الحركة " المكشوفة " أن تثير حركة الصحفيين، فلحقوا بالموكب إلى أن وصل .. ووصلوا..

وكان المكان منزل رئيس الوزراء السيد محمد أحمد محجوب .. ووصل الرئيس عبد الناصر ..وبعد دقائق وصل الملك فيصل .. وأقفلت الأبواب ولم يدر أحد ماذا جرى ...

وطال انتظارنا لنعلم ماذا تم في هذا الاجتماع .. وانصرفت إلى غرفتي، وعدد من الوزراء والسفراء يلحون عليَّ البقاء لنعرف ماذا تم في هذا اللقاء .. ولكن نهضت، وأنا أقول لهم : رحم الله العرب ما تركوا شيئاً إلا وقالوه .. قالوا : عند الصباح يحمد القوم السرى .. وفي اجتماع الصباح ستعرفون نتيجة اجتماع الليل!!

وكان الأمر كذلك .. فعند الصباح بدأت ترشح الأخبار بين الوفود في الفندق .. وكل ما قالته الأخبار ساعتئذ أن الرئيس عبد الناصر والملك فيصل

عقدا اجتماعاً في منزل الرئيس السوداني .. وأن الاجتماع استمر حتى الفجر ...وأن الرئيس السوداني حضر لبضعة دقائق في بداية الاجتماع، ثم تركهما وحدهما ليتكاشفا، وانهما خرجا من المنزل وأيديهم متشابكة، ووجوهما تنم على التوافق والرضا..

وبدأ الوزراء يحاولون التكهن بما جرى في هذا الاجتماع .. فقد قال الوفد المصري إن رئيسهم ملتزم الصمت ولا يعرفون شيئاً .. ولم يكن الوفد السعودي في حاجة أن يؤكد أن الملك فيصل قد التزم الصمت... فالملك فيصل لا يكلم أحداً، إلا حينما يريد، ولا يتكلم إلا بمقدار، و الملك فيصل، كما قال الشاعر، " لا يتكلم إلا حين يبتسم" وقل أن يبتسم، والصمت عنده من بترول، لا من ذهب، ومهما تدفق البترول فإن لسان الملك فيصل لا يتدفق..

وقلت للوزراء لا تجهدوا أنفسكم في التكهن .. جلسة العمل الأولى ستكون بعد قليل، وستعلمون من خلال الحوار ما تم بين عبد الناصر وفيصل، اليوم، أو غداً، على الأكثر..

وبدأت الجلسة العمل الأولى .. ووقع الاختيار أن يكون الاجتماع في صالة الفندق لا في قاعة المجلس التأسيسي " ضمانة للسرية " .. كأنما السرية يمكن ضمانها في الاجتماعات العربية !!

واستهل الرئيس الأزهري الجلسة بقراءة البرقيات والرسائل، كان من أبرزها برقية بعث بها الرئيسان نيقلاي بودجورني واليكسي كوسيجين باسم الاتحاد السوفيتي، وجَّها فيه التحية إلى مؤتمر القمة وأكدا فيه " أن البلاد العربية تستحوذ على عطف جميع الشعوب المحبة للسلام لأن النضال العربي ضد العدوان الإسرائيلي الذي وقع على الأراضي العربية هو نضال ضد كل السياسة

العدوانية الإمبريالية التي تشن حرباً من حروب قطاع الطرق في فيتنام، وتنظم الاستفزازات ضد كوبا، وترسل جماعات التخريب من المرتزقة إلى الكونغو، وتدس المؤامرات ضد البلاد والشعوب الأخرى في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية .. " وبهذا حشرت القضية العربية مع القضايا الدولية الأخرى التي تثير اهتمام الاتحاد السوفيتي، في القارات الستة.

ومن الرسائل، مذكرة قدمها اتحاد نقابات العمال في السودان، تدعو الملوك والرؤساء العرب " إلى الاستيلاء على المؤسسات الأجنبية، وتأميم البنوك والشركات البريطانية والأمريكية والألمانية الغربية،وتصفية القواعد الأجنبية العسكرية في الوطن العربي، وإيقاف ضخ النفط عن الدول التي ساهمت في العدوان على الأمة العربية، وسحب كل الأرصدة العربية من البنوك الأجنبية، واعتراف جميع الدول العربية بجمهورية اليمن". وقد لخصت هذه المذكرة لأنها تماثل الآلاف من البرقيات والرسائل والمذكرات التي وردت على المؤتمر من كافة أرجاء الوطن العربي.

ثم تلا الدكتور محمد بن هيمة رئيس وزراء المغرب خطابا للملك الحسن الثاني، حمله من أقصى المغرب، وكان أجود ما فيه إنشاؤه الأجود الأمجد، دون أن يذكر سبب تخلفه عن المؤتمر.

وطلب الملك حسين الكلمة، فألقى خطابا حسن الصياغة بديع العبارة .. وهكذا أجاد الحسن والحسين ..

وجاء دور جدول الأعمال فتلا الرئيس الأزهري البند الأول وعرضه للمناقشة، فلم يتكلم أحد.. وعرض البند الثاني فليم يتكلم أحد .. ثم الثالث، والرابع، فلم يتكلم أحد.

لقد كانت الجلســة مزدحمة مكتظة، فقد حضــرها وراء الملوك والرؤســاء والوزراء والســفراء، وراءهم الخبراء، وحولهم الموظفون من الدرجات العادية.. وكيف يمكن أن تكون الجلســة ســرية .. بل كيف يمكن للملوك والرؤســاء أن يتحدثوا بالصراحة، ولو بالقدر القليل.

وأدار الرئيس السوداني رأسه الضخم بين منكبيه العريضين، وهو يبحث عن مخرج .. فصــاح الســيد محمد أحمد محجوب، رئيس الوزراء، أنا أقترح تأجيل الجلسة لنشرب المرطبات، وكذلك كان، فقد انفضت الجلسة .. وتنفست القاعة الصعداء...

وجرى الحديث بين الحلقات .. واتفقت الكلمة أن ينعقد الاجتماع " مصغَّرا " فلا يحضره إلا الملوك والرؤساء، ومع كل منهم واحد فقط من أعضاء وفده.

وعدنا إلى صــالة الاجتماع .. واتجهت الأنظار إلى الرئيس عبد الناصــر فالجميع ينتظرون منه أن يبدأ المناقشة .. فإن مصر هي قطب الرحى بالقضية العربية، وهي التي وقعت عليها أكبر ويلات الحرب أرضــاً وشــعباً .. وعبد الناصر يعرف خوافي الأمور قبل الهزيمة وبعدها ..

وفتح الرئيس عبد الناصــر ملفه أمامه .. ينظر يه حيناً ويتحدث حيناً .. وامتد حديثه قرابة ســاعتين، وتحدث بعده الملوك والرؤســاء، كما تحدث باســم شــعب فلســطين .. وها أنا أعود إلى محاضــر منظمة التحرير لأنشــر ما قاله الملوك والرؤســاء، ويقيني أن العثور على محاضــر الملوك والرؤســاء في " أرشـيف" الحكومات العربية يكاد أن يكون معجزة ... هذا إذا أمكن العثور عليها كاملة وسليمة !!

وأرهف الملوك والرؤساء أسماعهم، وتحدث الرئيس عبد الناصر قائلاً:

" نحن الآن نواجه أوضـــاعاً خطيرة، ونخوض معركة مقدســـة تتطلب منا جميعاً موقفاً موحداً .. وعلى الرغم من أن جدول الأعمال، يشـــير في نقطته الأولى للناحية العسكرية إلا أنني أجد من الضـروري أن أمهد لذلك سـياسـياً .. والحقيقة أن الأمرين مترابطان معاً ولا يمكن الفصل بينهما.

" لقد وقع الخلاف بيننا وبين الأميركان قبل العدوان بســـنتين، وذلك عندما طلبت أميركا منا إيقاف الأبحاث الذرية مع حق التفتيش على ذلك .. كما طلبت منا إيقاف إنتاج الصواريخ مع حق التفتيش كذلك .. أما الطلب الأمريكي الثالث فكان إيقاف سـباق التسـلح وضـرورة التوازن بيننا وبين إسـرائيل. وقد قدم إيقاف ســباق التســلح وضـــرورة التوازن بيننا وبين إســرائيل .. وقد قدم هذه الطلبات مبعوث الرئيس الأمريكي وأسمه " ماكلويد " .

" وقد كان ردنا على هذه الطلبات الرفض الكامل.. وقلنا إننا نقبل بعدم انتشـار الأبحاث الذرية عن طريق إشـراف دولي على أن تقبل إسـرائيل الشـيء نفسه..

" ثم وصلتنا رسالة أخرى من أمريكا تعترف فيها بأنها ستسلح إسرائيل، وأنها لا تقبل بأي اختلال في ميزان التســلح، وهددتنا بأننا إذا شـــهرنا بها فســتعطي إسرائيل مزيداً من السلاح، ورفضنا هذا التهديد .

" إذن هذا هو سر الخلاف بيننا وبين أمريكا " .

" ثم أخذت العلاقات بالتدهور بعد أن اكتشـفنا صـفقة الأسـلحة السـرية الألمانية، وعندما أعلنا ذلك ســاءت العلاقات أكثر فأكثر .. وقد حاولت ألمانيا الغربية إغراءنا بالمساعدات مقابل السكوت ولكننا لم نقبل".

" فسر الخلاف بيننا وبين أمريكا،كما يتضح من هذا الكلام، سببه قضية العرب، قضية فلسطين، وكان باستطاعتنا أن نسكت عما يجري في إسرائيل وعن حقوق شعب فلسطين لتمشي الأمور ولكننا لا نقبل .

" وانقطعت المساعدات الأمريكية نتيجة رفضنا لطلباتهم، وكان تبرير أمريكا لذلك أننا نستعمل مساعداتها في تطوير سلاحنا، ولذلك قال الأمريكان، إنهم لا يستطيعون الاستمرار في مساعداتهم لنا .. وقيمة مساعداتهم تقدر بـ 60 مليون جنيه مصري، كانوا يأخذونها منا وينفقونها في مصر .. وقد سبق قطع المساعدات أن وصل إلى القاهرة ممثل آخر لجونسون وتكلم عن المساعدات والطلبات ثم تقرر قطعها، فقبلنا نحن بذلك لأننا نريد أن نبقى مستقلين، ولأننا نرفض أن نبيع مبادئنا .. وبعد ذلك بدأ تسليح إسرائيل، وعملنا نحن من جهتنا لشراء المزيد من السلاح.

" بعد ذلك، نصل إلى مايو الماضي والقصة هنا معروفة، فحشدنا قواتنا للرد على أي هجوم على سوريا أو أي بلد عربي.وهنا أيضاً كان باستطاعتنا أن نسكت وأن نقول "نحنا مالناش دعوة بحد " ولكننا أخذنا مسئوليتنا، وبغض النظر عما يجري فإننا لن نتردد عن السير مرة أخرى على نفس الطريق، لأننا نعتبر أنفسنا جزءاً من الأمة العربية والوطن العربي لأننا نؤمن أن العدو إذا بدأ بأي دولة عربية فلن ينتهي عندها.

" وكان من الطبيعي، بعد الحشد، أن ننهي وضع قوات الطوارئ الدولية ، خصوصاً وأن إخواننا العرب، في إذاعاتهم وصحفهم، لم يتوقفوا عن هذا الطلب .. وهذا – بنظرنا – معناه العودة بالأوضاع إلى ما قبل 1956.. ثم تطورت الأمور ، ووصلتنا رسالة جونسون لضبط النفس وطلب في أن يرسل نائبه،

ورديت عليه بأنني مستعد من طرفنا لإرسال زكريا محي الدين .. كذلك وصلتنا رسائل أخرى من جونسون يقول فيها أن أي عمل عسكري ضد إسرائيل ستكون له نتائج خطيرة ، وأعلنوا تمســكهم بقرارات كنيدي لضــبط الحدود في الشــرق الأوسط.

" ودفعنا قواتنا إلى ســيناء، ثم بدأت المعارك يوم خمســة يونيو بهجوم إسرائيلي، وكان المفاجأة بضرب قواتنا الجوية. وقد أثر هذا الضرب على قواتنا في ســيناء ولم يصــبح بقدرتنا الجوية.. وقد أثر هذا الضــرب على قواتنا في سيناء، ولم يصبح بقدرتنا بعد الضربة الأولى أن نرد على الهجوم الإسرائيلي.

" ولم نكن قد أعلنا عن التواطؤ الأمريكي إلا بعد أن اتصل بي الملك حسين الساعة الخامسة من صباح 6 يونيو وقال لي أن الهجوم جاي من البحر وان أجهزة الرادار قد سجلت ذلك.وقلت للملك حسين إنني مستعد لإصدار بيان في هذا الصدد ... وطلعنا البيان.

" وكان واضــحاً أن تقديرنا لقوات إســرائيل كان مخطئاً .. كان عندهم متطوعون، وكذلك دباباتهم كانت أكثر مما تصورنا.

" وصمدت قواتنا يوم 5 و6 و 7 يونيو للهجوم بدون غطاء جوي، وكان لنا في سيناء حوالي 800 دبابة، و18 لواء وألف مدفع .. كان عندنا أسلحة ثمنها ألف مليون جنيه. وقد قضــى العدو على 80% من قواتنا المســلحة وده اللي خلانا نقبل بوقف إطلاق النار، لأن الــــ 20% الباقية يدوب تدافع عن غرب القنال.

" لقد انهزمنا في المعركة، ولن نكون أول ولا آخر من يهزم، والمهم هو كيف نحول الهزيمة إلى درس.

" من 8 يونيو حتى اليوم أعدنا تسليح جزء من قواتنا المسحلة، وبنقول أنو حنا عوضنا 50% من اللي خسرناه .. ولكننا لم نعوض من قتلوا، وعددهم 1500 ضابط و10.000 عسكري بالإضافة إلى الأسرى وعددهم 500 ضابط و 5000 عسكري، وهناك 40 طيار مفقودون.

" والسؤال الآن: هل نستطيع النهادره أن نهاجم إسرائيل؟

" الجواب : لا .. ولا أستطيع أن أكابر، نحن لا نستطيع الهجوم اليوم ولفترة غير قصيرة .. ولكننا نستطيع الدفاع ضد أي هجوم يحاول عبور القنال.. نحن الآن نعمل على استكمال قواتنا . نشتري أسلحة بالعملات الصعبة .. وهدفنا أن نعيد بناء جيشنا في أقصر وقت ممكن .. وطبعاً إذا أردنا أن نستعيد أراضينا بالحرب فلن نبدأ بالحرب ولا يصح أن نبدأها إلا بعد أن نكون على ثقة بأننا نستطيع أن ننتصر وإلا نضع أنفسنا في نكسة أشد . إذن فالعمل العسكري لا بد أن ينتظر بناء قواتنا المسلحة ، وبعد الاستفادة من النكسة ودراسة أساليب إسرائيل، وبعد حشد قواتنا السياسية والاقتصادية .. نحن خسرنا حوالي 160 مليون جنيه . مية وخمسة مليون من القنال وعشرين مليون بترول سيناء، و 40 مليون من السياحة.

" والعملية العسكرية والاقتصادية والسياسية مرتبطة ببعضها".

وعندما نتكلم سياسيا ونحن في مركز الضعف نصل إلى الاستسلام. ولكن إذا تكلمنا من مركز القوة فمعنى ذلك أننا نستطيع أن ندافع عن حقوقنا وحقوق شعب فلسطين .. وهذا لا يتم إلا إذا كان عندنا قوات مسلحة . ووضعنا الآن تصلح، وهو يتصلح كل يوم .. وكلما تصلح وضعنا العسكري يصبح وضعنا السياسي أحسن.

" اقتصادياً خسرنا أكثر من ثلث مدخولنا من العملة الصعبة .. وإذا جاء يوم لا أستطيع فيه شراء القمح فمعنى ذلك أننا على طريق الاستسلام، أما إذا كان هناك وضع اقتصادي يخلينا نصبر فمعنى ذلك أننا نقاوم أكثر، وساعتئذ يصبح العمل السياسي مش استسلام.

" ده ملخص لموقفنا نحن، ولكن إذا سمحتم فعاوز أقول حاجة بالتفصيل..

" من الملاحظ أن هناك ضغط أمريكي لحل سياسي، وكلنا نعرف هذا الضغط .. وكلنا نعرف أنو قضية فلسطين مش بتاعت واحد فينا .. دي قضيتنا كلنا، ولازم قبل ما نطلع من هنا نقر موقفنا بالنسبة لقضية فلسطين وشعب فلسطين .. هل سنسلم أم سنناضل؟

" حصل الضغط علينا من أجل قبول الحل السياسي الذي عرض في الأمم المتحدة ويتخلص بـ:

أولاً – إنهاء حالة الحرب بيننا وبين إسرائيل.

ثانياً – الانسحاب إلى مواقع خمسة يونيو.

" هذا معناه أن نسلم بقضية فلسطين مقابل خروجهم من سيناء. فهل أقبل أنا بذلك؟ هذا موضوع كبير جداً لأنه لا يختص بمصر ولكن بالأمة العربية كلها كما يختص بأطماع إسرائيل التوسعية، ومصير الإنسان العربي وضياعه.

" وأنا بقول يقعدوا في سيناء حتى نعد أنفسنا .. ولكننا لن نسلم..

" ثم تطورت المشروعات لغاية المشروع السوفيتي – الأمريكي الأخير وملخصه:

1- الجمعية العامة للأمم المتحدة تعرب أن السلام والحلول النهائية لهذه المشكلة ممكن تحقيقها على ضوء مبادئ الميثاق..

2- تقرر بناء على ذلك عدم المكاســب الإقليمية وتطالب دون تأخير الانســحاب من الأراضــي(لاحظوا دون تـأخير" ومـا قـالوش فوراً ").

3- تؤكد بالمثل أن تقر كافة دول المنطقة الحقوق القومية لكل دولة في المنطقة، وأن تكف كل دولة عن المطالبات.

4- تطلب من مجلس الأمن أن يعمل مســتخدماً قوات الأمم المتحدة للوصـول لحل عادل ومناسـب لكافة الأطراف، ووضـع حد لمشكلة اللاجئين وضمانة حرية الملاحة.

" وقد رفضنا هذا، وقد تصدرت أمريكا لأي قرار آخر، بالرفض".

" ولم يحدث حتى الآن أي اتصــال بيننا وبين أمريكا, ولكن أبلغنا عن مشاريعهم عن طريق يوغوسلافيا والهند"...

" الرئيس الأمريكي بعث برســالتين لتيتو في هذا الموضــوع: الأولى عامة وتتلخص بالتمسك بالنقاط الخمس التي أعلنها الرئيس الأمريكي بعد العدوان . والثانية رسـالة تفصـيلية تشـرح وجهة نظر أمريكا بضـرورة اعتراف الدول العربية بإسـرائيل وإنهاء حالة الحرب معها، وذكر جونســون إن هذه الخطوة لا تعني اعتراف العرب قانونياً بإسرائيل ولا تستتبع التمثيل الدبلوماسي معها، ولكنها تســتتبع مرور الســفن الإســرائيلية في خليج العقبة وقنال الســويس. وتضمن الخطاب الأمريكي برنامجاً لتحقيق السلام على الوجه التالي:

1- قبول جميع الدول العربية بالقرار الأمريكي.

2- أن يُقر المشروع في مجلس الأمن ويصبح أساساً لتحقيق تسوية عامة تعالج العناصر الأخرى للقضية.

أ) مأساة اللاجئين.

ب) حماية الحقوق الدولية في القدس.

ج) انسحاب القوات الإسرائيلية إلى حدود آمنة يتفق عليها.

" وبعدين قال جونسون برسالته أنه من الضروري أن تتحمل الدول المعنية علاج مشاكلها بصورة واقعية .. ومن الممكن أن يعد يوثانت وسيطاً للاتصال مع الأطراف المعنية . (أي كما حدث سنة 1949 في لجنة التوفيق الدولية). وطلب جونسون أيضاً احترام وقف إطلاق النار كي تتوفر ظروف السلام لانسحاب كامل ..وأخيراً قال جونسون أن المهم أن تتضمن الاتفاقية اتفاقاً على تخفيض التسليح .

" وأخيراً في مقابلة بين راسك وسفير الهند، تكلم الاثنان حول الموضوع. فأكد راسك نفس الموقف في رسالة جونسون، ولكنه أضاف عدم موافقة إسرائيل على انسحاب إسرائيل إلى حدود 5 يونيو. وقال بوضع غزة تحت السيطرة الدولية والاحتفاظ بالقدس،وأن تكون سيناء سوريا خالية من السلاح .. وقال راسك أن نفوذ أمريكا على إسرائيل محدود جداً ,, ولم ترتبط أمريكا بهذه الطلبات، لا نيابة عن نفسها ولا نيابة عن إسرائيل بأي التزام بشأن انسحاب إسرائيل إلى المواقع القديمة.

" وقال الهنود : إن موقف أمريكا كما يلي :

نقطة البدء في أي تسوية هو إقرار العرب بحق إسرائيل في الوجود الدائم الآمن ،ثم حرية الملاحة في القنال والعقبة، والرضوخ لإسرائيل للحصول

على مطالب إقليمية .. وبعد ذلك تعود إسرائيل على حدود يتفق عليها ثم تحدثوا عن حل إنساني لمشكلة اللاجئين.

" هذا ما حصل في الأمم المتحدة . وما وصلنا عن موقف أمريكا سواء عن طريق تيتو أو الهند ..

" ولابد لي من تعليق مختصر"..

" إن معنى هذا تسليم بكافة المطالب الإسرائيلية، وهذا برأيي مستحيل، وسنبحث في هذا.والتسليم سهل: نرفع أيدينا وخلاص .. وعندئذ يكون راح مستقبلنا ومصيرنا وكرامتنا وشرفنا ..ولا يجوز ذلك لأننا خسرنا معركة عسكرية .. وإذا ما كناش حنسلم لازم نجهز أنفسنا للعمل السياسي ووضعه في مركز القوة ، وذلك عن طريق استكمال بناء قواتنا العسكرية وهذا بحاجة لوقت وثانيا أن نستعد اقتصادياً كي نصمد ولا نسلم .

" الموضوع هو قدرتنا في الاستمرار على المعركة. وهذا يستدعي قيامكم بواجبكم .. أنا خسران 150 مليون جنيه فما هي مساهمتكم للأردن علشان ما يطلبش مساعدات من أمريكا؟

" ليس الموضوع وقف ضخ ولا سحب أرصدة، إنما المساعدة...

" أما الاقتراح اليوغوسلافي، فقد تقدم تيتو بمقترحات سياسية من شأنها أن تشكل برنامجاً للعمل السياسي تعمل الدول الصديقة على تحقيقه.

1) تنسحب القوات الإسرائيلية إلى مواقع 5 يونيو على أن يتم ذلك تحت إشراف الأمم المتحدة وأن تتمركز بعد ذلك قوات دولية عند الجانبين.
2) يعطي مجلس الأمن أو الدول الأربع الكبرى ضماناً للموقف في الوقت الذي يستمر فيه العمل لإيجاد حل سلمي.

3) تستأنف الملاحة في السويس كما كانت في السابق. أما في العقبة فسينتظر قرار محكمة العدل الدولية.

4) ثم يجري العمل السياسي من أجل حل لقضية فلسطين.

" نحن في مصر هزمنا في المعركة العسكرية، وتعرضنا لضغط اقتصادي إلا أننا لم نهزم شعبياً، وعندنا من الإمكانيات ما يكفينا لبناء أنفسنا .. الهزيمة جرحتنا ولكن لم تقتلنا. وهذا الجرح يلتئم كل يوم .. وسيأتي يوم يزول فيه هذا الجرح .. وهذا يعطيني أملاً في المستقبل : أملاً في أن لا نسلم لهذه الشروط الأمريكية حيث كل مطالب إسرائيل مفروضة وكل مطالب العرب مهملة.

" نستطيع أن نناضل على ثلاث جبهات – العسكرية – والسياسية – والاقتصادية – وأمامنا طريقان:

1) عمل عربي موحد والسبيل هو هذا المؤتمر..

2) إذا لم نصل إلى حل فسيخرج كل واحد منا وكل واحد يعمل اللي عاوز يعمله وعفا الله على الأمة ومستقبلها، وهذا ما لا نرجوه...".

وفرغ الرئيس عبد الناصر من حديثه، والوفود يحاولون أن يتلمسوا ماذا يقترح الرئيس عبد الناصر .. لقد كان عرضه للموقف كاملاً وشاملا، ولكن بقي السؤال : وماذا بعد ذلك .. ما هي الخطة لمعالجة الموقف ؟؟

وتناول الكلام الملك حسين .. وظن الحاضرون أنه سيقدم الجواب، ولكنه تحدث مستعرضاً ظروف المعركة .. وأراد أن يفعل كما فعل الرئيس عبد الناصر فتحدث عن خسائر الأردن فقال : " إن الجيش الأردني تكبد خسائر فادحة بالأرواح والسلاح والعتاد، وقدرها كما يلي : 197 دبابة و 2960 آليات مختلفة و 21.000 مدفع رشاش و 6094 شهيداً، والخسارة المجملة تقدر مالياً بـ 70

مليون دينار, ثم قال الملك حسين أن العجز في ميزانية الدولة لهذا العام يقدر بـ 50 مليون دينار".

وأضاف الملك قوله : " إن إسرائيل تحاول إنشاء حكومة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة، ولذلك علينا أن نبادر باتصالات دولية واسعة عاجلة لتضغط على إسرائيل حتى تسحب قواتها إلى حدود الخامس من حزيران .. وباستطاعتنا أن نقوم بذلك .. يجب علينا اتباع الطريق السياسي فهو أجدى .. ويجب علينا أن تتجنب الوسائل الماضية، لا بد لنا من وسائل جديدة يقبلها الرأي العام الدولي .. ونحن موافقون على كل كلمة قالها الرئيس عبد الناصر".

وتكلم الرئيس العراقي عبد الرحمن عارف كلمة موجزة فدعا لضرورة وحدة العمل العربي المشترك في سبيل الجهاد واسترداد فلسطين وإزالة آثار العدوان.

وفي جلسة بعد الظهر كان أول المتكلمين الدكتور محمد بن هيمة رئيس وزراء المغرب فقال: إنه يشارك الملك حسين والرئيس عبد الناصر تحليلهما وعرضهما للموقف، وإنه يمكن تلخيص الأمر كما يلي:

1) إن الوضع العربي الراهن لا ينصح بأي عمل عسكري.
2) إنه لا يقبل – كذلك – بأي حل يقوم على الاستسلام.
3) إن أي حل سياسي يجب أن ينطلق من وضع قوي حتى لا تملى على العرب الشروط المخلَّة بالكرامة.

ثم تكلم الرئيس اللبناني السيد شارل حلو فأعلن تأييده لما ورد في كلام الدكتور بن هيمة، ودعا إلى ضرورة توحيد الكلمة لإزالة آثار العدوان، وإلى إحياء مقررات القمة الماضية، وخصوصاً القيادة العربية الموحدة، وميثاق التضامن العربي، ثم أعرب عن استعداد لبنان للقيام بواجبه رغم ضآلة إمكانياته.

وتلا ذلك كلمة ولي العهد الليبي فقال بعد مقدمة تمهيدية بضرورة :

1) حشد الطاقات العربية وبذل الجهود في كافة المجالات لإزالة آثار العدوان.
2) تنقية الجو العربي من الشوائب.
3) الالتزام بميثاق التضامن العربي وإحلال التفاهم.
4) وضع الأسس لتعاون مثمر بعيد المدى ..

ودعا الرئيس اليمني المشير عبد الله السلال إلى تناسي الخلافات، ولو لفترة ، : ثم أعلن استعداده للنضال كجندي في معركة إزالة آثار العدوان...

وأعطيت الكلمة بعد ذلك لمندوب تونس السيد الباهي الأدغم فقال:

" أريد أولاً أن أؤكد أننا نتفق جميعاً في الغاية وهي استرجاع الحق العربي السليب وتحرير الوطن الذي وقع عليه العدوان حديثاً .. وجميعنا مستعدون لتقديم ما يتعهد به لمواجهة النكسة واسترجاع حقوقنا ، وسنتحمل في سبيل ذلك كل ما يمليه علينا الواجب .

" ولكن بالنسبة للوسائل الموصلة لهذه الغاية فقد نختلف، ويكون هنالك تباين في وجهات النظر رغم أن الاجتهاد ينبثق عن حسن نية وإخلاص، المهم أن هذه الخلافات حول الوسائل لا تتناول الجوهر.

" وفي رأينا ومن تجربتنا الخاصة، أن هنالك حلولا منقوصة يمكن القبول بها، واستعمالها كمنطق لخلق أجواء جديدة لتضييق الخناق على الاستعمار تمهيداً للحلول الكاملة".

بعد ذلك تكلم أمير الكويت الشيخ صباح السالم، وأعرب عن استعداد الكويت للمساهمة في أي واجب، وأن الكويت حكومة وشعباً مستعد للقيام بمسئولياته القومية وحشد كل طاقاته..

وتطلع الحاضرون إلى الملك فيصل ليقول، ولو كلمة موجزة .. ولكنه لم يتكلم.

وجاء دوري للكلام .. وكنت قد أعددت كلمة مكتوبة، تخيرت عباراتها ومعانيها، وقد قصدت، خلافاً لعادتي أن أقرأ كلمة مكتوبة وأن ألتزم بألفاظها حتى لا يظن أحد أن العاطفة تتكلم .. وأني أورد هنا نص الكلمة بكاملها لسبب واحد...

هذا السبب هو أن هذه الكلمة تعيد إلى المواطن العربي صورة حية عن مؤتمر الخرطوم وأجوائه، وملامحه، واتجاهاته .. إنها تعيد " بناء " مؤتمر الخرطوم نابضاً متحركاً .. ليثبت من جديد أن مؤتمر الخرطوم كان أكبر هزيمة سياسية صنعها العرب لأنفسهم في تاريخهم الحديث ...

وهذه هي الكلمة بنصها الكامل :

" يواجه مؤتمر القمة العربي بوصفه أعلى أداة للعمل العربي المشترك مرحلة خطيرة حاسمة ستقرر مستقبل العلاقات الرسمية إلى زمن بعيد، كما ستعكس آثارها على القضية الأساسية التي انعقد المؤتمر من أجلها، ألا وهي إزالة العدوان الاستعماري الإسرائيلي الذي وقع على الوطن العربي.

" ولقد تابعت منظمة التحرير الفلسطينية المداولات التي جرت في مؤتمر وزراء الخارجية العرب في كل من الكويت ونيويورك والخرطوم، كما درست الأبحاث والتوصيات التي توصل إليها مؤتمر وزراء الاقتصاد والمال والنفط العربي في بغداد.

" وبعيداً عن روح التشاؤم، يبدو واضحاً لمنظمة التحرير أنه إلى هذه اللحظة، فإن مؤتمر القمة يسير إلى نهاية غير مجدية، إذا لم يبادر الملوك والرؤساء إلى التوصل إلى قرارات إيجابية ترتفع إلى مستوى آمال الأمة العربية ومطالبها، وتخرج الوطن العربي من المحنة القاسية التي ألمت به.

" ومها يكن تقييم ما تمَّ وضعه حتى الآن من توصيات ودراسات فأنه مما لاريب فيه أن الاتجاه الغالب يمكن تلخيصه فيما يلي :

1) استبعاد استئناف القتال في وقت قريب.
2) عدم الموافقة على قطع العلاقات السياسية والاقتصادية مع الدول التي ساندت العدوان.
3) التخلي عن وقف ضخ البترول جزئياً أو كلياً، لزمن محدود أو غير محدود.
4) عدم الموافقة على سحب الأرصدة العربية من منطقتي الإسترليني والدولار.

" وإذا كان هذا ما سينتهي إليه الأمر فإن مؤتمر القمة يكون قد اقتصر غاية جهده على المساعي السياسية المجردة من كل دعم وقوة، تاركاً لمعركة الكلام وحدها في الأمم المتحدة وغيرها، أن تخرج العدو من الأراضي العربية.

" ومثل هذه النتيجة التي يتوجب على مؤتمر القمة أن يتجنبها، لا تعكس إرادة الأمة العربية،فضلاً عن أنها ستؤدي إلى بقاء العدوان، أو الاستسلام للمعتدين وترك الأعباء كلها على كاهل الدول المعتدى عليها، تتحملها كل بمفردها وقدر طاقاتها ومواردها.

" غير أن الحقيقة الصارخة الأكيدة أن هذا الاتجاه على الصعيد الرسمي لا يمثل إطلاقاً مشيئة الشعوب العربية ولا تصميمها على احتمال كل تضحية تقدم عليها حكوماتها، بالغة ما بلغت .

" هذا فضلاً عن أن هنالك رأياً عربياً رسمياً تعززه الدراسات العلمية يؤكد أن وقف ضخ البترول كلياً ولأجل غير محدود، مع سحب الأرصدة ، وقطع العلاقات بالدول المعادية، كل ذلك سيؤدي حتماً إلى إزالة آثار العدوان.

" على أنه إذا كانت الإجراءات المقترحة حتى الآن غير مقبولة ، كما يبدو الاتجاه الغالب، أصبح من الواجب أن نجيب عن السؤال الكبير، إذن ما هي الخطة البديلة لإزالة آثار العدوان؟؟.

" وطبيعي أن تكون هذه الخطة مترابطة في جوانبها العسكرية والاقتصادية والسياسية لتؤدي إلى إزالة العدوان، وإذا لم توضع هذه الخطة المتكاملة فإن النتيجة الحتمية هي استمرار العدوان قائماً على الأرض العربية وفلسطين، ويكون مؤتمر القمة قد تخلف عن تحقيق الغاية التي اجتمع من أجلها...

" أما بالنسبة للقضية الفلسطينية على الصعيد العربي في الظروف الحاضرة، فإن منظمة التحرير ترى من واجبها أن تلفت النظر إلى عدد من الأمور الهامة ذات الصلة الوثيقة بمصير القضية الفلسطينية، وتتلخص هذه الأمور فيما يلي:

أولاً – إن سياسة إسرائيل ومشروعاتها التي تقوم بها في قطاع غزة والضفة الغربية تستهدف الإدماج أو الاحتلال الطويل المدى.

ثانياً – تعمل إسرائيل بمختلف وسائل العنف واللطف على إظهار الشعب الفلسطيني في هاتين المنطقتين بمظهر الرضاء بالأمر الواقع، عدم مقاومته، أو الاستسلام له.

ثالثاً – تسعى إسرائيل بكل جهدها، بديلاً عن الانسحاب غير المشروط، إلى تقديم حلول متعددة، تبدأ من إقامة حكم ذاتي في الضفة الغربية وقطاع غزة، إلى إنشاء جمهورية فلسطينية ترتبط بحسن الجوار مع إسرائيل.

" وأن المنظمة الفلسطينية رغماً عن إيمانها بصلابة الشعب الفلسطيني وصموده أمام المؤامرة الاستعمارية الصهيونية في الخمسين عاماً الماضية، ورغماً عن أنها ترفض جميع هذه الحلول جملة وتفصيلاً، لما ستؤدي إليه من تصفية القضية الفلسطينية، فإنها تحذر من الخطر الذي يحدق بالشعب الفلسطيني .. وقضيته في المرحلة الحاضرة.

" ومما يضاعف هذا الخطر، أن الخطة الإسرائيلية لا تقابلها خطة عربية تستهدف إحباطها.

" أن الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة يتصدى الآن بشجاعة وبطولة للخطة الإسرائيلية، وهو أعزل من أسباب المقاومة والصمود، وكل ما يلقاه على الصعيد العربي من الدعم والتأييد، هو الإذاعات العربية تنشر أخبار بطولاته وبسالته.

" وتلح منظمة التحرير الفلسطينية أن لا ينتهي مؤتمر القمة دون أن يضع خطة عربية عاجلة، تفسد على إسرائيل خططها ودعم المقاومة الشعبية في فلسطين المحتلة، وأن منظمة التحرير الفلسطينية مستعدة لأن تقوم بدور فعال في تنفيذ الخطة العربية، بما يتيسر لديها من رجالات وسلاح.

" هذا وتؤكد المنظمة من جديد بالنسبة لجوهر القضية الفلسطينية المبادئ الآتية :

أولاً – لا صلح ولا تعايش مع إسرائيل.

ثانياً – رفض المفاوضات مع إسرائيل، وعدم الاعتراف بالاحتلال السابق.

ثالثاً – عدم الموافقة على أية تسوية فيها مس بالقضية الفلسطينية، وما يؤدي إلى تصفيتها.

رابعاً – عدم التنازل عن قطاع غزة والضفة الغربية ومنطقة الحمة مع التأكيد باهتمام خاص على عروبة القدس.

خامساً– في نطاق الاتصالات الدولية في هيئة الأمم المتحدة وخارجها لا تنفرد أية دولة عربية في قبول أية حلول لقضية فلسطين.

سادساً – التركيز الدائم المستمر على الصعيدين العربي والدولي، على أن قضية فلسطين ،وأن تكن قضية عربية مصيرية، إلا أن شعب فلسطين هو صاحب الحق الأول في وطنه وهو الذي يقرر مصيره.

" ويبقى على منظمة التحرير الفلسطينية أن تنبه إلى مصير منظمة التحرير الفلسطينية.

" إن منظمة التحرير هي إنجاز كبير، يتجلى في قيامها كيان الشعب الفلسطيني وشخصيته الوطنية ، وإن بقاءها واستمرارها في الاضطلاع بمسئولياتها القومية، ألزم واجب في هذه المحنة القاسية من أي وقت مضى.

" ولقد استطاعت منظمة التحرير، رغم المصاعب الكثيرة المتراكمة في طريقها أن تجمع حولها جميع فئات الشعب الفلسطيني، فأصبحت تمثله كما تمثل أية حكومة عربية شعبها المتجمع على أرضها، المقيم تحت سلطاتها.

" وبالإضافة إلى نشاطاتها السياسية، والإعلامية .. فلقد استطاعت منظمة التحرير أن تبني جيش التحرر الفلسطيني بناء نضاليا جعله يقاتل ببسالة وشجاعة في قطاع غزة والجبهة السورية والجبهة الأردنية .

" إن منظمة التحرير الفلسطينية وجيش التحرير الفلسطيني يقفان الآن وجهاً لوجه أمام المصير، وأن بقاء المنظمة ضرورة قومية ، فلسطينية وعربية، في المقام الأول.

" وإنها لكارثة قومية، فلسطينية وعربية، أن تصفى المنظمة وأن يسرح جيش التحرير، ويأبى شعب فلسطين ومعه الأمة العربية أن تصل المنظمة وجيشها إلى هذا المصير، وسيظل شعب فلسطين يقتطع من لحمه، ويستنزف من دمه ليبقي ما أمكن أن يبقي من منظمة التحرير وجيش التحرير.

" ولهذا فإن منظمة التحرير الفلسطينية تقترح على مؤتمر القمة إصدار القرارات التالية:

1) الوفاء بجميع الالتزامات المالية المترتبة لمنظمة التحرير وجيش التحرير بموجب قرارات مؤتمرات القمة، والاستمرار في أدائها في مواعيدها المقررة.
2) تمكين منظمة التحرير الفلسطينية من تحمل مسئولياتها القومية في تنظيم الشعب الفلسطيني، وتهيئته ليقوم بدوره الطليعي في تحرير وطنه وتقرير مصيره.
3) تعزيز جيش التحرير الفلسطيني بحيث تكون للمنظمة سلطة كاملة عليه من حيث تشكيله وتدريبه وتسليحه وجميع شؤونه الإدارية، على أن واجبه العسكري يظل مرتبطاً بالخطة العربية الموحدة.

4) إنشاء معسكرات لتدريب أبنا فلسطين في الدول العربية، بالتعاون مع منظمة التحرير الفلسطينية.

5) إصدار التعليمات أو الأوامر اللازمة في الدول العربية، كل حسب نظمها الدستورية، لتمكين منظمة التحرير الفلسطينية من استيفاء ضريبة التحرير من أبناء فلسطين حيثما وجدوا ".

" ولقد كانت كلمتي بمثابة إنذار واستنكار للمصير الذي سينتهي إليه مؤتمر القمة، إذا ظل على حاله من التراخي والاستسلام .. وكان الملوك والرؤساء يستمعون إلي وهم يعجبون لهذا الكلام الذي يدل أن صاحبه قد أراد أن يحسم أمره مع الملوك والرؤساء.

والواقع أني قررت منذ تلك اللحظة أن أحسم الأمر بيني وبين الملوك والرؤساء في مؤتمراتهم.. وها أنا الآن معهم في مؤتمر الخرطوم، أراهم يريدون أن يسيروا بأضعف الإيمان وأبخس الأثمان .. وهم يملكون أكثر من هذا، ويقدرون على أكثر من هذا.

وانتهت الجلسة بإنتهاء كلمتي، وأعلن الأزهري التأجيل لصباح الغد مؤتمر القمة يترنح بين الحياة والموت، وكأنه في تلك العشية يحتضر في يوم ميلاده وخرجنا من قاعة الجلسة، وأنا أدعو الله أن يستمع الملوك والرؤساء إلى نداء شعوبهم المنكوبة بهم .. ولكن أنى لهم أن يبصروا الطريق، أو أن يسمعوا الحق... وقد قال الله تبارك وتعالى:

" ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها".

صدق الله العظيم

مؤتمر الخرطوم..

يدفن في الخرطوم

قال: نتعشى الليلة مع بعض، ونتكلم ..

وقلت : حاضر ...

كان الداعي إلى العشاء، هو الرئيس عبد الناصر، ونحن نخرج من قاعة الاجتماعات في فندق السودان، بعد أن ألقيت كلمتي أمام الملوك والرؤساء وأنذرت فيها بسوء العاقبة إذا بقي مؤتمر القمة في واد، والجماهير العربية في واد ...

وصعدت إلى جناح الرئيس عبد الناصر في الوقت المحدد، فوجدت عنده وزراءه الدكتور محمود فوزي والسيد محمود رياض والدكتور حسن صبري الخولي .. وأحسب أنهم كانوا في جلسة عمل يتشاورون، وقال الرئيس : أنا داعي الأخ أحمد على عشاء ودردشة.

فكانت إشارة لطيفة للانصراف .. وانصرفوا ..

وتناولنا العشاء معاً .. وأنا لا أدري ما إذا أكلت .. لقد كانت أطباق الطعام، توضع وترفع من غير إحساس بالزمن، ولا شعور بهذا الذي نأكله ،حلوا كان أو مالحاً .. وقد كان القول المأثور : عند البطون تضيع العقول، ولكن في تلك الجلسة كان الحال على العكس.. عند العقول تضيع البطون!!

والواقع أن العقول كانت في شغل شاغل عن كل شيء .. وبادرني الرئيس عبد الناصر بالسؤال عن كلمتي التي ألقيتها أمام الملوك والرؤساء، وحددت فيها الموقف العربي وما يكتنفه من ظروف وملابسات .. وعن الأسباب التي حملتني على هذا " الموقف الناشف"

وأجبت الرئيس عبد الناصر في حديث طويل عما عانيته من الدول العربية، منذ أن بدأت في إنشاء الكيان الفلسطيني، وعن التخلف في الوفاء بالالتزامات المالية، والمضايقات التي يجدها الفلسطينيون على يد الدول العربية بالنسبة لإقامتهم وسفرهم وعملهم .. ثم استعرضت خلافاتي مع الملك حسين، والرئيس بورقيبة، والملك فيصل، بسبب القضية الفلسطينية، وانتقلت بعد ذلك إلى ما آلت إليه الأوضاع بعد سقوط الضفة الغربية وقطاع غزة، واستمرار الدول العربية في مواقفها السلبية، وأن الأمر قد بلغ مرحلة خطيرة لم يعد يجوز الصبر

عليها، فإما مسيرة صحيحة، ووفاء بالالتزامات وتنفيذ القرارات، وإما مكاشفة الأمة العربية بالحقيقة، وانتهاج مسيرة نضالية قويمة، يسير فيها من يسير، ويتخلف من يتخلف .. ولا بد للشعوب أن تكون في قلب هذه المسيرة ...

وقال الرئيس عبد الناصر : ونحنا .. مالكش شكوى منا؟

قلت : لا يخلو الأمر ... ولكن ما لنا وما للشكاوي الآن .. نريد أن نعالج الموقف الحاضر...

قال : أنا عاوز أعرف .. أيه شكواك منا ؟؟

قلت : مصر حملت تبعات جسيمة من أجل قضية فلسطين.. ودفعت تضحيات غالية .. وكان يجب أن لا تقع في أمور صغيرة ..

قال : زي أيه ؟؟

قلت : لقد حزَّ في نفسي أن تدفع المنظمة مبلغ (250) ألف جنيه إسترليني من أجل إذاعة منظمة التحرير .. عن طريق الاستئجار من إذاعة صوت العرب ..

قال : وغيره؟؟

قلت : أسلحة جيش التحرير الفلسطيني في غزة تعاقدنا عليها مع الفريق محمد فوزي بمواصفات معينة، ودفعنا الثمن بكامله، ولم نستلم الأسلحة، لا بأوقاتها المحددة، ولا بمواصفاتها المتفق عليها .. وعلى كل حال فكل مشاكلي مع القاهرة ثانوية ولا يصح أن أشغلكم بها الآن ..

قال : والله يا أخ أحمد .. أنا ما أعرف بهذه الأمور . وطبعاً الناس كلهم يعتبرونني مسئولاً عن كل خطأ في مصر..

وانتقلنا بعد ذلك إلى الموضوع، مؤتمر القمة وكررت للرئيس عبد الناصر ما قلته في كلمتي أمام الملوك والرؤساء، وأنه إذا لم يتخذ المؤتمر قرارات نافذة بشأن البترول وما لم تبادر الدول العربية المتماثلة في نظمها إلى إقامة اتحاد فيدرالي، فإن الاحتلال الإسرائيلي سيظل جاثياً على الأرض العربية..

وراح الرئيس عبد الناصر يقلب أوراقه في الملف الذي أمامه، وأنعم النظر في المشروع الذي قدمته إلى المؤتمر، مشروع الدولة العربية المتحدة، ثم رفع رأسه ومضى في حديث طويل[1].

وعاد الرئيس عبد الناصر بذاكرته إلى موضوع الوحدة والانفصال مع سوريا، وإلى مواقف الدول العربية واحدة واحدة .. وإلى علاقات مصر مع الاتحاد السوفيتي .. وإلى عداء الولايات المتحدة لقضية الثورة العربية .. وإلى ظروف الحرب الأخيرة، وإلى مضاعفات الهزيمة ... ثم لخص الموقف على الوجه التالي ... قائلاً:

أولاً – أنا موافق على مشروع الدولة العربية المتحدة .. ولكن من يوافق غيري ... تفضل أقنع الآخرين وأنا حاضر.

ثانياً – أنا مؤمن أن البترول سلاح فعال في يد الأمة العربية، ولكن الدول العربية المنتجة للبترول لا تريد أن تمشي ... يا دوب ناخذ منهم مساعدة مالية لتدعم اقتصادنا...

---

[1] أحمد الشقيري، **حوار وأسرار مع الملوك والرؤساء** – مشروع الدولة العربية المتحدة في مؤتمر الخرطوم.

ثالثاً – أعداؤنا الأمريكان يشددون علينا الخناق ويحرضون إسرائيل علينا ... وأصدقاؤنا في الاتحاد السوفيتي مش عاوزين يمشوا إلا في الحل السلمي .. وأنا اشك أن الحل السلمي يمكن أن يوصلنا إلى نتيجة ...

رابعاً – في مصر ،الأمور ليست على ما يرام .. أنا كل ساعة، وأنا هنا في الخرطوم، أتلقى أخبار عن أحوالنا الداخلية .. المشير عامر، والضباط وغيره وغيره .. آلف مشكلة ومشكلة.

خامساً – وبصراحة سياسيتي في هذا المؤتمر أن نخرج بالممكن ...

وتلقفت كلمة " الممكن " وقلت، إن هذه الكلمة تقديرية ونسبية ... إن " الممكن " عند الدول العربية كثير وكثير جداً .. ولا يصح أن نرضى بالقليل...

قل : وما هو الممكن في نظرك؟

قلت : أنا اعتقد أن موضوع البترول هو أخطر سلاح بقي بيد الأمة العربية، فإذا سقط هذا السلاح سقطت القضية العربية إلى زمن بعيد ... البترول العربي متوقف الآن عن بريطانيا وأمريكا .. ولم توقفه الدول المنتجة إلا بسبب الضغط الشعبي ... والضغط الشعبي لا يزال حتى الآن قوياً، بل إن من الممكن تصعيده ... ونحن الآن على أبواب الخريف، ويعقبه الشتاء، وإن أوروبا لا تستطيع أن تأكل وتشرب وتنام وتعمل وتقرأ وتكتب إلا بالبترول .. وكل ما هو مطلوب أن يتوقف البترول ستة أشهر ... وحينئذ ستهب أوروبا كلها ،ومعها أمريكا لتعمل على إجلاء إسرائيل عن الأرض العربية .. وهذا هو معنى المشروع العراقي بوقف ضخ البترول لمدة محددة ...

قال: يا أخ أحمد .. أنا قرأت ملف البترول كله، مرتين، ثلاث مرات، أنا موافق على كل الكلام الذي تقوله ... ولكن السعودية غير موافقة، وستتبعها ليبيا ثم الكويت، وسيبقى العراق وحده .. لا بد لنا من رأي آخر ..

قلت : الرأي الآخر هو تأميم البترول، إن الشركات الاحتكارية تجني أرباحاً ضخمة .. هذه الأرباح وحدها كافية لتمويل صندوق عربي للتحرير والتنمية .. والدول العربية المنتجة للبترول لا تدفع شيئاً من عائداتها، أرباح الشركات الأجنبية تدخل في الصندوق العربي .. وفي رأيي أن هذا الاقتراح يأتي في المقام الثاني بعد وقف الضخ.

قال : وهل تظن أن الدول العربية مستعدة للموافقة على هذا الاقتراح .. لقد جربت كل الطرق مع الدول العربية

قلت : أنا مؤمن أن الضغط الشعبي كفيل بحمل الدول البترولية على الرضوخ ..أوالتأميم .. لقد رأيت الجماهير كيف استقبلوك في مطار الخرطوم، وكيف كانوا يصيحون " وحدة ..وحدة.." وأنا لا أطلب إليك أن تترك الدول العربية، نحن في هذه المرحلة ليست لنا مصلحة في مهاجمة الدول العربية .. ولكن يجب أن لا نقطع الحبل مع الشعوب العربية .. يجب أن تظل الجماهير العربية هي التي تطالب وتحاسب وتراقب .. وإذا سكت صوت الجماهير فإن بعض الحكومات العربية،وخصوصاً السعودية وليبيا ستدير ظهرها للقضية العربية.

واستمر الحديث بيني وبين الرئيس عبد الناصر في هذا الإطار، هو يؤكد الحاجة إلى الحكومات العربية في هذه المرحلة .. وأنا أشدد على دور الشعب .. حبل مع الحكومات، وحبل مع الجماهير بصورة متوازنة متوازية..

وخرجت من جناح الرئيس عبد الناصر إلى غرفتي .. ولم تبق إلا بضع ساعات للنوم، ليستأنف مؤتمر القمة عمله في جلسته الثالثة.

ولم تبدأ الجلسة إلا قريباً من الظهر .. فقد تأخر الملوك والرؤساء في النوم، لأنهم تأخروا في السهر وفي السمر، والويل لخلي من الشجيّ!!..

ويبدو أن الملك حسين كان مشحوناً محقوناً، فلم تعجبه الكلمة التي ألقيتها بالأمس.. ولم تعجبه بصورة خاصة اقتراحاتي بشأن مقاومة الاحتلال الإسرائيلي من داخل الضفة الغربية.. فلم يكد الرئيس الأزهري يفتح الجلسة حتى طلب الملك حسين الكلام...

وتحدث عن " خطورة العمل الفدائي الذي تشجعه سوريا وأعلن عن معارضته لهذا العمل لأنه سيزيد في خطورة الوضع وانهياره" وطلب موافقة على هذا الرأي،إلا أن أحداً لم يعلق على ذلك سلباً أو إيجاباً.

ثم تكلم السيد محمد أحمد محجوب ورأى أن يصاغ قرار ما حول ضرورة تدعيم الجيوش العربية وتقويتها وضرورة التنسيق فيما بينها في المستقبل

وتحدث الرئيس جمال عبد الناصر فقال:

" العمل العسكري له بداية توصل إلى نهاية. والبداية هي إعادة بناء قواتنا المسلحة حتى نكون في موقف الدفاع ثم تتطور إلى موقف الهجوم. وقد بدأنا إعادة بناء قوتنا وعندنا الآن قدرة على الدفاع .. وفي رأيي أننا بدون ذلك لا نستطيع الوصول لأي حل سياسي مشرف. والوصول إلى مرحلة الهجوم تحتاج إلى وقت غير قصير، ولذلك لا بد من دعم اقتصادي يمكننا من الصمود.. والعمل العسكري مرتبط بالدعم الاقتصادي، ومن الممكن بهذا الدعم أن نقبل بالوضع القائم حتى نستطيع إزالته بالقوة ".

وقال الرئيس عبد الرحمن عارف :

أن ما قاله الرئيس عب الناصر صحيح، وهذا بالطبع يحتاج وقتاً، وقد تتعرض في هذه الفترة لهجوم أو اشتباك، ولا بد من وجود قيادة عسكرية واحدة أو تنسيق في بداية الأمر .

واستطرد الرئيس جمال عبد الناصر وقال :

عندنا القيادة العربية الموحدة..

وتدخل الرئيس محمد أحمد محجوب وقال :

هذا صحيح وقد طلب إليَّ الفريق علي علي عامر، أن أسأل مؤتمركم عن مصير هذه القيادة .. وأنا أرى ضرورة أحيائها.

فأجاب الرئيس جمال عبد الناصر وقال :

يجب معرفة رأي إخواننا السوريين .

واشترك الملك حسين وقال :

هذا مهم ولا بد من معرفة رأي إخواننا لأن تجربتنا في المعركة الماضية كانت مؤلمة.

وعاد الرئيس محمد أحمد محجوب إلى الكلام فقال :

لقد وعد السوريون بتنفيذ أي قرار إيجابي ...

وأيده الرئيس عبد الناصر قائلاً :

هذا صحيح وقد قال لي إبراهيم ماخوس هذا الكلام

وتدخل الرئيس شارل حلو وقال :

أنا لا اعتقد أن هناك أي دولة عربية تشذ عن هذا الموضوع.

و أوضح الوزير الجزائري السيد عبد العزيز بوتفليقة موقف الجزائر فقال :

القيادة الموحدة خلقت في ظروف معينة تغيرت موضوعيا اليوم، وأعتقد أن تغير الظروف يفرض خلق شيء جديد.

وإلى هنا فقد كان الملك فيصل يستمع ولا يتكلم، ورأى أن البحث يتناول عدة مواضيع، وتكاد أن تُطرح على المؤتمر لاتخاذ قرارات بشأنها، وخاصة موضوع القيادة العربية الموحدة .. ومعروف أن الملك فيصل كان قبل عام وقد توقف عن دفع التزاماته للقيادة العربية الموحدة فطلب الكلمة وكانت المرة الأولى التي رأى فيها حاجة إلى الكلام.

وتحدث الملك فيصل من غير مقدمة، فنطق عبارة واحدة فقال: " قبل الحديث في هذه المواضيع يجب أن نعرف ماذا ستقررون بشأن القضايا الاقتصادية حتى نعرف على ضوء ذلك ما نستطيع أن نقدم .. نريد أن نعرف الموقف بالسبة لتوصيات مؤتمر بغداد بشأن البترول ".

لقد كان واضحاً أن الملك فيصل يريد أن يطرح قضية ضخ البترول أولاً .. وهل الاتجاه نحو وقفه أو استئنافه ..

وأخذ الرئيس عبد الناصر المبادرة، وقال : أنا أرى أن نستأنف ضخ البترول لجميع الدول، حتى لأمريكا وبريطانيا، والدول المنتجة للبترول تعاون الدول المعتدى عليها.

وقبل أن يتكلم أحد .. كأنما كان الأمر صفقة عاجلة، قال الملك فيصل: الجمهورية العربية المتحدة والأردن بحاجة إلى دعم اقتصادي، ونحن من جانبنا حاضرون في حالة استئناف الضخ..

كان الطلب والعرض، بين الرئيس عبد الناصر والملك فيصل، يجري سريعاً، بحيث لم يتحمل من الوقت إلا ما تقتضيه الكلمات من زمن.

ودهش الحاضرون لهذه السرعة في الاتفاق .. كيف تم بين الرجلين، من غير حوار ولا مقدمات، وبعد أن كان بينهما من القطيعة.

وأراد الوزير الجزائري السيد عبد العزيز بوتفليقة أن يحفظ حصة " الغائب " ما دامت الصفقة قد تمت بهذه السرعة فقال : أن غياب سوريا عن المؤتمر لا يجوز أن يحرمها من حقها في الدعم وأننا ملزمون أخلاقياً بذلك.

فرد عليه الملك فيصل بكلام يتعذر على سوريا أن تقبله فقال : " نحن نعرف أن الجمهورية العربية المتحدة والأردن تعرضتا ودفعتا ثمن العدوان، أما سوريا فلا نعلم عنها شيئاً .. وكلنا لسنا ضد مساعدة أي فريق، وإذا كان لأحد من طلب فليتقدم به ... قد يكون من الممكن عن طريق اتفاقيات ثنائية.." وهذا الكلام هو رفض بصيغة القبول !!

وفي سرعة خارقة.. لم أر أن قراراً آخر قد حظي بمثلها في الاجتماعات في الاجتماعات العربية التي اشتركت بها على مدى بع قرن من الزمان .. وضعت صيغة القرار وكان أول قرار اتخذه مؤتمر القمة .. بالنص الآتي :

" قرر المؤتمر استئناف ضخ البترول، باعتباره طاقة عربية إيجابية يمكن تسخيرها في خدمة الأهداف العربية، وفي الإسهام في تمكين الدول العربية التي تعرضت للعدوان وفقدت نتيجة لذلك موارد اقتصادية من الصمود لإزالة آثار العدوان..".

ولم توضع هذه الصيغة من قبل مؤتمر القمة .. فقد كانت جاهزة .. قرأها السيد محمد أحمد محجوب من أوراقه ... وسكت الحاضرون وتمت الموافقة ..

وكان أول قرار أصدره الملوك والرؤساء من غير بحث ولا مناقشة، منذ أن انعقد مؤتمر الملوك والأمراء في زهراء انشاص عام 1946 إلى يومنا هذا.

وفي لهجة من العتاب الهادئ، التفت الرئيس العراقي عبد الرحمن عارف إلى الرئيس جمال عبد الناصر وقال : ونحن نسحب المشروع العراقي بوقف ضخ البترول . وسنقول للشعب العراقي .. هذا ما يريده مؤتمر القمة.

وكان السبب في هذا العتاب، إن المشروع العراقي قد وضع في القاهرة بالتوافق بين المسئولين العراقيين والمصريين... وها قد تبخر وراء الكواليس في الخرطوم، والوفد العراقي لا يعلم شيئاً..

ثم جاء البحث التفصيلي، بعد ذلك، عن مقدار العون الاقتصادي الذي يجب أن يُقدم للجمهورية العربية المتحدة .. وكما جرى في صياغة القرار، جرى كذلك في تحديد المبلغ ونسبته .. وهنا كان الكلام للسيد الشريف حسين الهندي وزير مالية السودان، فقرأ في ورقة أمامه ما يلي: " نقترح أن تدفع السعودية مبلغ خمسين مليون جنيه، والكويت مبلغ 55 مليون جنيه وليبيا مبلغ (30) مليون جنيه ويكون مجموعها(135) مليون جنيه، يعطى منها(95) مليون جنيهه للجمهورية العربية المتحدة و (40) مليون جنيه للأردن.."

وطالب الوزير الليبي الدكتور أحمد البشتي مهلة للحصول على موافقة الحكومة الليبية. ولكن الملك فيصل أشار إليه بالموافقة فإن استئناف ضخ البترول، وصدور قرار إجماعي من الملوك والرؤساء بإباحته وإسالته، يساوي هذا المبلغ أضعافاً مضاعفة.

وهكذا انفرج الملك فيصل عن ابتسامة عريضة .. وانتصر بترول العرب على العرب .. وانتقل المؤتمر بعد ذلك إلى بحث الجوانب السياسية .. وليبحث من يشاء .. فالسياسة كلام، وليتكلم من يشاء ...

وطلب الملك حسين الكلام، فامتدح قرار العون الاقتصادي وإيجابيته والسماح باستئناف ضخ النفط، وأسهب طويلا في ضرورة إعادة النظر في الأساليب الماضية التي اتبعها العرب في نشاطهم السياسي .. ووصفها بالسلبية، وألحَّ على ضرورة مخاطبة الرأي العام الدولي بلغة جديدة، وعلى أساس صريح من الواقعية، وطلب الملك حسين في نهاية حديثه، " لمناسبة زياراته المقبلة للاتحاد السوفيتي والدول الإسلامية وأوروبا وأمريكا، أن يزوده المؤتمر بالخطوط الرئيسية للسياسة الجديدة بشأن الحل الذي ينبغي قبوله للقضية الفلسطينية".

وكان لهذا الكلام معنى واحد، لا سواه .. هو أن الملك حسين يريد تفويضاً من مؤتمر القمة لبحث القضية الفلسطينية في الخارج ... ويريد أن يعرف حدود هذا التفويض...

وهنا كان لا بد لي من أن أتكلم ... ولم أتكلم هذه المرة من ورقة مكتوبة .. ولكني استوحيت كلامي من إيماني وتجاربي ... وأولاً وأخيراً، من مسئوليتي التاريخية أمام الشعب الفلسطيني .. تلك المسئولية التي ستلاحقني إلى قبري . فليست قضية فلسطين مشكلة سياسية يغتفر فيها الخطأ، ولكنها قضية شعب وأمة، وقضية حاضر ومستقبل، وقضية بقاء وفناء...

واستخرت الله وقلت :

" إن الموضوع المطروح له أهمية كبرى، ولا أحسب أن وقتاً، مهما طال في بحثه، يعتبر ضائعاً، لأننا منذ سنين لم نطرح هذا السؤال الكبير حول قضية

فلسطين طرحاً عميقاً كما هو اليوم، إني أريد أن أتكلم بصراحة وموضوعية، بعيداً عن العاطفة التي نُتهم بها دائماً .. هذه قضية مصيرية في مرحلة حاسمة تتطلب منا تفكيراً مسؤولاً وجدياً.

" إن قضية فلسطين هي قضية العرب جميعاً، وهي قضية مصيرية بتطورها الأخير، وخصوصاً في سنواتها الأخيرة . ولكن رغماً عن هذا التوكيد أرجو أن يظل في ذهننا أن هذه القضية تخص شعبها، شعب فلسطين .. وكونها عربية لا ينفي حق شعب فلسطين بأنه صاحب الكلمة الأولى في تقرير مصيره، تماماً كما قررتم مصائر شعوبكم.

" وإننا نحن شعب فلسطين لسنا عضوا في الأمم المتحدة، وكائناً ما تكون أوضاعنا، فإن شعبنا المشتت المجزأ هو واحد في آماله وتطلعاته .. أكثره لاجئ وأكثره أسير، ولكن هذا لا ينفي وحدته الوطنية، وتشرده، لا ينفي حقه الطبيعي في تقرير مصيره .. نحن ننظر للقضية على المدى الطويل، وإذا كان لكل شعب أن يحل مشاكله على ضوء آلامه الطارئة لا نتهت القضايا القومية ولما بقي لها من معنى، ولا وجود..

" قلت إننا لسنا في الأمم المتحدة، ولم نوقع اتفاقية الهدنة، ونحن لسنا ملزمين بقرارات مجلس الأمن، ولذلك فإن كل الاعتبارات الدولية لا تشملنا ولسنا ملتزمين بها."

" ولنأخذ على سبيل المثال مشروع الرئيس تيتو الذي اقترحه لحل القضية ..

أولاً – .. إن مشروع تيتو ليس بمشروع بل نقاط عرفنا كيف تبدأ، ولكن من يعرف كيف تنتهي .. وكلنا نعرف كيف تصاغ النقاط في الأمم المتحدة، حيث الكلمة تقدم وتؤخر، ولربما الفاصلة في بعض الأحيان لها مدلولها ومفهومها.

" لذلك فإن منظمة التحرير لا ترى أمامها مشروعا كاملاً تقول أمامه نعم أو لا .. أما عندما نرى المشروع متكاملاً فعندئذ تقول المنظمة كلمتها.

" وبالأمس نحن حددنا موقفنا أمام مجلسكم الموقر في مذكرة مكتوبة وقد طبعناها ووزعناها عليكم، حتى تكون معروفة أمامكم بكل دقة ووضوح. وأقول بكل تأكيد إنني أتحدث بغاية الموضوعية فهنالك خمسون سنة من المصائب والولايات وراء هذه القضية.

" لقد قيل في هذا الاجتماع إن سياستنا الماضية في الرفض كانت خطأ فادحاً .. وأنا أقول لكم إن الرفض ليس هو الخطأ، ولك ضعفنا هو الخطأ.

" فنحن نلتزم بستة مبادئ واضحة في مذكرتنا، وأقول بكل أخوة إن كوننا لاجئين لا يحرمنا من حقنا في تقرير مصيرنا ... ونحن لا نقبل أن نكون تحت وصاية أو تبعية ، لأية دولة.

"إن الحل السياسي شيء، وكيفية مخاطبة العالم شيء آخر . فبالسبة للمخاطبة نستطيع البحث في هذا الموضوع إعلامياً، وأنا أعلم قيمة الأعلام، فقد سبق لأجهزة العدو أن زورت عليَّ تصريحاً حول رمي اليهود في البحر، كما زورت إسرائيل تصريحاتكم، ويبدو أننا مع الأسف أصبحنا ضحايا وفريسة الدعاية الإسرائيلية.

" أعود للقول، إنه يتوجب علينا وضع أسلوب علمي لشرح قضيتنا، رغم أنني أشعر بأننا أصبحت فينا عقدة نقص بالنسبة لدعايتنا. ولقد وقع الإسرائيليون

في أخطاء قاتلة في دعايتهم.. فشعارهم " من النيل إلى الفرات" هل يدل على علمية في الدعاية . وهناك وايزمن الذي قال : إننا نريد أن نخلق فلسطين يهودية كما هي إنكلترا إنكليزية .. هل هذا علمي أيضاً. وايبان مؤخراً، ألم يقل إنه لو صوتت 121 دولة ضد العدوان فلن ينصاع، ولن ينسحب من الأراضي العربية. هل هذه لغة علمية؟ طبعاً لا .. ولكن ايبان يمسك بزمام المبادرة ويتكلم من مركز القوة .. ثم القدس ألم يصدر فيها قراران من الأمم المتحدة ورفضهما ايبان؟ هل هذه مناهج علمية، وقد تصرف اليهود بالقدس تصرفات كلها تحدٍ واستفزاز للمقدسات الإسلامية والمسيحية.

" إذن ليس من داع للمبالغة في موضوع الإعلام ..ولا مانع من استبدال لهجتنا، لكن دون أي مساس بالجوهر .. دون استبدال الأسس الرئيسية في القضية.

" وإني أقول لكم بصراحة .. إن سيناء هي مسئولية الجمهورية العربية المتحدة تتحملها أمام الشعب المصري والأمة العربية وكذلك فأن الجولان مسؤولية الجمهورية العربية السورية تتحملها أمام الشعب السوري والأمة العربية .. ومن أراد أن يتنازل فليتنازل والتاريخ بالمرصاد.

" أما الأرض الفلسطينية من النهر إلى البحر فإنها ليست لأي ملك ولا رئيس، ولا يستطيع أحد أن يتنازل عن شبر واحد منها ... كل ملك أو رئيس يملك فيها حق الدفاع، لا حق التنازل .. فلسطين هي ملك الشعب الفلسطيني وهو الذي يقرر مصيرها .. ولقد كان لي شرف الدفاع عن قضايا الجزائر وتونس وليبيا والمغرب في الأمم المتحدة .. وهذه الأقطار بحمد الله أصبحت مستقلة

وممثلة بوفودها بينكم .. وجميع هذه الشعوب قررت مصيرها بنفسها .. ومن حق شعب فلسطين أن يقرر مصيره.

وهنا سألني رئيس وزراء السودان : إذن كيف تتصور أن نبحث عن حل للقضية الفلسطينية؟

وأجبت : القضية الفلسطينية هي قضية عربية، من غير شك، وأعتقد أن كل عربي، سواء كان مواطناً أو ملكاً له ملء الحق أن يدافع عنها، ولكن لا أن يتنازل عنها ... وابحثوا عن الحلول كما تشاؤون ولكن قبول الحلول يجب أن يتم في اجتماع للملوك والرؤساء ومعهم منظمة التحرير .. وأن يتم قبوله بالإجماع ."

وتدخل الوزير التونسي، وقال : نحن نوافق على مشروع الرئيس تيتو، لأنه سوف يفرض من قبل مجلس الأمن، ونحن لا يُطلب منا سوى السكوت.

قلت : وهل نسكت عن الوطن ؟؟!!

وتدخل الرئيس الأزهري، ليبدي تحفظ السودان فقال : " أريد أن أعطي نفسي الحق بكلمة موجزة، وهي أننا في السودان لا نرى مع إسرائيل من منطق سوى منطق المقاومة، وأنه لا يمكننا بحال أن نقبل بالصلح أو ما يؤدي إليه".

وأعاد الملك حسين كلامه في شرح وتفصيل عن ضرورة البحث عن حل جديد وفي ختام كلامه وضع السؤال الآتي : أرجوكم أن تحددوا لي مسئولياتي،ما هو الحل الذي يجب أن نقبله . أريدكم أن تقولوا لي ماذا أقول في موسكو، والعالم الإسلامي عندما أبدأ زيارتي بعد أيام ...

وقلت : فيما يتعلق بالشعب الفلسطيني .. إن الموقف واضح .. إن منظمة التحرير هي وحدها التي تمثل الشعب الفلسطيني وتتحدث بلسانه ولا يملك

أحد غير الشعب الفلسطيني، ملكاً كان أو رئيساً، أن يوافق على أي حل للقضية الفلسطينية.

وتوتر جو الجلسة، في هذا الحوار بيني وبين الملك حسين ..

وتدخل الرئيس عبد الناصر في الحديث فقال :

حتى نتكلم عن الحل السياسي لا بد أن نضع في حسابنا ...

1- العمل العسكري..

2- الوضع الاقتصادي..

وأعتقد إن القرار الذي اتخذ المتعلق بالصمود الاقتصادي يساعدنا على الصمود السياسي . ولكن يجب أن نضع في حسابنا أن هناك اتفاقاً بين أمريكا وروسيا على أسس الحل السياسي للقضية وهذا الاتفاق موجود في المشروع السوفيتي الأمريكي .. والأمريكان أثروا في وجهة نظرهم ..وطلبنا من السوفيت توضيح وجهة نظرهم ولكن لم يصلنا منهم تفسير وكان جوابهم أننا نوافق على ما توافقون عليه وهم على استعداد لاستعمال " الفيتو" والمشروع يتضمن:

1- إنهاء حالة الحرب ..

2- الانسحاب ثم يلي ذلك قضية الملاحة والقضايا الفرعية.

وقد رفضنا هذا .. واليوم أمريكا تحاول الضغط علينا للقبول بوضعنا. النهارده ما نقدرش نقول أنو هناك حاجات حنقرر وننفذ ما نريد ونرفض ما نريد، لأن هذا لا ينسجم مع يقظة العدو. ويجب أن نفهم أنه علينا إما أن نقبل أو نرفض .. العدو له هدف هو حل قضية فلسطين وإنهاء هذه المشكلة.

إذا تكلمنا عن العمل السياسي يجب أن يكون مفهوم لدينا أننا نأخذ ونعطي . وإذا تصورنا أنا حناخذ وبس فنحن خاطئين.

" لذلك علينا أن نقرر ماذا نحن مستعدين أن نعطي واليوم يختلف الوضع عن سنة 1956 .. النهارده الوضع مختلف اختلاف كلي أمريكا وروسيا متفقتين على حق إسرائيل في البقاء والحياة، والاثنين اتفقوا على إنهاء حالة الحرب، وبذلك فالعمل السياسي أصبح صعب وبحاجة إلى نضال عنيف. اليوم موقفنا حيقوى بعد القارات الاقتصادية ونستطيع أن نصمد."

" والمشكلة عندنا في مصر تختلف عن الأردن، أنا سينا متهمنيش والقنال كان يمكن يؤثر لكن التعويض حل المشكلة. أما قطاع غزة فهم يقاومون وقد اعدموا امبارح ناس فيها .. إذن نحنا نستطيع أن نقاوم وأن نرفض أي حاجة مش عاجبانا لغاية منكون قادرين على الهجوم.

" ولكن ما يقلقني هو الضفة الغربية. والسؤال اللي واجب نسأله: هل الزمن في صالحنا أم ضدنا هناك ؟ أنا في رأيي أن الزمن ضدنا. والناس أحوالها صعبة . وقد اتحدت الأحزاب المتطرفة في إسرائيل وهذا يجعلنا نتوقع سياسة إسرائيلية متطرفة . أنا بقول أنه لازم نستعيد الضفة الغربية والقدس وإلا إذا تركنا هذا الموضوع فلن تعود الضفة الغربية ولا القدس ".

" عسكرياً نحن لا نستطيع ذلك . إذن ليس هناك من سبيل أمامنا إلا العمل السياسي من أجل استرجاع الضفة الغربية.. وأنا لما جالي الملك حسين في القاهرة، والواحد كان شاعر بالمشكلة في الضفة الغربية قلت له الكلام ده . والسبب الثاني أن اليهود لهم إطماع أساسية في الضفة الغربية على أساس إنها من فلسطين .أما سيناء فأطماعهم فيها ثانوية. ولو وضعنا أنفسنا موضع اليهود فليس يرجعوها؟ أنا بقول هذا الكلام للخروج بنتيجة أنه لا بد من العمل السياسي

وبسرعة .. وأنا قلت للملك حسين ما يقطعش علاقاته بأمريكا وقلت له أن يلجأ إلى كل الوسائل لاستعادة الضفة الغربية شرط عدم التفاوض وعدم الصلح".

" وفي رأيي كل يوم يمر على احتلال الضفة الغربية يزيد في تمكين الاحتلال. وأقول أن هناك هدف عاجل هو تحرير الضفة الغربية رغم إننا غير قادرين على ذلك بالقوة العسكرية ولا بد من العمل السياسي ولذلك قلت للملك حسين أن أي شيء بدون الصلح مع إسرائيل لازم يعمل من أجل استرداد الضفة الغربية. وأي تطرف في هذا الموضوع بيضر الأمة العربية وقد تتحول الضفة الغربية كما تحولت الأراضي التي احتلت من زمان."

ورأيي أن يتفق حسين مع الأمريكان على استرجاع الضفة الغربية بأي شكل بعد كده، موقفنا نحن كدول عربية في الحل السياسي والنضال السياسي مختلف عن الملك حسين.

" نحن علاقاتنا سيئة مع الولايات المتحدة، وباستطاعة دول عربية أخرى أن تلعب دور في هذا السبيل، واقترح أن يعمل الملك فيصل اتصال مع أمريكا يشرح قضيتنا وموقفنا .. أما نحن فسنتصل بروسيا.

" وتحدث الملك فيصل فقال :

" يجب أن يكون موقفنا موحداً .. أنا نصحت جونسون بأن على أمريكا أن تشجب العدوان وتأمر إسرائيل بالانسحاب .. وما زلنا نسعى وقد قلت للإنجليز نفس الكلام .. وكان هذا هو حديثي مع ديغول..

الشقيري:

أنا أتحدث في هذا الموضوع بعد استماعي لكل ما قيل. وأرجو أن أقول لأخر مرة، مستكملاً وجهة نظر المنظمة في الموضوع المعروض الآن .. وأرجو

أن لا يحمل كلامي محمل التطرف الآلأم التي يتعرض لها شعبنا والأخطار التي نتعرض لها الضفة الغربية تملأ أفكارنا وتفزعنا أنا لا أخالف في هذا..

المبادئ الستة التي وضعناها في المذكرة، وضعت بعد تفكير جلي ودراسة هادئة. وما أردنا أن تكون هذه المبادئ إلا مكتوبة وبشكل دقيق إلا لأن المنظمة تشعر شعوراً أميناً صادقاً بأن هذه المبادئ هي التي نسترشد بها في حل مرحلي أو نهائي ..

" نحن متفقون كذلك على انسحاب العدو من الضفة الغربية .. هذا لا خلاف عليه. وكذلك نقر بذل الجهد السياسي ممن لهم علاقات بالدول الغربية، وهؤلاء مشكورون على كل ما يبذلون للوصول إلى غايتنا المرجوة للانسحاب من الضفة الغربية وبأسرع ما يمكن .. وكذلك إخواننا ممن لهم علاقات مع الشرق والعالم الثالث. لا مانع لدينا بالنسبة للاتصال السياسي من أجل بذل مثل هذه الاتصالات بهدف عودة الضفة الغربية . إنما السؤال الذي أمامنا ما هو الثمن؟ كلنا نعرف إسرائيل، وأقول بتواضع بان لي خبرة بما تريد إسرائيل بالمعاناة والممارسة .. موقف المنظمة ليس وراءه العناد، وإنما تقدير مدروس وراءه ممارسة ومعاناة .. ولقد قيل أنه يجب إن نأخذ ونعطي...

والسؤال ما هو الثمن الذي علينا أن ندفعه لعودة الضفة الغربية، إذا كان الثمن أكبر وأشد خطراً، فنكون قد قبلنا ما لا يجوز قبوله.

وماذا تريد أمريكا التي اقترحتم أن يتصل بها الملك حسين والملك فيصل .. وأمريكا مصممة على النقاط الخمس التي أعلنها جونسون وأهمها تصفية قضية فلسطين؟ فهل نحن مستعدون لموافقة الولايات المتحدة على التصفية النهائية.. فأمريكا لا تريد عودة اللاجئين بل تريد وضع حدود ثابتة لإسرائيل، أمريكا لا

تقبل، ومعها إسرائيل، إلا الوصول إلى تسوية نهائية للقضية، وهل تظنون أن الضفة الغربية ستعود سلماً ... وكذلك فإن المشروع اليوغوسلافي ينتهي إلى سلم دائم، وإلى تصفية للقضية الفلسطينية .. ويطالبنا الوفد التونسي أن نسكت .. نحن لا نسكت على الوطن.

وتحدث الرئيس عبد الناصر وقال :

" أنا بختلف مع الأستاذ الشقيري حول " تعبير التسوية النهائية" التسوية النهائية تعني الجلوس مع إسرائيل ووضع اتفاق نهائي. وأنا لا أوافق على اتفاق نهائي...

" كان عندنا مصيبة فصار عندنا مصيبتين، وأنا بقول مستعد أنا ادفع ثمن مقابل استعادة الضفة الغربية.

" وأختلف مع الشقيري بأن مشروع تيتو يوصل إلى تسوية".

وتناولت الكلام وقلت :

أنا أفهم كلام الرئيس عبد الناصر ولا أخاف منه لكني لا أستطيع أن أفهم كلام الملك حسين .. ولا أظن أحداً يمكنه أن يزاودني على الخوف على الضفة الغربية وأهلها، فهي مسقط رأسي وأهلها أهلي ..وأظن أننا نبالغ كثيراً في نتائج الجهد السياسي.. إذا أردتم أن ينجح الجهد السياسي فعليكم أولاً أن تقيموا دولة الاتحاد كما أوضحتها في المشروع الذي قدمته لكم[1] وعليكم أن تنشئوا قيادة عسكرية تشمل الدول المحيطة بإسرائيل على الأقل ..وإذا كنتم تظنون أن الأمم المتحدة ستعيد إلينا الضفة الغربية في خلال مدة وجيزة كما جرى أيام العدوان الثلاثي عام 1956 فنحن نجري وراء السراب .. نحن لن نستطيع أن نعيد الضفة

---

[1] أحمد الشقيري، **حوار وأسرار مع الملوك والرؤساء**.

الغربية عن طريق الأمم المتحدة، لا بأشهر ولا بأعوام ولا بقرون .. وأن نصائح الملك فيصل للرئيس الأمريكي لن تعيد الضفة الغربية .. بالكلام والسياسة لن تعود الضفة الغربية.

وتحدث الوزير الجزائري بوتفليقة وقال :

" إني أشعر بالرغبة في الحديث ولكن لا أجد ما أقوله ، حتى بعد ما استمعنا إليه من تفاصيل قيمة تتعلق بالوضع في الضفة الغربية. إن موقف بلدي معروف. إن القاعدة الوحيدة التي طرحت علينا هي المشروع اليوغوسلافي.وقد نراه مناسباً وقد لا نراه مناسباً.

" وقد كان من الممكن أن يصل إلينا هذا المشروع عبر الأمم المتحدة أو الصحافة بدلاً من الزيارة التاريخية لتيتو. أقول هذا، وما بودي أن أتهرب من المسئوليات ولا أن أتملص منها، وبودي أن أقول أن في مشروع تيتو حاجة في نفس يعقوب .. يلتقي عليها الشرق والغرب. ظاهر جداً أن موسكو وواشنطن بالنسبة لهم إسرائيل نقطة " توتر " تعرقل مسيرة التعايش السلمي ولذلك يجب العمل لدفع الدول العربية للاعتراف بها.

" الملاحظة الثانية : إن تقديم بلغراد لهذا المشروع لنا بهذا الشكل يستهدف أن يتوقعوا على الأقل صمتنا. الصمت رضاء . ومن الممكن أن نرضى بشرط عدم المساس بالجوهر وبالقضية الفلسطينية التي نقول أنها تهم بالدرجة الأولى الشعب الفلسطيني. نحن كأمة لنا دور ولكنها تهم بالدرجة الأولى الشعب الفلسطيني.

" الملاحظة الثالثة: إن هناك دولاً في المنطقة وقع عليها ضغط شديد وقوي وهي تشعر بهذا الضغط أكثر من الجزائر .. ويكون من اللامسئولية أن الإنسان البعيد 4000 كيلومتر يعطي النصائح حتى لو كانت في محلها.

" ولكني أقول إذا كان هذا الوجه الصحيح، فهنالك وجه ثانٍ هو تحمل المسئولية لإننا نريدها جماعية لا إقليمية . فنقول إن تفكيرنا الآن مضغوط. كنت أتمنى أن يكون ما ندرسه الليلة مخططاً عربياً لا يوغوسلافياً ولا روسياً.

" والواضح هو الحديث عن حماية الدول الكبيرة لحدودنا، وهذا منطق غريب بالنسبة للأمريكان التي أمامها الصين و 700 مليون إنسان ولا تزيد أن تعترف بها .. بينما نحن حياتنا أصبحت مرتبطة بالاعتراف بإسرائيل.

أن تخوفنا على الضفة الغربية كبير وسمعت أن الدول العربية لا تستطيع استرداد الضفة بالمقاومة .. لذلك لجأتم للحل السياسي، يوجد أخذ وعطاء. ولا أعرف إذا كان انفراد الملك حسين يعطيه قوة .. اللهم إلا إذا كان عنده حلول.

الحل إذا فيه أخذ وعطاء يكون سابقة خطيرة، والحل للمشاكل الأخرى قد يأخذ سنوات طويلة. سابقة قد تجعلنا في حكاية أخذ وعطاء كذلك بالنسبة لسيناء والمرتفعات السورية . لذلك نحن الآن في حيرة.

الهدف نحن متفقون عليه والاجتهاد صادق من جميع الأطراف ولكن لزاماً علي أن اعترف أن هنالك خلافا بيننا في الأسلوب وكنت أوثر أن لا نبحث الموضوع قبل استكماله في عقولنا".

وتحدث الدكتور محمد بن هيمة وأيد مشروع الرئيس تيتو وأعرب عن اتفاقه مع الملك حسين في خطواته للمساومة.

وتكلم الملك حسين وقال :" أريد أن توضحوا لي مسئولياتي وصلاحياتي . سمعنا من الأخ الشقيري عن المبادئ الستة. وأعود إلى مؤتمر القمة الأول وإنشاء المنظمة وتكليف الأخ أحمد، واليوم نسأل كي نستوضح عن هذه المبادئ الستة، ومن وضعها ومن كتبها؟ مرة أخرى أشعر الآن بصراع، هل أنا مسئول عن الضفة الغربية والقدس؟ ولا أقبل أن استأذن من أحد فيما أعمل أولا أعمل ...".

ووجهت حديثي إلى الملك حسين، وقلت :

" أكرر مرة أخرى أن شعب فلسطين هو صاحب الحق وما من ملك وما من رئيس يملك الحق في حل قضية فلسطين، و إذا كان المؤتمر سيقتصر على الجهد السياسي من غير التزام بالمبادئ التي ذكرتها، فأنا سأنسحب من الاجتماع...".

وتوتر الجو .. وأحس الرئيس الأزهري أن أزمة تخيم على الاجتماع، فبادر إلى تأجيل الجلسة لتستأنف في اليوم التالي:

وفي الليل، جاءني الوزير العراقي السيد إسماعيل خير الله، والسيد الشريف الهندي وزير مالية السودان، ليبحثا معي الموقف، وطال الحديث .. وقلت لهما.

اللاأت الأربع في مذكرتنا : لا صلح، لا مفاوضة، لا تعايش، ولا انفراد بأي حل للقضية الفلسطينية، هل أنتم موافقون عليها .....

قالا : نعم ... ويجب أن يوافق عليها مؤتمر القمة بالاجماع ...

قلت : سأحضر الاجتماع غداً .. وإذا لم يوافق المؤتمر، فسأنسحب...

قال : ونحن ننسحب معك.

واستؤنفت الجلسة الرابعة في صباح الغد، وكانت الجلسة الأخيرة...

وبدأ الوزير الليبي الدكتور البشتي، وتكلم كلاماً واضحاً قال فيه ... (وكان ولي عهد ليبيا قد تغيب عن هذه الجلسة) :

" أعرب عن تقديري لتحليلات الرئيس ناصر والملك حسين هذه التحليلات الصريحة والواقعية التي تتمتع بشجاعة أدبية، كما أود أن أعرب عن تقديري للمساهمات التي تفضل بها أصحاب الجلالة والفخامة من الواضح للجميع أن المقصود هو الانسحاب وأنه لا بد من دفع الثمن .

" إسرائيل تريد ثمناً، والعالم يطالب ثمناً أقل من هذا. وينبغي أن نصل إلى التفصيلات، ولنسأل عن استعدادنا للثمن الذي سندفعه، وذلك حتى نقلب الوضع الدولي ضد إسرائيل ..

" الثمن التي تطلبه دول العالم هو:

1- إنهاء حالة الحرب.

2- حرية المرور في المياه الدولية.

" هاتان هما النقطتان اللتان يريدهما الرأي العام الدولي . وإذا قبلنا بهما سننال تأييد الكثير من الدول.

" نقطة أخرى أريد أن أقولها وهي أن الرئيس عبد الناصر أيد المشروع اليوغسلافي واقترح أن نضع مشروعاً متكاملاً نواجه به الرأي العام. فهل نعتمد المشروع اليوغوسلافي كنقطة أساس، أم نضع مخططاً جديداً؟.

"ليبيا ستؤيد أي حل سياسي ترتضيه الدول العربية المتضررة. وسنحاول شرح وجهة النظر مع الدول الغربية حسب توجيهات المجلس الموقر".

وتدخل الرئيس العراقي عبد الرحمن عارف فقال:

لدّي بعض النقاط التي أعتقد أن اتخاذها يعطي الفوز للأمة العربية، إن قدومنا إلى هنا للخروج بأشياء عملية .. وأعتقد أن أول عمل قمنا به هو أننا أعطينا الإسناد للدول المواجهة لإسرائيل ...

طبعاً هذا العمل غير كافٍ لأنه يجعلهم يبنون وجودهم على قوتهم الحالية، دون أي تفوق، أي في حالة دفاع .. وهذا لن يوصلنا إلى أي نتيجة ويبقينا تحت رحمة الغير.

فعليه هناك دول عربية أخرى بإمكانها أن تهيء قوة مناسبة في بلدها تكون جاهزة وحاضرة للانتقال إلى الجبهة وقت اللازم .. والقوة التي أتخيلها كما يلي:

1- غرب القنال، لو فرضنا ليبيا .. هل بإمكانها تجهيز كتيبة دبابات ولواء مشاة مع سرب طائرات مقاتلة .. هل تستطيع ليبيا تجهيز هذا؟

2- تونس تجهز الكمية نفسها .. هل بإمكانها ذلك؟

3- وكذلك الجزائر مع لواءين مشاة وسربين طائرات..

4- المغرب – مثل تونس وليبيا أي كتيبة دبابات ولوء مشاة وسرب طائرات .

5- السودان – لواء مشاة.

من هذه جميعاً نحصل على لواءين مدرعين و6 ألوية مشاة و6 أسراب طائرات وتكون قوة احتياط للجمهورية العربية المتحدة.

عندئذ يكون ممكناً أن تتعرض بالهجوم خلال سنتين..

ثم نأتي للجانب الآخر : شرق القنال..

1- السعودية – كتيبتان دبابات – لواء مشاة – سربان طائرات.

2- الكويت- كتيبة دبابات و 3 أسراب طائرات.

3- العراق ثلاثة أسراب طائرات – 3 ألوية وثلاث كتائب.

" هذا بالإضافة إلى ما هو متيسر في سوريا ولبنان والأردن... وإذا عملنا بهذا يكون بقدرتنا أن نواجه المشكلة الحالية.

" وبالنسبة للعمل السياسي: يحتم الموقف علينا جميعاً أن نعمل لأن نطرق كل باب لتحقيق أهدافنا، على شرط أن لا يمس ذلك كرامة العرب أو ما يسمى بتمييع أو تضييع قضية فلسطين. وبرأيي هذه حلول واقعية يمكننا خلال سنتين من أن نكون في موقف الهجوم لا الدفاع فقط".

وتكلم الرئيس عبد الناصر وقال :

" من الواضح أن كلام الرئيس عارف يقوينا جداً حتى في العمل السياسي، لأن العمل السياسي يتأثر بمواقع الضعف والقوة. بالتدعيم الاقتصادي نكون في مركز أقوى جداً. ويكون معروفاً للدول التي تدعم إسرائيل أنه أن لم نصل إلى هدفنا بالسياسة فنصل إليه بالقوة.

" العمل العسكري يستدعي قيادة عربية موحدة، نحن نقول إنه لابد من المسير في طريق النضال السياسي ولكن يجب أن نستعد لمواجهة النتائج. فكلام الأخ عبد الرحمن يتوقف على إمكانيات كل دولة. لكن إذا أردنا أن نكون أقوياء لازم يكون باين إننا اقتصادياً سنصمد، وعسكرياً نتهيأ للمعركة".

وقال الرئيس الأزهري : لقد انتهينا من أبحاثنا، ويحسن أن نتجه إلى وضع القرارات .

وقلت : أنا أذكر السيد الرئيس بجدول الأعمال ... نحن لم ننته من بحث الجدول بكامله ..

قال : وماذا بقي؟؟

قلت : البند الأول يتضمن " إزالة آثار العدوان على المستوى العسكري"، والبند الرابع يتضمن :" وضع خطة عربية شاملة بعيدة المدى ومتكاملة سياسياً وعسكرياً واقتصادياً لدعم التضامن العربي وتحقيق الأهداف العربية".

وأضفت قائلاً : " إن الرئيس العراقي قد تناول الجانب العسكري ولا أرى أنكم قد توصلتم إلى نتيجة .. ولا يصح أن ينتهي هذا المؤتمر قبل أن يضع خطة شاملة .. ويبدو لي أن حصيلة هذا المؤتمر كله حتى الآن هو الدعم الاقتصادي لمصر والأردن.. وهذا واجب، ولكنه جزء يسير من الموضوع الكبير..".

فقال الرئيس الأزهري: الأخوان عندهم مسئوليات كثيرة تنتظرهم في بلادهم، وهم يريدون العودة .

قلت : القضية هي المسئولية الكبرى .. فهل يرسو المؤتمر على تقديم مبلغ 135 مليون جنيه وانتهى .. وهذا المبلغ بالنسبة للمعركة لا يسمن ولا يغني من جوع..

فتدخل الرئيس محمد أحمد محجوب وقال : أنا عندي اقتراح بشأن الجوانب السياسية أقرأه عليكم .. وهو " أتفق الملوك والرؤساء على توحيد جهودهم في العمل السياسي على الصعيد الدولي الدبلوماسي لإزالة آثار العدوان وتأمين انسحاب القوات الإسرائيلية المعتدية من الأراضي العربية المحتلة بعد عدوان 5 يونيو في نطاق المبادئ الأساسية التي تلتزم بها الدول العربية وهي عدم الصلح

مع إسرائيل أ و الاعتراف بها وعدم التفاوض معها والتمسك بحق الشعب الفلسطيني"..

فقفز الملك حسين على قدميه، وقال : أنا اقترح شطب عدم الصلح لأن هذه العبارة ستضعف موقفنا في الأمم المتحدة.

وقلت : وأنا أصر على بقاء عبارة " عدم الصلح" وأن يضاف إليها " عدم الانفراد بقبول أية تسوية للقضية الفلسطينية".

واختل النظام في الجلسة، فقد راح الملك حسين يتكلم بعصبية ويتحدث عن الخسائر التي حلت بالجيش الأردني ..

ونهضت من مكاني، ومعي أوراقي ..وقلت أنا لست ملكاً لأحرص على البقاء في الملك، ولست رئيساً لأحرص على البقاء رئيس جمهورية .. أنا واحد من شعب فقد كل شيء، ولم يعد لنا ما نخسره، لأننا خسرنا كل شيء .. ولكن بقي لنا عقلنا، وكرامتنا وآمالنا . إن الاتجاه العام في هذا المؤتمر لا يشجعني على المشاركة فيه، ولا أستطيع أن أساهم في هذه القرارات .. ولذلك فإني أعلن انسحابي من المؤتمر .

وخرجت من الاجتماع .. وتركت الملوك والرؤساء يتهيأون لحضور الجلسة الختامية في القاعة التأسيسية وسط مظاهر الحفاوة وتحت أنوار المصورين..

وتلي البيان المشترك الذي أصدره الملوك والرؤساء معلناً " أن اجتماعاتهم سادها الشعور المشترك بعظيم المسئولية التاريخية .. وقرروا أن إزالة آثار العدوان هي مسئولية مشتركة بين جميع الدول العربية .. وعبروا عن عزمهم الأكيد على

ضرورة مواصلة العمل العربي الموحد من أجل صيانة الحق المقدس لشعب فلسطين في وطنه..".

وقد مر على هذا البيان المشترك ستة أعوام، لم ير المواطن العربي دليلاً واحداً على العمل العربي الموحد ...".

وبهذا أصبح البيان المشترك هو الكذب المشترك.. كذب اشترك فيه الملوك والرؤساء ...

"والله يشهد إنهم لكاذبون".

صدق الله العظيم

الصفعة الأولـى..
للملـوك والرؤسـاء

إعلان

" يعقد رئيس منظمة التحرير الفلسطينية مؤتمراً صحفياً مباشرة بعد انتهاء الجلسة الختامية لمؤتمر القمة العربي في الخرطوم " .

كان هذا هو الإعلان الذي ظهر بصورة بارزة في فندق جراندأوتيل في الخروم .. ولم يكد ينتهي مؤتمر القمة من جلسته الختامية حتى تقاطر الصحفيون العرب والأجانب إلى الفندق ليستمعوا ما سيقوله رئيس منظمة التحرير في مؤتمره الصحفي ...

وفي بداية المؤتمر قرأت بياناً موجزاً أعلنت فيه أن منظمة التحرير الفلسطينية قد انسحبت من مؤتمر القمة " لأنها لا تستطيع أن تشارك في تحمل مسئولية الاتجاه العام الذي سار عليه الملوك والرؤساء في معالجتهم لموضوع إزالة آثار العدوان... ذلك أن اجتماعهم لم يضع خطة عربية شاملة، عسكرية واقتصادية وسياسية، لمعالجة الموقف ..ولم يلتفت إلى توصيات مؤتمر وزراء المال والاقتصاد والبترول العرب، مكتفياً بتقديم معونات اقتصادية للدول التي وقع عليها العدوان، والتركيز على الجهود السياسية .. بالإضافة إلى رفض بعض المطالب الأساسية لمنظمة التحرير الفلسطيني فيما يتعلق بحل القضية الفلسطينية..".

واستغرق المؤتمر الصحفي قرابة ساعتين، والصحفيون الأجانب، بصورة خاصة، يحاورون ويسألون، وأنا أجيبهم كما أريد لا كما يريدون ...

وفي نهاية المؤتمر قلت لهم مازحاً : لا تنسوا أن تذكروا أني انسحبت من مؤتمر الخرطوم لسبب هام جداً.

قالوا : ما هو هذا السبب الهام..

قلت : لقد طلبت من الملوك والرؤساء أن يوافقوا على إلقاء اليهود بالبحر، ولكنهم رفضوا! ...

وانصرف الصحفيون وممثلو وكالات الأنباء إلى الآلات الكاتبة ليكتبوا برقياتهم ورسائلهم إلى صحفهم .. وهم يتندرون على موضوع إلقاء اليهود في البحر ..

وانصرفت أنا بدوري إلى شرفة الفندق استنشق الهواء العليل وأنا أحس أنني ملكت حريتي وخلعت عن عنقي ثلاثة عشر جبلاً كانت تشدني إلى ثلاثة عشر ملكاً ورئيساً، كل منهم يريد النضال الفلسطيني أن يكون على مزاجه وهواه !!

وأقبل عليَّ عدد من الوزراء والسفراء، وكانوا قد انتهوا لتوهم من الاجتماع الختامي لمؤتمر القمة، فجلسنا معاً، وكان أكثرهم وداً لي وزراء تونس والسعودية والمغرب والأردن... وراحوا يراجعون الحساب الختامي لما انتهى إليه مؤتمر الخرطوم.

وقالوا : لقد كشفت مناقشات المؤتمر أن الأخ الشقيري ليس عميلاً لعبد الناصر .. والله يا أخي نحن ظلمناك، لا تؤاخذنا..

قلت : وكيف ذلك ؟؟

قالوا : الرئيس عبد الناصر قالها أكثر من مرة إثناء المناقشات .. " أنا أختلف مع الشقيري.."

وأحسست أنهم يريدون التعريض بالرئيس عبد الناصر، وقلت: الرئيس عبد الناصر شخصية ضخمة وإنه ليشرفني أن يقول إنه يختلف معي .. هذه هي صالة النضال .. اختلاف في الاجتهاد القومي، وخاصة في الأيام السوداء..

قالوا : الحقيقة، أنا كنا مستغربين أنك كنت تبدي آراء مخالفة للرئيس عبد الناصر .. وفي كثير من الأمور كان رأيك هو الأصوب .. ولماذا لا تعلن ذلك في مؤتمر صحفي ..

قلت : وأنتم لماذا لم تخالفوا الرئيس عبد الناصر في هذه الآراء، ما دمتم ترونها على صواب؟؟

ثم تناول الحديث جوانب أخرى عن مؤتمر القمة، تزيد المرء يقيناً أن الحكم العربي لا يحمل من الأمة العربية إلا اسمها..

وغادرت الخرطوم في اليوم الثاني إلى القاهرة لأقرأ في صحف الصباح أضخم العناوين عن قرارات مؤتمر القمة ونجاحه العظيم الفخيم .. وتعليقات الملوك والرؤساء ، بما يوحي للمواطن العربي أنها لبضعة أسابيع، أو بضعة أشهر على الأكثر، وستجلو القوات الإسرائيلية عن الأراضي العربية ويعود الأمر إلى ما كان، وكأن شيئاً ما كان.. وفي زاوية مطمورة مغمورة، رأيت في الصحف خبراً يقول بأن رئيس منظمة التحرير الفلسطينية قد انسحب من الاجتماع .. ولم تذكر الأسباب..

وكانت الصحف في تلك الأيام تحت الرقابة .. ولم يكن ينشر فيها إلا التمجيد بمؤتمر الخرطوم، وأنه سيدحر إسرائيل، وسيخرج الزير من البير ... والواقع أن هذه الرقابة لم تكن حماية للعمل الوطني أن تتسرب إخباره إلى العدو، ولكنها كانت حماية للحكم العربي من السقوط .. وذلك أن هذه النكبة العربية الكبرى كانت كافية لإسقاط الحكم العربي بأسره، بملكياته وجمهورياته، لو كان المجتمع العربي يعيش في ظل الحريات العامة..

وحتى لبنان، واحة الحرية في الوطن العربي، كانت صحفه مدعاة للتفكير،فقد كانت عناوين الصحف مقطعة، تماماً مثل تسلية الكلمات المتقطعة .. فتقرأ العنوان : لا خلافات بين .. الخرطوم بشأن .. العسكري .." أو عنواناً ثانياً يقول .. " المؤتمر .. مقاطعة .. الأمريكية والبريطانية .. " أو عنواناً ثالثاً يقول : الأرصدة العربية ... المصارف الأجنبية ..".

وكانت بعض الصحف، في بيروت تترك " عموداً " أبيض بكامله، في الصفحة الأولى . لتعرب للقارئ العربي عن سخطها على الرقابة .. وهو نوع من الاحتجاج الصارخ الصامت .. لا تملكه الصحف العربية في العواصم العربية الأخرى !!

وقد وقعت إذاعة التحرير في القاهرة تحت الرقابة ... وكنا إلى ذلك الوقت، أحراراً فيما نذيع .. وأصبحت برامجنا تخضع لمراجعة اثنين من رجال المراقبة، يقرآن ما تذيعه المنظمة قبل إذاعته، للتأكد بأنه ليس فيه تعريض بالحكومات العربية، أو قرارات مؤتمر الخرطوم.

وحتى " النقد الذاتي " الذي كفله ميثاق التضامن العربي فقد أصبح حراماً في الإذاعات والصحف العربية، وهرب المواطن العربي إلى إذاعات إسرائيل ولندن

وواشنطن ليسمع الأخبار، محتملاً إزعاج التشويش .. فالتشويش أهون من التجهيل !!

ولذلك فقد ظل موضوع انسحابي من مؤتمر القمة، بأسبابه وظروفه بعيداً عن انتباه المواطن العربي، ولم تستطع إذاعة المنظمة أن تخاطب الشعب الفلسطيني والجماهير العربية، لتشرح ما انتهى إليه مؤتمر القمة من نتيجة هزيلة، على حين كانت وسائل الإعلام العربي تتحدث عن إنجازات المؤتمر العظمى، وأن المستقبل القريب كفيل بالكشف عنها!!

ومن ذلك أن الإذاعات العربية كانت تتحدث عن قرارات الملوك والرؤساء بفرح وحبور، كأنما تم تحرير بيت المقدس، فقد أذاع راديو جدة أن الحكومة السعودية قررت استئناف ضخ البترول إلى جميع الدول بناء على قرارات مؤتمر القمة .. وأنه فور وصول ناقلات البترول الغربية إلى مرافئ الخليج فإنها ستشحن بالبترول بأسرع ما يمكن، وأن الوضع كله سيعود إلى ما كان عليه قبل الخامس من حزيران (يونيو) (1967/9/2) .. وكانت هذه البشرى في اليوم الثاني من انتهاء المؤتمر!!

والواقع أن إذاعة جدة، كانت تتطلع إلى مؤتمر القمة في الخرطوم، وقبل شهر من انعقاده لكي يقرر إن المشكلة الأساسية هي " احتلال مصر لليمن" لا احتلال إسرائيل لبيت المقدس.. فقد أذاعت تعليقاً مطولاً دعت فيه إلى إنهاء الاحتلال المصري لليمن، وضرورة " جلاء القوات المصرية عن أرض اليمن لتمكين الشعب اليمني من تقرير مصيره بنفسه بحرية كاملة " (1967/8/27).

أما الملك حسين فأنه لم يكتف بالدعاية لمؤتمر القمة وأن قراره بشأن البترول صحيح، فقد أدلى بتصريح لوكالة الأنباء الأردنية شجب فيه العمل الفدائي

لأنه " يعطي العدو حجة ليقوم بمزيد من البطش والإرهاب في الضفة الغربية " (1967/9/4).

إلى جانب أجهزة الإعلام العربية، فقد انطلقت الأوساط الغربية، رسمية وغير رسمية، تقود حملة كبرى، تظهر فيها ابتهاجها للنتائج الباهرة التي توصل إليها الملوك والرؤساء...

ومن ذلك إن جريدة الجارديان البريطانية قد أكدت أن استئناف ضخ النفط " سينفي احتمال اللجوء إلى التقنين في بريطانيا وأنه سيؤدي إلى استغناء بريطانيا عن نفط فنزويلا الذي يكلفنا ثمناً غالياً ". (1967/6/2).

وعبرت جريدة الصندي تايمس عن تقديرها البالغ " للواقعية البناءة التي انتصرت في المؤتمر "... وعلقت جريدة النيويورك تايمز بقولها : " إن مؤتمر القمة في الخرطوم يمثل أكثر مؤتمرات القمة واقعية، وقد وصل الأمر بالقادة العرب إلى اتخاذ خطوة متواضعة نحو السلام في الشرق الأوسط، فقد اقترح العرب للمرة الأولى حلا سياسياً لنزاعهم مع إسرائيل .. وأنه من غير الواقعي أن نتوقع من العرب مرونة أكثر من التي أبدوها .." (1967/9/3).

وذهبت مجلة نيوزويك الأمريكية إلى أبعد من ذلك، فقد نشرت مقالاً مسهباً عرضت فيه الموقف العربي بالنسبة لأزمة الشرق الأوسط على ضوء نتائج مؤتمر الخرطوم فذكرت أن الموقف العربي في مؤتمر الخرطوم " كان متميزاً بالاعتدال والدعوة إلى الوفاق بين العرب والواقعية حيال إسرائيل .. وأن مقررات المؤتمر ستكون بادرة لمواجهة الحقيقة التي يجب في النهاية أن ترغم العرب على العدول عن المواقف التي كانوا يتمسكون بها .." (1967/9/11).

وليس لنا أن نلوم المجلة الأمريكية فيما ذهبت إليه فإن اللوم كل اللوم يقع على الملوك والرؤساء الذين أعطوا الرأي العام الدولي ذلك الانطباع. بتصريحاتهم وقراراتهم.

ولكن الفرحة الكبرى التي جاءت في أعقاب مؤتمر القمة تجلت عند شركات البترول، فقد كان قرار مؤتمر الخرطوم باستئناف ضخ البترول بمثابة عرس بهيج لدى ملوك البترول في العالم، فقد علق ناطق بلسان شركة البترول البريطانية بقوله : " إن هذا القرار خطوة كبرى في الاتجاه الصحيح "... وأعلن متحدث باسم شركة شل، بقوله : " إننا نرحب بهذا القرار أجمل ترحيب". وأعلنت مصادر صناعة النفط الأمريكية " أن هذه الخطة العربية ظاهرة حسنة ". وفي ألمانيا الغربية أعلنت المصادر المسئولة " ترحيبها وسرورها بالقرار العربي باستئناف ضخ البترول ... فإن ذلك سيؤدي إلى تحسن واردات ألمانيا من البترول بعد أن ارتفعت أسعاره بنسبة 10 في المائة نتيجة للمقاطعة العربية ...".(1967/9/1).

ونقلت وكالة رويتر للأنباء عن مسئولين في وزارة الداخلية الأمريكية قولهم " إن أزمة البترول التي نجمت عن الحرب في الشرق الأوسط قد انحدرت عن ذروتها " (1967/9/6).

وكانت هذه الأفراح والليالي الملاح التي صنعها الملوك والرؤساء العرب للشركات البترولية الاحتكارية العالمية، تماماً في اليوم الذي صدر فيه قرار استئناف ضخ البترول ... "وانضخَّ " معه المصير العربي والكرامة العربية ...

ولم يكن الصعيد الرسمي أقل ابتهاجاً من الصعيد الصحفي بمؤتمر القمة " والنتائج الإيجابية " التي توصل إليها، فقد أعلن وزير الخارجية الأمريكية دين

راسك في مؤتمر صحفي، أنه " لمس اعتدالاً في مؤتمر القمة، وأنه يعتقد بوجه عام أن ثمة دلائل مشجعة ..".

ولكن هذا " الاعتدال " العربي لم يقابله اعتدال أمريكي فقد واصل الوزير الأمريكي حديثه قائلاً : " إن موقف الولايات المتحدة لا يزال كما أعلنه الرئيس الأمريكي ليندن جونسون في حزيران (يونيو) الماضي على أساس النقاط الخمسة المعروفة وأن الذين يعيشون في المنطقة يتحملون، قبل أي كان، مسئولية العثور على حل المشاكل.." (1967/9/8) ومعنى هذا الكلام أن الأمر منوط بالنيابة بما توافق عليه إسرائيل .. ومعنى ذلك أيضاً أن إيجابية مؤتمر القمة لم تثمر شيئاً ..

كان ذلك موقف الخارجية الأمريكية، أما البيت الأبيض، والدبلوماسيون الأمريكيون يحاولون دوماً أن يُميّزوا بينهما، فقد وضح في تصريح أدلى به والت روستو مستشار الرئيس الأمريكي إلى وكالة يونايتد برس (1967/9/9) أعلن فيه : " أن الولايات المتحدة مرتاحة لروح الاعتدال المتزايدة، وللتفكير العلمي الذي يتزايد في الشرق الأوسط بصدد حل النزاع العربي الإسرائيلي". ولم يكن هذا الموقف أكثر من شهادة حسن سلوك للدولة العربية، تستحق عليه التقدير والثناء، وفي ذلك كفاية فإنه باقة أزهار لا سلة ثمار !!

كان ذلك هو رد الفعل الذي تركه مؤتمر الخرطوم عند الدوائر الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة .. أما بالنسبة للاتحاد السوفيتي فقد كان موقفه معروفاً حتى قبل انعقاد مؤتمر القمة، فقد نشرت جريدة برافدا الناطقة بلسان الحزب الشيوعي السوفيتي مقالاً مطولاً ذكرت فيه أن " ثمة ميلاً كبيراً معينا نحو الشوفينية الوطنية يسود العالم العربي .. فهناك زعماء عرب لا علاقة لهم

بالحكومات العربية قد ألحقوا أذى بالشعوب العربية بخطبهم غير المدروسة .. وأن وجهة النظر الرسمية العربية لا علاقة لها بالنداءات الهستيرية التي يطلقها الصائحون ويدعون فيها إلى القضاء على إسرائيل ... إن مشكلة الشرق الأوسط ليست ناجمة عن صراع قومي بين العرب واليهود، فإن السبب الحقيقي هو العدوان الإسرائيلي " (1967/8/3).

ولم تكتف جريدة برافدا بأنها تريد أن تعلم القمة العربية ماهية الصراع مع إسرائيل، وأن ترى في تحرير فلسطين عملاً هستيريا، ولكنها راحت في مقال آخر تدل قادة العرب على الطريق لإزالة آثار العدوان، فقد نشرت مقالاً آخر بعد ذلك بثلاثة أيام قالت فيه " إن الوسائل السياسية يجب أن تصبح أهم سلاح لإخراج القوات الإسرائيلية من الأراضي العربية المحتلة .. وأن أزمة الشرق الأوسط قد زادت نفوذ الطبقات الكادحة في البلدان العربية .. "(1967/8/6). وقد تساءلت وأنا أقرأ هذا المقال الغريب .. هل نحن الآن بصدد " نفوذ " الطبقات الكادحة أم بصدد " وطن الطبقات الكادحة!!

كان ذلك هو موقف السياسة السوفيتية قبل انعقاد مؤتمر القمة، توكيداً على الطريق السياسي .. وتعزز هذا الموقف بعد المؤتمر، فقد قالت جريدة برافدا إن " مؤتمر الخرطوم لقي ترحيباً حارا في الرأي العام التقدمي ومن أصدقاء الشعوب العربية الذين يؤيدونها في حقوقها الشرعي ومصالحها الحيوية". كما أعلنت جريدة ازفستيا ضخ البترول إلى الدول الغربية ..وأن مقررات المؤتمر " ذات طابع إيجابي "(1967/9/4). وبذلك لقيت الشركات الإمبريالية العالمية الاحتكارية تأيدا لطيفاً من الدول الاشتراكية اللينينية الماركسية !!

وكائنة ما كانت ردود الفعل الأجنبية، فقد شاءت الأقدار أن لا يكون الوقت بعيداً لاختبار مؤتمر القمة .. " وامتحان " سياسته الإيجابية ومساعيه السليمة .. ولم يمض شهران إلا وقد ظهرت نتائج الامتحان .. وإن كانت النتائج يعرفها الراسخون في العلم من غير اختبار وامتحان.

وما أن غادر الملوك والرؤساء الخرطوم إلى عواصمهم حتى بدأوا حملة واسعة عن طريق وزارات الخارجية والسفارات العربية في إرجاء العالم ، تركز على ضرورة حل أزمة الشرق الأوسط بالطرق السلمية، وأن الدول العربية منفتحة على حل واقعي معقول ..

وبدأت الحملة العربية تمهد الطريق أمام الحل السلمي، وتغري الدول الغربية بالعمل على إنجازه، ومن هذه الاغراءات مقال للسيد محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام، بعد أسبوع واحد من مؤتمر الخرطوم، نشره في جريدة الصندي تايمس البريطانية جاء فيه " أنه يرى أن الوقت قد حان لإجراء حوار حقيقي بين بريطانيا والجمهورية العربية المتحدة، وأنه يجب أن نعترف إن لبريطانيا مصالح مشروعة في الشرق الأوسط .." (1967/9/10). وقد كانت بريطانيا قبل أسبوع واحد فقط إحدى دول العدوان، وأصبح لها بعد قمة الخرطوم " مصالح مشروعة في الشرق الأوسط".

وفي نطاق هذه الحملة نشرت جريدة الأهرام، باعتزاز وتفاخر، خبرا يقول : " إن فيصل بن عبد العزيز آل سعود ملك السعودية قام أخيراً باتصال مع ليندن جونسون الرئيس الأمريكي بناء على تكليف من مؤتمر القمة العربي في الخرطوم وذلك لشرح وجهة النظر العربية في أزمة الشرق الأوسط .." (1967/9/14) . وقد فات الأهرام والملك فيصل معاً أن وجهة النظر العربية معروفة لدى البيت

الأبيض منذ الاجتماعات التاريخية التي جرت بين الملك عبد العزيز آل سعود والرئيس الأمريكي روزفلت في أواسط الأربعينات ..[1] وأن المطلوب من الملك فيصل في هذه المرحلة أن يخاطب الولايات المتحدة عن طريق مصالحها في المملكة العربية السعودية .. ولا طريق سواه.

أما الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة، وهو صاحب الآراء الفريدة بشأن القضية الفلسطينية، فقد عالج الحل السلمي من زاوية أدعى إلى التسلية .. فقد قال في مقابلة أجرتها معه الإذاعة الفرنسية بشأن أزمة الشرق الأوسط " أن على الدول العربية قبول قرار الأمم المتحدة لعام 1947. وأن إسرائيل سترفض هذا الاقتراح، وحينئذ إذا أردنا أن نخوض الحرب فسنخوضها ومعنا قرار الأمم المتحدة بينما تكون إسرائيل ضد قرار الأمم المتحدة .." (1967/9/15). ونحمد الله أن الرئيس بورقيبة لم يتبع مثل هذه الخطة بالنسبة للكفاح التونسي، فقد خاض الشعب التونسي معارك باسلة ضد الاحتلال الفرنسي ولم يكن معه قرار من الأمم المتحدة ..وكل ما كان معه هو إيمانه المطلق بالحرية، وتعلقه الرفيع بالتراب التونسي.

وانطلق الملك حسين في جولته المرتقبة .. الجولة التي قال عنها في مؤتمر القمة في الخرطوم بأنه ستكون تحت راية الاعتدال والإيجابية المعقولة، وباسم الملوك والرؤساء .. وعزم على السفر إلى موسكو.

ومهَّد الملك حسين لسفره بحديث لهيئة التلفزيون البريطانية قال فيه " إن تشجيع أعمال التخريب(الأعمال الفدائية) لم يكن من سياستنا أبداً، سواءاً في الماضي أو الحاضر، وأن على الدول العظمى التزامات أدبية بوجوب تحقيق تسوية سلمية لأزمة الشرق الأوسط، وأنه وجد أكثرية من زعماء العرب تؤيد انتهاج

---

[1] راجع : أحمد الشقيري، **أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية.**

خط الاعتدال ". (1967/10/2) . والملك حسين لم يكن في حاجة إلى هذا الحديث، فما أن وصل إلى موسكو حتى استقبله السيد نيقولاي بودجورني، وأكد له على مأدبة العشاء التي أقيمت على شرفه " إن الاتحاد السوفيتي يقف إلى جانب العرب ضد العدوان الإسرائيلي وضرورة الوصول إلى تسوية سلمية لأزمة الشرق الأوسط ".

ولم يكن المجال متاحاً بصورة كاملة أمام الملك حسين أن يتحدث طويلاً في موسكو .. فإن حملاته على الاتحاد السوفيتي لم تكن بعيدة العهد، والاتحاد السوفيتي نفسه قد انفتح حديثاً على الملوك، وليس عهده بعيداً بالحملة على الملك حسين بأنه رجعي وعميل للاستعمار البريطاني سابقاً، والأمريكي لاحقاً !!

ولكن مجال الملك حسين كان في الولايات المتحدة : فما أن وصل إلى نيويورك حتى تلقفته أجهزة الأعلام الأمريكية .. فأعلن في أول مقابلة تلفزيونية " أنه سيعرض على المسئولين الأمريكيين موقفاً عربياً معقولاً، وأن العرب مستعدون للاعتراف بإسرائيل وبحق إسرائيل في استعمال قناة السويس ومضايق تيران إذا ما حصلوا على شروط مناسبة ... وأنه يعتقد أن الرئيس جمال عبد الناصر سيمنح إسرائيل الحق في استخدام قناة السويس ومضايق تيران في خليج العقبة إذا ما تحققت لذلك الظروف المناسبة .."(1967/11/15) وأنها لنكبة أن يتحدث الملك حسين باسم الرئيس عبد الناصر !!

وفي اليوم الثاني وصل الملك حسين إلى واشنطن واجتمع بوزير الخارجية الأمريكي دين راسك اجتماعاً مطولاً صرح على أثره، أن الدول العربية مستعدة للقيام بتنازلات مهمة في سبيل الوصول إلى حل عادل ودائم لأزمة الشرق الأوسط .. وأن العرب على استعداد لإنهاء حالة الحرب مع إسرائيل والاعتراف بحقها

في العيش بسلام وأمن ،والسماح لها بالمرور في قناة السويس وخليج العقبة .. وأن الموقف العربي منطقي للغاية .. وأنه على اتصال مع الرئيس جمال عبد الناصر، وان وجهتي النظر الأردنية والمصرية متقاربتان تماما .. وأن الصياغة التي توضع بها قضية الاعتراف بإسرائيل صياغة خاطئة فإن على العالم أن يسأل إسرائيل :" هل تعترف بحق العرب في الوجود .." (1967/11/16). واهتزت الخرطوم إلى منابع النيل، والملك حسين يتحدث ويطالب باسم مؤتمر الخرطوم أن تعترف إسرائيل بحق العرب في الحياة!!

وفي نادي الصحافة في واشنطن، ألقى الملك حسين خطاباً أعلن فه أن هناك دلائل مشجعة للعثور على طريقة لإنهاء المأزق العربي الإسرائيلي، وأن العرب يتبنون اتجاها جديداً إيجابياً نحو سلام دائم في الشرق الأوسط .. وأن العرب متلهفون على بذل أقصى الجهود في سبيل الوصول إلى تسوية عادلة ودائمة، وأنه لا يتكلم باسم الأردن وحده وإنما باسم الأمة العربية .. وأن اتهام العرب لأمريكا وبريطانيا بمساعدة إسرائيل خلال الحرب كان خطأ يؤسف له . وانه في حالة نشوب الحرب مرة أخرى فلن يضع الجيش الأردني تحت إمرة ضابط مصري وأنه دخل الحرب رغماً عن إرادته "..(1967/11/7). والأمة العربية تسمع هذا الكلام وهي تنادي : وحسب المنايا أن يكن أمانيا!!

واستقبل الرئيس الأمريكي لندن جونسون الملك حسين .. وطبيعي أنه سمع من الملك الأردني حديثاً أدنى بكثير من أحاديثه العلنية، ومع هذا فقد صرح الناطق بلسان البيت الأبيض أن الملك حسين موجود للبحث في العناصر الأساسية لموقفنا وموقفه وكيفية تحقيق سلام في الشرق الأوسط وأنه لن يصدر

بيان رسمي من البيت الأبيض عن زيارة الملك للولايات المتحدة..."(1967/11/9).

وطار الملك حسين بعد ذلك إلى باريس ومنها إلى لندن، وقال فيها ما قال في الولايات المتحدة .. وعاد إلى عمان بعد رحلة استمرت ستة أسابيع عرض خلالها الخط " الإيجابي المعقول "، لنرى ماذا أثمرت جهوده وجهود غيره من قادة العرب الذين وضعوا منهج الحل السلمي في مؤتمر الخرطوم..

وكان ميدان التجربة الرئيسي في الأمم المتحدة .. فقد انعقدت الدورة العادية التي تعلقت عليها كل آمال الملوك والرؤساء في الخرطوم.

ومن المفجع حقاً، أن المستر يوثانت الأمين العام للأمم المتحدة، كان أرحم بالقضية العربية من قادة العرب أنفسهم، فقد تضمن تقريره الذي قدمه إلى الجمعية العامة بشأن الشرق الأوسط ستة مبادئ أساسية، من جملها، عدم قبول احتلال دولة بالقوة العسكرية أراضي دولة أخرى، وأن للاجئين الفلسطينيين العرب حقاً طبيعياً في أن يكونوا في وطنهم وأن يكون لهم مستقبلهم، وأن الأمم المتحدة لا تستطيع أن تتساهل بمبدأ عدم الاعتراف بالمكاسب الناتجة عن احتلا ل الأراضي ثم أشار في تقريره إلى أن حوالي 350 ألف شخص هربوا خلال الحرب وبعدها (حتى أول أيلول سبتمبر) من المناطق التي تحتلها إسرائيل ..وأن القنطرة قد بقي من سكانها حوالي 200 شخص وكان عدده يتراوح بين عشرين إلى ثلاثين آلفاً ..ولم يكن للجهد العربي فضل في النواحي الإيجابية لهذا التقرير، ولكنه كان جهداً شخصياً للسيد يوثانت الذي تعرف على القضية الفلسطينية منذ كان مندوباً دائماً لبلاده في الأمم المتحدة.

ولكن الخطب في الجمعية العامة كانت في اتجاه آخر، ولم تبال بمؤتمر الخرطوم ولا بالسياسة " الإيجابية العاقلة الواقعية " التي أعلنها للعالم الملك حسين وغيره من قادة العرب .

وبدأت ترد على مكتب المنظمة محاضر الجمعية العامة ومنها خطب الوفود .. وبدأت أقرأ .. ولم يكن غرباً ما قرأت .. ولعله بدا غرباً للملوك والرؤساء إذا كانوا قد قرأوا .. فد جاء البرهان تلو البرهان .. إن " واقعية " مؤتمر الخرطوم لم تأت بأية نتيجة، ولن ..

فهذا رئيس الوفد الأمريكي جولد برج يعلن من منبر الأمم المتحدة أنه " يجب نبذ حالة الحرب بين العرب وإسرائيل .. وأن سحب القوات المسلحة يجب أن يكون في إطار السلام، وأن مشكلة اللاجئين يجب الاهتمام بها من قبل جميع دول المنطقة، وأنه يجب ضمان حرية الملاحة في الممرات الدولية، وأن .. وأن .." إلى أخر العبارات الإسرائيلية العبرية، مكتوبة باللغة الأمريكية !!

وهذا (جنس كراج) رئيس حكومة الدانمارك ووزير خارجيتها، يسير في فلك الحلول الأمريكية مع التركيز على أن أطراف النزاع يجب أن يصلوا إلى اتفاق لحل مشاكلهم بأنفسهم.

وتحدث وزير خارجية السويد في الاتجاه نفسه مشدداً على حق كل دولة في المنطقة بان تعيش بأمن وسلام.

وخطب وزير خارجة اليابان داعياً إلى مفاوضات بين الدول العربية والحكومة الإسرائيلية عن طريق وساطة من قبل فريق ثالث ...

وألقى اندريه جروميكو كلمة مسهبة كرر فيها مطالبه التي قدمها إلى الجمعية العامة في دورتها الطارئة قبل شهرين .. وأنه يجب فرض عقوبات على إسرائيل إذا تخلفت عن تنفيذ القرارات الخاصة بالقدس.

وخطب الوزير الإسرائيلي ايبان فأعلن رفض إسرائيل القاطع للعودة إلى الوضع الذي كان في 5 حزيران يونيو وأن التاريخ يدعو للسير إلى الأمام لا إلى الخلف " وأن إسرائيل تصر على التفاوض من أجل عقد معاهدات تحل محل وقف إطلاق النار، وأن الوزير السوفيتي جروميكو قد عرض البضاعة نفسها التي عرضها في الدورة الطارئة، ورفضتها الجمعية العامة...

وتحدث وزير الخارجية البريطانية جورج براون معربا عن أسفه أنه انقضت ثلاثة أشهر على الحرب العربية الإسرائيلية دون أن تجد الأمم المتحدة حلاً، وأنه لا يمكن التوصل إلى حل دائم لمشكلة الشرق الأوسط إلا من خلال الأمم المتحدة.

ودعا الأمين العام للأمم المتحدة المستر يوثانت إلى وليمة عشاء وزراء الدول العظمى الأربع، الأمريكي دين راسك، والبريطاني جورج براون، والفرنسي كوف دي مورفيل ، والسوفيتي اندريه جروميك، وبحثوا على مائدة الطعام قضية الشرق الأوسط، وشبعوا طعاماً وكلاماً على غير جدوى.

وخطب بول مارتن وزير خارجية كنده وأكد أن انسحاب القوات الإسرائيلية يجب أن يقرن بحل المسائل السياسية الأخرى، وإنهاء حالة الحرب، والاعتراف بحق إسرائيل في الوجود والأمن، والمرور البريء في قناة السويس وخليج العقبة، وحل مشكلة اللاجئين بالتوطين أو التعويض.

وألقى وزير خارجية فرنسا كوف دي مورفيل خطابا أعلن فيه أنه رغماً عن أن مؤتمر الخرطوم قد أقر الحل السياسي فإن الأمم المتحدة يجب أن تقوم بدور أساسي في الوصول إلى تسوية سلمية للنزاع العربي الإسرائيلي.

وهكذا تكلم ما يزيد على مائة وزير خارجية باسم حكوماتهم يعربون عن وجهة نظر بلادهم فيما يتعلق بمشكلة الشرق الأوسط، وهم ما بين مؤيد للموقف العربي، ومؤيد لإسرائيل، أو مذبذب بيننا وبين إسرائيل، يخطب معنا، ثم يصوت مع إسرائيل، أو يستنكف عن التصويت، أو يكون في كافتيريا الأمم المتحدة حين تتم عملية التصويت.. فأن جلسته على كأس من الشراب مع إحدى الغانيات اللعوبات أجدى من الشرق الأوسط وما فيه من مقدسات !!.

ولم تتخلف الوفود العربية في تلك الدورة عن عرض البضاعة العربية الجديدة التي صنعها مؤتمر الخرطوم " بالإيجابية والمعقولية والواقعية"، فقد كانت خطب وزراء الخارجية العرب تشدد على السياسة العربية الجديدة .. والأمثال كثيرة..

فالوزير اللبناني الدكتور جورج حكيم، أدلى بتصريح لدى وصوله إلى نيويورك لحضور اجتماعات الأمم المتحدة قال فيه: إن الدول العربية اختارت طريق الاعتدال، وأعطت الأفضلية للعمل السياسي، وإن أمام الأمم المتحدة فرصة أفضل لحل مشكلة الشرق الأوسط.

وأعلن الوزير التونسي الحبيب بورقيبة الابن، أن أي حل لأزمة الشرق الأوسط يجب أن يأخذ بعين الاعتبار وقائع العصر، وأن تونس تفهم القلق الذي يساور البعض لإقناعهم بعدم العودة إلى خطوط ما قبل الخامس من حزيران(يونيو) وكان خطاب الوزير الولد، أهون شراً من حديث الرئيس الوالد الحبيب

بورقيبة، الذي أدلى به إلى مجلة شترن الألمانية، وأعلن فيه أنه " مستعد للتوسط بين العرب وإسرائيل ".. كأنه ليس فريقاً في هذه القضية..

وتكلم الوزراء العرب الآخرون حول هذه المعاني، وعباراتهم تنم عن الواقعية والإيجابية والتسوية السلمية ..

وانتهت خطب الخطباء، ودبلوماسية الوزراء، وجاء دور تقديم مشروعات القرارات، فإن كل قضية لا بد أن تنتهي إلى قرار يصدر عن الأمم المتحدة ، يكون بمثابة حكم تنطق به المنظمة الدولية – حكم ولكنه على الورق، ومن شاء رضي ومن شاء رفض .. فهذه هي الأمم المتحدة !!

ومشروع القرار الوحيد الذي عرض على الجمعية العامة كان المشروع البرازيلي، ونص على تسوية أزمة الشرق الوسط وفق المبادئ التي أعلنتها الولايات المتحدة.

ورأى الوزراء العرب بأم أعينهم ووالد أسماعهم أن الجمعية العامة لن تفعل لهم شيئاً وأن الآمال التي يسير بها ملوكهم ورؤساؤهم في مؤتمر الخرطوم إنما هي سراب، وها قد مضت ثلاثة أسابيع من الجدال والحوار، في (1967/9/21)على غير طائل، فوجد أهل " الفتوى " في الأمم المتحدة حل يستر وجه الدول العربية، فأعلن رئيس الجمعية العامة" أنه بعد مشاورات ومداولات بين مختلف الوفود اتفق الرأي على تأجيل اجتماعات الجمعية العامة إلى أجل غير مسمى..!

وهكذا سجل تاريخ الأمم المتحدة الصفعة الأولى للملوك والرؤساء العرب .. وانصرفت الجهود، بعد ذلك إلى مجلس الأمن، لعله يجد لنا من أمرنا مخرجا

.. ومجلس الأمن هو الهيئة التنفيذية للأمم المتحدة، كما ينص الميثاق على الأوراق ..

وبدأت قصة جديدة في مجلس الأمن، أشبه ما تكون بالدراما، ذات فصول، وأبطال، ومسرح، ودهاليز وراء الكواليس ..

وأنا أناشد المواطن العربي أن يصبر معي بعض الوقت حتى نتابع مجلس الأمن في إجراءاته إلى النهاية، فقد أصدر القرار المشئوم رقم (242) تحت وطأة المساومات والمؤامرات .. وفرضت أجهزة الأعلام العربي ستاراً من التعتيم على مداولات مجلس الأمن ..ولم تنشر منها إلا ما خدع الجماهير العربية .. وها هي المحاضر أمامي ..

تشاور أعضاء مجلس الأمن فيما بينهم للاتفاق على إرسال وسيط دولي إلى الشرق الأوسط.. ولكن إسرائيل أصرت على إجراء مفاوضات مباشرة بينها وبين الدول العربية .. وقد تقدمت الدانمرك بمسودة قرار تقترح فيه " سحب القوات إسرائيلية إلى حدود آمنة.. " ولكن إسرائيل أصرت أن تكون العبارة " حدود آمنة ومتفق عليها " (1967/10/26)، وواضح أن العبارة في مجموعها تعني أن إسرائيل تنسحب إلى حدود آمنة ومتفق عليها، والاتفاق بالضرورة، هو بين إسرائيل والدول العربية .. وهذا هو مربط الفرس كما يقول العامة، أو بيت القصيد كما يقول المثقفون .

وتقدم الوفد الهندي بمشروع معتدل أقرب ما يكون إلى وجهة النظر العربية، وتألفت لجنة من الأعضاء العشرة غير الدائمين في مجلس الأمن للتوفيق بين المشروعين الدانماركي والهندي، ولكن الضغوط التي قام بها الوفد الأمريكي قد حالت دون نجاح هذه المحاولة (1967/10/28).!

وتقدمت بعض الدول الأفريقية والآسيوية واللاتينية بمسودة قرار، كما تقدمت كندا والدانمارك بمسودة قرار آخر .. وتألفت لجنة ثلاثية من مندوبي الهند والأرجنتين والدانمارك للتوفيق بين المشرعين الجديدين، ولكن المحاولة قد باءت بالفشل لأن أمريكا واصلت ضغوطها المعروفة (1967/11/2).

ولم يكن أمام رئيس مجلي الأمن، ممثل مالي، إلا أن يعلن أنه، نتيجة لفشل جميع المحاولات التي بذلت من قبل الأعضاء العشرة، واللجنة الثلاثية، أصبح لابد من أن تقوم الدول الأربع الكبرى بمسئولياتها، وعليها أن تتشاور فيما بينها وتصل إلى اتفاق (1967/11/13).

وعقد مجلس الأمن جلسة مستعجلة بناء على طلب من وفد الجمهورية العربية، لتحريك القضية، وتقدمت الهند ومالي ونيجيريا بمشروع قرار يتفق إلى حد بعيد مع وجهة النظر العربية فتقدم الوفد الأمريكي بمشروع قرار مضاد، يؤيد وجهة النظر الإسرائيلية، ولم يستطع المجلس أن يصل إلى نتيجة (1967/11/7).

وعقد مجلس الأمن جلسة مستعجلة أخرى بناء على طلب وفد الجمهورية العربية المتحدة، واستمرت طيلة الليل إلى الصباح، والح السيد محمود رياض وزير خارجية جمهورية العربية المتحدة على المجلس أن يتخذ قراراً بعد أن مضت " خمسة أشهر على الاحتلال الإسرائيلي".. وأيده في طلبه مندوبو الهند ونيجيريا والاتحاد السوفيتي ..وتحدث بعدهم المندوبون الآخرون،كل منهم يعالج القضية من زاويته .. كأنما أصبح الوطن العربي سلعة " بايظه " يسومها كل مفلس .. (1967/11/9).

واستأنف مجس الامن اجتماعاته، في الأسبوع التالي، واستمع إلى الوزير الإسرائيلي وهو يعلن " أن إسرائيل لا تتعاون مع أي وسيط دولي يعينه المجلس إلا إذا كانت صلاحياته تتفق مع سياساتنا وموقفنا من المفاوضات المباشرة مع العرب .. وأن إسرائيل ستتحفظ على وقف إطلاق النار إلى أن تحل محله معاهدات صلح ..". ورد عليه الوزير الأردني السيد عبد المنعم الرفاعي مكرراً الموقف العربي بالانسحاب من غير قيد أو شرط، وتكلم بعد ذلك مندوبا بلغاريا والهند ولم ينته المجلس إلى شيء، وتأجل الاجتماع يومين أخرين (1967/11/13).

وانعقد مجلس الأمن في الموعد المحدد، وفي بداية الجلسة طلب مندوب البرازيل رفع أسمه من قائمة المتكلمين ، وكان من المتوقع أن يتكلم ليقدم مسودة قرار تشترك فيه البرازيل والأرجنتين، وأعلنا عدولهما عن تقديم مشروعهما بناء على تعليمات من حكومتيهما وقد عرف فيما بعد أن البرازيل والأجنتين قد اتخذتا هذا الموقف بعد أن تلقتا رسالة من رئيس إسرائيل زالمان شازار !! وتكلم في الجلسة السيد أديب الداوودي رئيس الوفد السوري مكرراً الموقف العربي بصورة انسحاب إسرائيل من الأراضي العربية المحتلة، واشترك في المناقشة مندوبو أمريكا و روسيا وكندا، وطلب الوفد البريطاني تأجيل الجلسة 48 ساعة لمزيد من المشاورات الجانبية .. وتأجلت الجلسة.

وأستأنف المجلس اجتماعه في المساء وظل منعقداً طوال الليل ..وتقدم اللورد كارادون بمشروع قرار وصفه " بأنه محاولة عادلة ومخلصة لحل النزاع .. " وتلا مشروع القرار بنصه الكامل .. وتحدث السيد محمود رياض وزير خارجية

الجمهورية العربية المتحدة مكررا الموقف العربي أو رفضه .. وتكلم بعده الوفد الكندي فطلب تأجيل الاجتماع يوما واحدا فكان ذلك (1967/11/16).

واجتمع مجلس الأمن ليلة أخرى، في الموعد المحدد، فطلب رئيس وفد بلغاريا تأجيل الجلسة يومين آخرين لمزيد من المشاورات والدراسات فوافق المجلس (1967/6/17).

واجتمع مجلس الأمن ليلة أخرى، في الموعد المحدد، وخطب الوفد الأمريكي مؤيداً " المشروع البريطاني ووصفه بأنه يفتح عهداً جديداً في الشرق الأوسط، وأعلن للمجلس أن الولايات المتحدة ستمارس نفوذها الدبلوماسي والسياسي لتأييد المشروع البريطاني لتحقيق تسوية عادلة ومتوازنة ..وطلب رئيس وفد بلغاريا تأجيل الجلسة يومين آخرين فوافق المجلس على ذلك (1967/11/20).

وجاءت الليلة الحالكة الحاسمة، فعقد مجلس الأمن جلسته، وكانت الأخيرة، فأعلنت وفود الهند ومالي ونيجيريا سحب مشروعهما المشترك، كما أعلن الوفد الأمريكي سحب مشروعه، وذلك لإتاحة الفرص أمام المشروع البريطاني.. وطرح المشروع البريطاني للتصويت فتمت الموافقة عليه بالإجماع. (1967/11/22).

وكرر الوفدان المصري والأردني مواقفهما السابقة ولم يقبلا ولم يرفضا .. وكذلك فعل الوفد الإسرائيلي.

وتلح علي مذكراتي ولأسباب سأذكرها، أن أضع أمام المواطن العربي النص الكامل للقرار البريطاني الذي أصبح قرار مجلس الأمن ويحمل رقم 242 تاريخ 22 تشرين الثاني نوفمبر 1967.

وهذا هو القرار :

" إن مجلس الأمن

- إذ يعبر عن قلقه المستمر للموقف الخطير في الشرق الأوسط .
- ويؤكد عدم شرعية الاستيلاء على أراض عن طريق الحرب ، والحاجة إلى سلام عادل ودائم تستطيع أن تعيش فيه كل دولة في المنطقة .

ويؤكد أيضاً أن جميع الدول الأعضاء عندما قبلت ميثاق الأمم المتحدة قد التزمت بالتصرف وفقاً للمادة الثانية منه.

1- يؤكد أن تطبيق مبادئ الميثاق يتطلب إقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط وهذا يقتضي تطبيق المبدأين التاليين :

أ- انسحاب القوات الإسرائيلية من أراض احتلتها في النزاع الأخير.

ب-أن تنهي كل دولة حالة الحرب، وان تحترم وتقر الاستقلال والسيادة الاقليمية والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة وحقها في أن تعيش في سلام في نطاق حدود مأمونة ومعترف بها متحررة من أعمال القوة أو التهديد بها.

2- ويؤكد أيضاً الحاجة إلى :

أ- ضمان حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية في المنطقة.

ب- تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين.

ج – ضمان حدود كل دولة في المنطقة واستقلالها السياسي عن طريق إجراءات من بينها إنشاء مناطق منزوعة السلاح.

3- يطلب من السكرتير العام أن يعين ممثلاً خاصاً إلى الشرق الأوسط لإقامة اتصالات مع الدول المعنية بهدف المساعدة في الجهود للوصول إلى تسوية سلمية ومقبولة على أساس النصوص والمبادئ الواردة في القرار.

4- يطلب من السكرتير العام أن يبلغ المجلس بمدى تقدم جهود المبعوث الخاص في أقرب وقت ممكن."

هذا هو القرار الشهير الذي أصدره مجلس الأمن، وكنت في ليلة إصداره أتابع الإذاعة الأمريكية وهي تنقل نص القرار باللغة الإنجليزية، ثم تعيد إذاعته من حين إلى حين، والخوف ينشب مخالبه في نفسي، والذين يعرفون هم الذين يخافون.

وكتمت مخاوفي حتى الصباح إلى أن صدرت صحف القاهرة ..وأقبلت على صحيفة" اجيبتش جازيت" التي تصدر بالإنجليزية لأقرأ قرار مجلس الأمن، فتحققت مخاوفي..

رأيت أن قرار مجلس الأمن قد أعطى .. هنا أتحدث بمنتهى الدقة والتحديد، قد أعطى إسرائيل أكثر مما تريد، وأعطانا أقل ما نريد.

لقد أعطى لإسرائيل ما يأتي :

1- إنهاء حالة الحرب.
2- وأن نعترف لها بحدود آمنة متفق عليها.
3- وأن نلتزم بحق إسرائيل أن تتحرر من أعمال القوة أو التهديد بها.
4- وأن نضمن حرية الملاحة لإسرائيل في قناة السويس وخليج العقبة ..

وهذه هي كلها المطالب الأساسية التي تؤكد عليها إسرائيل، وأية واحدة منها هي تصفية كاملة للقضية الفلسطينية، وطناً وشعباً، وتصفية كاملة للصراع العربي الإسرائيلي برمته.

وحتى كفاح الشعب الفلسطيني لن يكون له مجال في الوطن العربي، بل إنه ليس لأية إذاعة عربية أن تصف إسرائيل بأنها " العدو " .. هذا هو قرار مجلس الأمن.

وكل ما أعطاه قرار مجلس الأمن للأمة العربية .. أمران ..

الأول : الانسحاب .. ولكن لا من " الأراضي " ولكن من " أراضٍ " يضاف إلى ذلك أنه انسحاب إلى حدود آمنة متفق عليها.

الثاني : تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين .. وهذه عبارة يعرف رعاة الإبل في الصحراء إنها لا تعني شيئاً وقد ثبت ذلك في العشرين سنة الماضية من حياة الأمم المتحدة.

وموضوع " الأراضي " أو " أراض " له حكاية لا بد أن نقف عندها بعض الشيء .. لأن أجهزة الإعلام العربي قد حجبتها عن الأمة العربية. بل وهذا هو الأنكى، إن الصحافة العربية ، وهي صحافة الدولة في معظم الأقطار العربية، قد نشرت القرار البريطاني بما يوحي أن مجلس الأمن قد طلب إلى إسرائيل " الانسحاب من جميع الأراضي العربية المحتلة "، مع أن كلمة " جميع " وال التعريف غير واردة أصلاً في القرار البريطاني..

وخلاصة الحكاية إن اللورد كارادون حين قدم مشروعه إلى مجلس الأمن قد حرص أن تكون كلمة " أراضٍ " من غير آل " التعريف .. وقد ظن أصحاب النوايا الطيبة أن المر لا يعدو أن يكون خطأ الصغير بحروفه، الكبير بمعناه ..

وكان أن اتصلت الوفود العربية باللورد المندوب البريطاني وطلبوا إليه أن يضع كلمة " The " أل التعريف قبل كلمة " أراضي " حتى يكون الانسحاب شاملاً لجميع الأراضي العربية المحتلة .. ولكن المندوب البريطاني رفض الاقتراح العربي، وضنت بريطانيا على الأمة العربية بأل التعريف!!

وأثير الموضوع مرة أخرى في مجلس الأمن، وبطريقة أخرى، فقد طلب مندوب الهند أن يسجل المندوب البريطاني في محضر الجلسة أن مشروعه يعني الانسحاب من جميع الأراضي العربية المحتلة.. ولكن المندوب البريطاني تجاهل الطلب الهندي واكتفى بالقول إن مشروعه متكامل، ويجب أن يفسر في مجموعه، لا فقرة فقرة..

ومن الأسرار الأخرى أن عبارة " حدود آمنة ومعترف بها " هي صياغة إسرائيلية اقترحها وزير الخارجية الإسرائيلي ايبان، وكان كما أراد..

وعبارة " معترف بها " تفرض على الدول العربية أن تعترف بحدود إسرائيل، ومنذ أن نشأت الأم المتحدة، لم تفرض على أية دولة أن تعترف بدولة أخرى، أو تعترف بحدودها .. كما إنها لم تضع لها حدوداً، وأن تكون هذه الحدود آمنة .. وطبعاً فأن إسرائيل هي التي تقرر أين هي الحدود الآمنة .. وعلى الدول العربية أن توافق وتعترف ... فأن لم يتم الاتفاق والاعتراف فستظل الأرض العربية تحت الاحتلال.

هذا هو قرار مجلس الأمن، ومن لم يعرف ذلك، فليقرأ وليتعلم.

وكان أخر الأسرار أن المشروع البريطاني كانت تجري صياغته وراء الكواليس، وقد وافق على كلماته، وعباراته، وفواصله، ومقاطعه، كل من الاتحاد السوفيتي وأمريكا وفرنسا وبريطانيا وإسرائيل..

ولم تكن الوفود العربية تطلع على الصياغة .. فالاتحاد السوفيتي كان يمثلها، وفي ذلك كفاية .. فهو الوكيل وهو الأصيل !!

كانت هذه " الأسرار " غائبة عن أبصار الأمة العربية وآذانها فلم تقرأها ولم تسمعها .. لأن الأجهزة العربية لم تحجبها فحسب، ولكنها كانت تحمل الطبل والمزمار . والصنوج والدفوف، في عرس كبير احتفالاً بقرار مجلس الأمن .!!

والذين يعرفون السياسية البريطانية الماكرة البارعة، يستذكرون الصياغات البريطانية بشأن القضية الفلسطينية على مدى خمسين عاماً، وكيف كانت تدس السم بالكلمة، وتغلف النكبات بالعبرات ، ثم تنشر البخور بين السطور ...

وهذا وعد بلفور في 2 نوفمبر 1917، ألم يخترع عبارة " الوطن القومي اليهودي " مشروطاً بالحقوق المدنية " للجماعات غير اليهودية في فلسطين ." ؟

وهذا صك الانتداب على فلسطين لعام 1922، ألم يبتدع عبارة حق الشعب اليهودي في فلسطين مقيداً بحقوق الطوائف غير اليهودية ؟.

وهذا الكتاب الأبيض لعام 1922 ألم يصنع عبارة " دولة يهودية في فلسطين " مستبعداً جعل فلسطين دولة يهودية ؟!

وهذا الكتاب الأبيض لعام 1939 الذي نص على " إقامة دولة فلسطينية لا عربية ولا يهودية، مرهوناً بموافقة " الطائفة اليهودية ..".؟

ولكن قادة العرب اختاروا طريق التجاهل والتجهيل، فلم يعبأوا بالصياغة الماكرة التي قدمها الوفد البريطاني إلى مجلس الأمن ، واعتبروها نصراً سياسيا ولتكون فيما بعد مطلباً قومياً..

وفي الوقت الذي فشلت فيه سياسة مؤتمر الخرطوم في الجمعية العامة للأمم المتحدة ثم بعد ذلك في مجلس الأمن .. كانت إسرائيل تواصل خطتها النظرية والعملية لتؤكد العدوان وتوطيد التوسع .. والوقائع والدلائل كثيرة وكثيرة.

ومن ذلك أنه حينما كانت الأمم المتحدة تعد العدة لانعقاد جمعيتها العمومية، كان الوزير الإسرائيلي يلقي خطاباً في نادي الصحافة في واشنطن يقول فيه " إن هدفنا هو إنشاء إسرائيل جديدة في الشرق الأوسط " (1967/9/22) فكان ذلك أول جواب لمؤتمر الخرطوم.

وفي إسرائيل نفسها، وفي اليوم نفسه، نشرت الصحف الإسرائيلية بياناً وقعه ستون زعيماً إسرائيلياً يمثلون مختلف الاتجاهات السياسية وطالبوا فيه الحكومة الإسرائيلية بالاحتفاظ بـ " إسرائيل الكبرى بكاملها ".

وعشية انعقاد الدورة العادية للأمم المتحدة، حين كان موضوع انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي العربية تجري مناقشته على منبر الجمعية العامة، قامت إسرائيل بتدشين ثلاث مستعمرات : الأولى على مقربة من بانياس في المرتفعات السورية، والثانية تدعى " جوش عصيون " بين الخليل والقدس، والثالثة وتدعى " هاعرافا " في سهل أريحا (1967/9/24).

وصادف في اليوم نفسه الذكرى السبعون للمؤتمر الصهيوني الأول (عام 1897)، فخطب الجنرال اسحق رابين رئيس أركان الجيش الإسرائيلي وقال : " إن هدف إسرائيل أن يصبح عدد اليهود خمسة ملايين وحينئذ لن يستطيع شيء إيذاءها ولا التشكيك في وجودهما .. وجواباً على هذا التحدي الضخم فقد أجاب السيد سعد جمعة رئيس الوزراء الأردني بحديث لوكالة الأنباء الأردنية الرسمية قال فيه : إن الأردن أعلن في كل موقف في الماضي والحاضر وبشكل قاطع أنه

لا يشجع أية نشاطات فدائية في الأجزاء المحتلة، ولا يستسيغ أية نشاطات استفزازية فيها، (1967/9/26)!!

ويوم كانت المناقشة على أشدها في الأمم المتحدة، والوفود يخطبون حول انسحاب إسرائيل من الأراضي العربية، بشروط أو بدون شروط، صرح الجنرال موشه ديان وزير الدفاع الإسرائيلي لمجلة الجيش الإسرائيلي بأن الحدود الحالية مع الدول العربية، باستثناء لبنان ، هي حدود مثالية، فإذا عبرت إسرائيل قناة السويس فأنها تشرف على القاهرة، وإن عبرت نهر الأردن فأنها تكون في مداخل عمان، وإن اجتازت القنيطرة فأنها تطل على دمشق، وإنه إذا وقعت حرب أخرى فمن الممكن لإسرائيل أن تدخل العواصم العربية من الحدود الحالية لإقرار حل نهائي).(1967/10/1).

وحين اتجه تفكير الأمم المتحدة إلى إحالة قضية الشرق الأوسط من الجمعية العامة إلى مجلس الأمن، أعلنت إسرائيل أنها أنشأت مستعمرة جديدة، عسكرية زراعية، على الساحل الشمالي المحتل من سيناء، قرب سنجة البردويل، وعلى بعد 70 كيلو متراً غربي السويس، كما أعلنت إنها أطلقت أسم موسى شاريت (رئيس وزراء إسرائيل السابق) على المزرعة التعاونية، التي أقامها الإسرائيليون قرب بانياس في الأراضي السورية المحتلة (1967/10/4).

وتناول الحوار في الأمم المتحدة موضوع القدس، ورفعت الوفود العربية والإسلامية عقيرتها تطالب بإلزام إسرائيل بعدم تغيير الأوضاع في بيت المقدس تنفيذا لقرار مجلس الأمن الأخير، فكان الجواب في إسرائيل أن استولت السلطات الإسرائيلية على الزاوية الفخرية التي تجاوز الحرم الشريف في القدس وتطل على

حائط المبكى وحولتها إلى مدرسة لتعليم الديانة اليهودية(1967/11/10) وهذه الزاوية تابعة لآل أبي السعود في القدس وهي مقر مفتي الشوافعة في فلسطين.

وفي محاولة ساخرة بالأمم المتحدة وقراراتها، أقام أحد المحامين اليهود دعوة أمام المحكمة الإسرائيلية العليا على مفتي القدس الشيخ سعد الدين العلمي يطالب فيها بإعادة الأرض التي كان هيكل سليمان يقوم عليها قديماً والتي يقوم عليها الآن مسجد الصخرة والمسجد الأقصى، كما يطالب باستبدال الحرس المسلمين بجنود يهود .. قضية ساخرة تحمل في ثناياها كثيراً من الجد والتصميم.

وبعد أن صدر قرار مجلس الأمن، عرفت إسرائيل مواضع أقدامها وتبينت مكانها في جميع فقراته، وتعاقبت تصريحات المسئولين الإسرائيليين وهم يخفون ابتهاجهم في عبارات متحفظة.

ففي اليوم الذي أعلن فيه مجلس الأمن قراره، أصدر إسرائيل جاليلي وزير الأنباء الإسرائيلي بياناً في تل ابيب قال فيه إن القرار يرتكز بشكل رئيسي على مبدأ الاتفاق المشترك بين إسرائيل والدول العربية .. وإنه يؤيد موقف إسرائيل في المحافظة على خطوط وقف إطلاق النار الحالية حتى تستبدل بها حدود آمنة متفق عليها .. وإن إسرائيل بالنسبة إلى القدس لا تنوي التخلي عن أي جزءٍ منها، وإنها لن تقسم مرة أخرى "..(1967/11/23).

وفي حديث صحفي للوزير الإسرائيلي ايبان، قال " إن إسرائيل ستكون مجنونة إذا انسحبت من الأراضي المحتلة قبل إيجاد تسوية سلمية دائمة .. وإن إسرائيل ترحب بقدوم الدكتور جونار يارنج ممثلاً للأمين العام للأمم المتحدة لبحث التسوية السمية في إطار قرارا مجلس الأمن (1967/11/24).

وفي اليوم نفسه، وصل إلى لندن الجنرال اسحق رابين رئيس أركان حرب الجيش الإسرائيلي للاشتراك في احتفالات الذكرى الخمسين لإنشاء الفيلق اليهودي، وصرح للصحفيين في المطار بأن إسرائيل ترحب بقرار مجلس الأمن بشأن إرسال مبعوث دولي إلى الشرق الأوسط للوصول إلى تسوية سلمية"..

وبعد أن عاد الوزير الإسرائيلي ايبان من اجتماعات مجلس الأمن إلى تل أبيب علق على قرار مجلس الأمن بقوله، بأنه يربط بين انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي العربية المحتلة وإحلال السلام وإقامة حدود آمنة ومتفق عليها ... وأن فشل جميع مشروعات القرارات التي طالبت بانسحاب إسرائيل دون ربط ذلك بموضوع السلام الدائم والحدود المتفق عليها يعتبر انتصاراً لإسرائيل " (1967/11/26).

وكانت إسرائيل على حق في هذا العناد المتشدد، فقد رأت أن الموقف الأمريكي ومعه الموقف السوفيتي يشجعان على العناد والتشدد..

بالنسبة إلى الموقف الأمريكي، فإن الولايات المتحدة، كان تعزيزها السياسي لإسرائيل في الأمم المتحدة، والتعزيز العسكري في ساحة المعركة .. ففي الوقت الذي كانت المداولات تدور في مجلس الأمن حول أزمة الشرق الأوسط، قررت واشنطن استئناف شحن الأسلحة إلى إسرائيل ومن بينها ستون طائرة من طراز سكاي هوك .. هذا بالإضافة إلى العون الاقتصادي والفني والمالي الذي لا ينقطع (1967/11/3).

أما بصدد الاتحاد السوفيتي فقد شغلت وكالة نوفوستي للأنباء السوفيتية بنشر مقال مطول عن أسباب الهزيمة العربية في حرب الأيام الستة فقالت " إن الأعمال التجسسية الإسرائيلية قد أدت بصورة كبيرة إلى نجاح العلميات الإسرائيلية

.. فإن دوائر الاستخبارات الإسرائيلية جمعت معلومات دقيقة عن عدد رجال القوات المسلحة المصرية وأماكن وجود جميع نقاط قيادة الأفواج والفرق والألوية والمطارات المصرية ...

وعرفوا ذبذبات جميع أجهزة الراديو التابعة لوحدات الجيش المصري ونجحوا في سرق سفرتها وحل رموزها .. وأن إسرائيل قد أذاعت، على تلك الذبذبات، أوامر كاذبة ضللت وحدات الجيش المصري مما أدى إلى الارتباك والفوضى في صفوفه .. وغير ذلك مما مكن القوات الإسرائيلية من إنزال ضربة مفاجئة بالمطارات المصرية ..وختمت نوفوستي مقالها بان وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية وضعت تحت تصرف إسرائيل كل معلوماتها عن الشرق الأوسط، فكان ذلك عاملاً بارزاً في انتصار إسرائيل."

ولقد كان هذا المقال السوفيتي غنياً بالمعلومات ولكنه لم يكشف النقاب عن السؤال الكبير .. ولماذا لم يقدم الاتحاد السوفيتي إلى الجمهورية العربية المتحدة كل المعلومات التي يملكها عن إسرائيل, وهو يملك معلومات خطيرة وأسراراً ذات أهمية قصوى في المعركة؟..

وإذا كان موقف الاتحاد السوفيتي كما عبرت عنه وكالة نوفوستي بصدد أسباب الهزيمة العربية، فإن الموقف بالنسبة لقرار مجلس الأمن يثير الكثير من الأسئلة .. فإن الاتحاد السوفيت أعرف الدول بهزال مجلس الأمن، وأعرفها بعناد إسرائيل، وأعرفها بمساندة أمريكا لإسرائيل وهذه جريدة ازفستيا تقول يوم صدور قرار مجلس الأمن : إن القرار ينص على انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي العربية وهذا ما جعل الاتحاد السوفيتي يصوت إلى جانب هذا القرار (1967/11/23).

وتابعت جريدة برافدا السوفيتية المنطق نفسه، فقد قالت : إن قبول قرار مجلس الأمن سيكون خطوة على طريق حل مشاكل الشرق الأوسط (1967/11/24).

ولكن ما لنا وللولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي .. ليس لنا أن نندد بأعدائنا، وأن لا نعتب على أصدقائنا .. والتنديد والعتاب يجب أن يكون علينا.. على ملوكنا ورؤسائنا ..على مؤتمر الخرطوم الذي لم يستمع إلى نصح الناصحين..

ولقد كنت في مؤتمر الخرطوم واحداً من أولئك الناصحين .

لقد قلت للملوك والرؤساء أنه لا جدوى من الأمم المتحدة..

لقد قلت لهم : إن الأمم المتحدة لن تعيد إليكم شبراً واحداً من الأرض العربية المحتلة..

لقد قلت لهم : إن طريق الحل السلمي غير موجود ولا جدوى من السير في طريق مسدود.

قلت لهم هذا وأكثر من هذا، وقاله غيري .. ولكنهم أرادوا أن يجربوا، أرادوا أن يتعلموا الجغرافيا بالرحيل في الأرض كما فعل الرحالة القدامى، بدلاً من أن يقرأوا ويتعلموا .. ويتعظوا ويعتبروا..

وانسحبت من مؤتمر الخرطوم، حين لم يسمعوا ويعوا، وأنا أردد قول الله تعالى :

"تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون".

صدق الله العظيم

عن عبد الناصر

في الثاني والعشرين من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) 1967، وفي السنة الأولى من النكبة ، أصدر مجلس الأمن قراره الشهير رقم 242 .

وفي صباح الثالث والعشرين أعلنت أني سأعقد مؤتمراً صحفياً في المساء، في مقر منظمة التحرير في حي الدقي في القاهرة .. لأحدد موقف الشعب الفلسطيني من ذلك القرار..

وعند الظهر، في اليوم نفسه، اتصل بي السيد محمد فائق وزير الإعلام في الجمهورية العربية المتحدة، تلفونياً ..

قال : سيادتك ستعقد مؤتمر صحفياً هذا المساء، أليس كذلك؟

قلت: نعم ..

قال : الإذاعة والتلفزيون ستكون تحت تصرف سيادتك .. ممكن أعرف ما هو الموضوع الذي ستتناوله في المؤتمر الصحفي ؟

قلت : سأحدد موقفنا من قرار مجلس الأمن الذي صدر الليلة الماضية..

قال : هل يمكن أن أرجوك أن تؤجل المؤتمر الصحفي إلى الغد؟.

قالت : وما هو السبب؟

قال : سيادة الرئيس سيخطب اليوم في مجلس الأمة . وطبيعي أنه سيتكلم عن القرار .. ويكون من المناسب التنسيق بين ما يقوله الرئيس وما ستقوله المنظمة ..

قلت : ما دام التأجيل ليوم واحد، فأنا لا أرى مانعاً .. وربما يكون مفيداً من ناحية إعلامية حتى لا يضيع مؤتمرنا في يوم خطاب الرئيس.

قال : أشكرك، ونحن سنعطي التعليمات لتغطية المؤتمر الصحفي بكامله .. وهل يمكن أن أعرف الموقف الذي ستعلنونه عن قرار مجلس الأمن، ولو بكلمة واحدة.؟

قلت : بكلمة واحدة .. موقفنا هو الرفض..

وانتهت المكالمة التليفونية، وأصدرنا بياناً بتأجيل المؤتمر إلى اليوم الثاني .. وفي المساء ذهبت إلى مجلس الأمة، وجلست في الشرفة، أنتظر قدوم الرئيس، وأنتظر خطابه.

كانت القاعة غاصة بالأعضاء، والدبلوماسيين والصحافيين والمصورين، فإن العالم العربي ومعه الدولي كان يريد أن يستمع إلى ما سيقوله الرئيس عبد الناصر عن حاضر النكبة ومستقبل المعركة .. وبالتحديد ما سيقوله عن قرار مجلس الأمن .. الذي صدر بالأمس، بعد ستة أشهر من الحوار والجدال في أروقة الأمم المتحدة، ودهاليزها العليا والسفلى..

وكان خطاب عبد الناصر، كعادته، شاملاً جامعاً، فقد تناول جوانب متعددة، الداخلية والعربية والدولية، كما تناول الأمور السياسية والعسكرية والاقتصادية، مع نظرة إلى الماضي والحاضر والمستقبل.

وكان طبيعياً أن يكون الخطاب بهذا الشمول ، فقد كان المواطن العربي في مصر وفي الوطن العربي في مصر وفي الوطن العربي كله يتساءل ويتساءل .. ويكاد أن ينام وعلى وسادته مئة سؤال وسؤال.

كانت الجماهير العربية ، آنذاك ، تئن تحت وطأة الهزيمة العسكرية ، ولا تعرف أسبابها وأصحابها .. فأجهزة الإعلام العربية الرسمية قد جعلت من قادة العرب آلهة النصر والتحرير قبل النكبة .. وألبستهم رداء من الحصانة والعصمة بعد النكبة .. كالقمصان الفولاذية التي يلبسها العظماء وقاية من الرصاص والقنابل..

وكانت الجماهير العربية ، آنذاك ، تعيش في حمى الحرب ... فقد وعدتهم أجهزة الإعلام العربية الرسمية بالنصر القريب ، بضعة أسابيع أو بضعة أشهر وتنهال الأسلحة السوفيتية على الدول العربية ، وتبدأ المعركة .. ويكون النصر ...

وكانت المناوشات العسكرية قائمة دائمة بين القوات العربية والإسرائيلية ، حتى أصبحت خطوط وقف إطلاق النار .. خطوط إطلاق النار ....

وبين عشية وضحاها ، تصاعدت المشاعر العربية إلى القمة ، ثم عادت وهبطت إلى القاع ...

تصاعدت يوم قذفت قوارب الطوربيد المصرية المدمرة الإسرائيلية (إيلات) فدمرتها وهوت بمن فيها إلى قاع البحر .. ثم عادت المشاعر العربية وهبطت يوم سلطت المدفعية الإسرائيلية قذائفها على المصانع المصرية في مدن القنال ، فأحرقتها وأنزلت بالصناعة المصرية خسائر فادحة ... وحملت السلطات

المصرية على تهجير السكان في منطقة القنال ، وبلغوا نصف مليون جرى توزيعهم في مدن الدلتا وقراها .

وفي مصر بصورة خاصة، إنسابت حملة تشكيك كبرى في صفوف الجماهير ، تشكيك بالدولة ، بالجيش ، بالنظام وتشكيك حتى في المظاهرات الكبرى يومي 9 و 10 حزيران (يونيو) .. التي ناشدت الرئيس عبد الناصر العدول عن إستقالته .

كانت هذه هي الصورة العامة حين وقف الرئيس عبد الناصر في مجلس الأمة (23 نوفمبر – تشرين الثاني) يخاطب الشعب المصري ، والأمة العربية جمعاء .

وأشار في مطلع كلامه إلى القلق الذي يساور الناس ، والتمزق الذي أصاب الشباب والطلاب بعد الهزيمة ، مستشهداً بالهزائم التي وقعت لبريطانيا وفرنسا وأمريكا وروسيا في الحرب العالمية الثانية وكيف أن النتيجة (لم تكن نصراً لقوات ألمانيا النازية واليابان وهي التي حققت إنتصارات باهرة في أوائل الحرب .. وإنما كان النصر في النهاية للذين فوجئوا والذين تراجعوا ... والذين حلت بهم الهزيمة في المراحل الأولى من القتال) وكان الرئيس عبد الناصر يريد أن يشد من عزائم الجماهير ، وأن يرد على المشككين والمتسائلين .

وانتقل الرئيس عبد الناصر بعد ذلك إلى تقييم حالة الصفر التي وصلت إليها الجمهورية العربية المتحدة عسكرياً ، نتيجة الحرب الأيام الستة. فكشف عن الحقيقة عارية ... وباللهجة المصرية العامية، فقال : (بدي أقول لكم يوم 9 و 10 يوم الناس خرجت في الشوارع بالآلاف أو بالملايين مكنش عندنا دفاع عن الضفة الغربية لقنال السويس . كان العدو موجود في الضفة الشرقية للسويس ..

وكان الطريق ما بين السويس والقاهرة مفيش فيه ولا عسكري .. كان الطريق إلى القاهرة مفتوح بدون أدنى مقاومة ، نتيجة للشلل الكامل اللي حصل في قواتنا ... الحقائق المادية تقول بأننا خسرنا ما يقرب من ثمانين في المابة من معداتنا الحربية في معارك الأيام الستة .. كما أن قواتنا كانت بتأثير الصدمة مبعثرة وشبه تائهة ، وكان معنى ذلك أننا غير قادرين لا على الهجوم ولا على الدفاع ... نحن فقدنا عشرة آلاف جندي ، وألف وخمسماية ضابط ، غير الأسرى خمسة آلاف جندي أسير و500 ضابط أسرى) .

وقد تفرست في وجوه أعضاء مجلس الأمة، وهم يستمعون إلى هذه الحقائق المروعة، التي أضاف إليها الرئيس عبد الناصر قوله : (بعد يوم 8 يونيو كنا مكشوفين أمام العدو، جبهة القتال مكشوفة ، والمدن أيضاً مكشوفة، مكنش عندنا خط دفاع غرب القناة) وكان كثيرون من الحاضرين يستمعون في ذهول وهم لا يكادون يصدقون أن مصر قد فقدت قوتها العسكرية إلى هذا الوضع الرهيب .

والواقع أن الرئيس عبد الناصر لم يكن يسرد الوقائع للمعرفة فحسب، ولكنه كان كمن يترافع أمام الشعب المصري والأمة العربية مرافعة الدفاع .. الدفاع في وجه التشكيك والاتهام .

ورفع الرئيس عبد الناصر صوته ورأسه ويديه، كما يفعل المحامي وهو يترافع، وقال : (أنا شفت عدد من الشباب متمزق .. مش قادر .. مش قادر يحتمل الصورة .. إن إسرائيل موجودة، وإزاي تقدمت للضفة الشرقية للقناة .. هناك قلق عند الجماهير نتيجة لما حدث .. وإزاي حنخلص من إسرائيل ..) .

وفي سياق هذا الدفاع، راح الرئيس عبد الناصر يتحدث عن الأوضاع الداخلية التي كانت تسود البلاد قبل النكسة، وأشار إلى نشوء مراكز القوة في الجيش، وقيام دولة المخابرات .. وكما يفعل المحامي، أنتقل الرئيس عبد الناصر إلى نقطة أخرى في الدفاع، وصاح بأعلى صوته قائلاً : (طبعاً وأنا بتكلم النهارده هذا الكلام حيتساءل ناس ... وممكن أنتم تتساءلوا وتقولوا: طيب يا جمال عبد الناصر إزاي سبت الأوضاع بهذا الشكل في النكسة ؟).

ولقد كان الرئيس عبد الناصر صادقاً في طرح هذا السؤال الجريء .. في طرح هذا الاتهام .. عبد الناصر يوجه الاتهام إلى عبد الناصر ... فلقد كانت القاهرة تطرح هذا السؤال همساً، في المقاهي والنوادي والبيوت والجامعات والمساجد. فلم يكن أحد يجرؤ على طرح هذا السؤال لا في مجلس الأمة ولا خارج مجلس الأمة، إلا جريئاً واحداً، طرحه في مجلس الأمة وهو الرئيس عبد الناصر نفسه.

وخل مجلس الأمة لهذا السؤال الجريء وألقى بسمعه ، وهو لا يملك إلا حرية السماع ، فأجاب الرئيس قائلاً : (فيه ناس في البلد متصورة أن جمال عبد الناصر لما يقول شيء لازم ينفذ هذا الشيء بالحال، الناس ما تعرفش إيه المداخل وإيه اللي بيجري في الكواليس ..) .

ومضى الرئيس عبد الناصر في شرح موضوع مراكز القوة في مصر والجهود التي بذلت لتصحيح مساوئها ... ولم يقف طويلاً عند هذه النقطة، ذلك أن مجلس الأمة بنشوئه وتكوينه ليس فيه من يحاسب أو يراقب أو يطالب .. وأن الذي يتولى عنهم شرف الحساب ، هو رئيس الدولة ، يحاسب نفسه بنفسه .

وبعد أن أستعرض الرئيس عبد الناصر كثيراً من الأمور الداخلية أنتقل إلى الكلام عن العمل العربي، ومرة ثانية وقف الرئيس عبد الناصر يترافع عن الرئيس عبد الناصر، وكان موضوع المرافعة مؤتمر الخرطوم وقرار مجلس الأمن .

والرئيس عبد الناصر ، كان واحداً من الحكام القلائل في العالم الذين يحرصون كل صباح على قراءة التقارير ، من المخابرات ، من المباحث ، من السفارات .. وكان الرئيس عبد الناصر يقرأ أول ما يقرأ تقرير (ما يقوله الناس) .

وكان ما يقوله الناس في تلك الفترة أن مؤتمر الخرطوم كان فاشلاً، وأن الملك فيصل هو الذي خرج منه منتصراً، وأن الرئيس اليمني المشير عبد الله السلال كان واحداً من ضحايا المؤتمر ... لم يكد يخرج من الخرطوم حتى أعلن (خلعه) وهو مسافر خارج البلاد، بعيداً عن صنعاء (1967/11/5)، وأن (خلعه) كان جزءاً من الاتفاق بين الملك فيصل والرئيس عبد الناصر ... كان ذلك ما يقوله الناس في القاهرة .. صدقاً أو كذباً ...

وكان ما يقوله الناس أيضاً، أن قرار مجلس الأمن فيه إذلال كبير لمصر، لأنه يسمح لإسرائيل بالملاحة في خليج العقبة بعد إغلاقه، وفي قناة السويس بعد أن منعت منه منذ قامت .. و ... و .. مما كان يجري على ألسنة الناس في نكات وقفشات، أشد إيلاماً من الكلام الصارم الجاد .

وتناول الرئيس عبد الناصر هذين الموضوعين مبتدئاً بمؤتمر الخرطوم فقال : (في الخرطوم استطعنا بالاتفاق مع الملك فيصل أن تتفق على موضوع اليمن .. وكان هدفنا في هذا أن أحنا نحقق المبادئ ولم تكن تعنيناً الأشخاص

..(والإشارة إلى الانقلاب على المشير عبد الله السلال) – إحنا ذهبنا إلى اليمن لكي ننصر المبادئ لا ننصر الأشخاص .. الآن هناك فيه جمهورية في صنعاء بدون قوات مصرية في صنعاء ..) .

ثم انتقل الرئيس عبد الناصر بعد ذلك إلى معالجة الموقف السياسي في مجلس الأمن .. ووضح تماماً أنه كان يتابع المناقشات الدولية بكل دقة واهتمام، وراح يتكلم بشيء من التفصيل فأستعرض مختلف المشروعات التي عرضت على مجلس الأمن .. الآسيوي، والأفريقي، والدانمركي، والأمريكي والسوفيتي، وأخيراً البريطاني .

وأتجه أعضاء مجلس الأمة ، ومعهم الصحفيون ، ومع هؤلاء جميعاً نحن الجالسين في شرفة الزوار، لنسمع ماذا سيقول الرئيس عبد الناصر بشأن القرار البريطاني ... هل يعلن قبوله ويفجع الأمة العربية في أعز ما لها وأقدس أهدافها .. أم يرفضه ويدمغ الدبلوماسية العربية بالتهمة القديمة ، أنها ترفض على الدوام، ثم تعود إلى القبول، وتنشده وتلهث وراءه ..

كان الموقف دقيقاً وحرجاً ... وأكبّ الرئيس عبد الناصر بعينيه على أوراقه، لا يرفعهما، حتى يقرأ كل كلمة أمامه، فلا تفوته كلمة في مكانها، فقال : (مع أن التفسيرات التي أعطيت للقرار البريطاني تحقق بعض الوضوح .. فإن القرار البريطاني يبقى في رأينا غير كاف .. وماذا نفعل بقرار مجلس الأمن ؟ فيما يتعلق بنا نحن ندرسه ونتشاور بشأنه مع أصدقائنا، وهناك نقتطان محدودتان بالنسبة لنا ليستا موضع جدال، ولا يمكن أن نقبل فيهما أي أخذ وعطاء .. والأولى هي الانسحاب الكامل من كل الأراضي العربية من كل شبر من الأراضي العربية التي جرى احتلالها في معارك يونيو سواء في الجمهورية العربية المتحدة، أو

المملكة الأردنية الهاشمية أو الجمهورية العربية السورية . والنقطة الثانية: أننا لن نسمح لإسرائيل مهما كان الثمن ومهما كانت التكاليف أن تمر في قناة السويس ان المرور في قناة السويس جزءاً لا يتجزأ من قضية فلسطين الأصلية ، وهو ليس جزءِ من قضية إزالة آثار العدوان .. وبعد هاتين النقطتين .. فنحن على التزام بالخطوط الأربعة التي حددها مؤتمر القمة العربي في الخرطوم .. لا اعتراف بإسرائيل، لا صلح معها، ولا مفاوضة، ولا تصرف بالقضية الفلسطينية لأنها ملك شعب فلسطين .."

وصفق أعضاء مجلس الأمة طويلاً لهذا الموقف، فقد فهموه رفضاً لقرار مجلس الأمن، وكانوا على حق، فقد كبله الرئيس عبد الناصر بمائة شرط وشرط، وكل واحد منها يكفي لرفضه ..

وتوكيداً لهذا المعنى فإن الرئيس عبد الناصر عاد إلى مخاطبة الأمة العربية في موقع النضال فقال .." إن كل الصياغات قابلة للانصهار أمام حرارة النيران .. وأن ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة..".

وفي سياق الحديث عن النضال، والاستعداد للمعركة، رمى الرئيس عبد الناصر جمرة من جمراته على حزب البعث في سوريا، فقال : " ولكننا لسنا على استعداد لأن نتلقى دروساً من الذين يتحدثون علن الحرب الفورية وهم لم يحاربوا وهم لا ينوون أن يحاربوا .." وصفق مجلس الأمة لهذه الإشارة البارعة، كما صفق الزوار في شرفاتهم .. وكانوا آخر من توقف عن التصفيق...

وفي ختام خطابه تناول الرئيس عبد الناصر مسألتين هامتين، وكان مقرراً للزمن أن يُلقي بهما في زوايا النسيان...

المسألة الأولى : تحدث عنها بقوله : " نحن نعتقد أن تطورات الحوادث الآن تقتضي التفكير في عقد اجتماع عربي على مستوى القمة .. وأن تكون قضية إزالة آثار العدوان النقطة الأولى في جدول أعمال المؤتمر المقترح .." وقد تلكأ حكام العرب وتثاقلوا فلم ينعقد هذا الاجتماع إلا بعد عام ونصف، في الرباط ،وانسحب منه الرئيس عبد الناصر ..ومرت بعد ذلك أعوام وأعوام لم ينعقد بعدها اجتماع القمة لأن الملك فيصل أعلن أن القمة يجب أن تسبقها دراسات وافية .. ولم تكف هذه الأعوام الستة لإعداد الدراسات !!

والمسألة الثانية : تحدث عنها الرئيس عبد الناصر بقوله: " نحن نعتقد أن نظاماً عربياً جديداً يمكن أن يولد، ليعطي العالم العربي دفعة كبيرة في عصر التجمعات الاقتصادية في هذا العصر .. إن الدول العربية لا تستطيع أن تحقق أهداف نموها بالسرعة الواجبة، وكل منها على انفراد، وفي عزلة عن الباقين.."

وكان من السهل أن يتفرس المرء على وجوه أعضاء مجلس الأمة عدم المبالاة لهذين الاقتراحين .. لأنهما غير جديرين بالاهتمام .. بل لأنهم على يقين أن الحكم العربي في مجموعه ليس على مستوى المسئولية بل أنه لا بد من زواله، لتزول آثار العدوان..

ومن أجل ذلك، فقد كان خير ما في خطاب الرئيس في ذلك اليوم قوله : " إن النكسات عوارض طارئة في حياة الشعوب لكن الشعوب دائماً أقوى من النكسات ... وأن هذه الأمة العربية، وشعبنا بين شعوبها قادرة .. وهي أقوى من كل العوارض الطارئة ولها النصر عزيزاً حاسماً أكيدا بإذن الله وعونه .. وفقكم الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته".

انتهى الرئيس عبد الناصر من خطابه وانفض اجتماعه من مجلس الأمة وخرجنا إلى ساحة المجلس في انتظار سياراتنا، وكان الأعضاء والوزراء وقادة الجيش تطفح وجوههم بشراً وهم يثنون على الرئيس لخطابه الجامع، وأنه رفض قرار مجلس الأمن بعبارات حازمة دون أن يستخدم كلمة لا ..

وأجمعت وكالات الأنباء أن خطاب الرئيس عبد الناصر قد وضع النقاط على الحروف، وأنه لم يقبل قرار مجلس الأمن، ولكنه ترك الباب مفتوحاً أمام تسوية " سياسية شريفة وعادلة..".

ولكن الاتحاد السوفيتي لم يكن مستريحاً إلى كثير من النواحي القوية في خطاب الرئيس عبد الناصر فقد خرج السفير السوفيتي من شرفة الدبلوماسيين، وليست على وجهه بوادر الانشراح والارتياح..وقد انعكس ذلك بصورة واضحة في اليوم التالي، فقد نشرت جريدة ازفستيا السوفيتية، تلخيصاً عادياً لخطاب الرئيس عبد الناصر مبرزة الجوانب اللينة في الخطاب، وحذفت عبارة " ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة " وهي العبارة التي صفقت لها الأمة العربية بأسرها واعتبرتها قمة الخطاب، والعلامة الأكيدة على طريق النضال.

وأعلن الأمين العام للأمم المتحدة السيد يوثانت، تعيين الدكتور جونار يارنج مبعوثاً دولياً خاصاً يقوم بالسعي لإيجاد تسوية سلمية في الشرق الأوسط طبقاً لقرار مجلس الأمن .. وبعث السيد يوثانت بمذكرات إلى حكومات الأردن ولبنان وسوريا والجمهورية العربية المتحدة وإسرائيل يعرب فيها عن " أمله الحار وثقته في أن يلقى يارنج التعاون التام وجميع التسهيلات اللازمة لتنفيذ المهمة البالغة الأهمية الموكولة إليه تنفيذاً فعالاً ..".

وتطلعت الجماهير العربية إلى الدول العربية لتتعرف على رأيها بالنسبة لقرار مجلس الأمن .. فكان كالعهد به موقفاً ممزقاً .. تائهاً ..

في سوريا، أعلن ناطق رسمي رفض قرار مجلس الأمن " إنه تكريس دولي خطير لمبدأ حل المسائل بالقوة المسلحة ... ومساومة مكشوفة على القضية الفلسطينية" (1967/11/23). وهذا الكلام صادق لو كان يرافقه عمل صادق.

وفي الجزائر، أعلنت وكالة الصحافة الجزائرية أن قرار مجلس الأمن أبعد ما يكون عن الإسهام بطريقة بناءة وفعالة في حل أزمة الشرق الأوسط ..وأن الجزائر كانت وما تزال تدعو باستمرار إلى الكفاح المسلح ضد إسرائيل وأن البحث عن حل سياسي سيؤدي حتماً الاعتراف بإسرائيل (1967/11/23).

وفي الأردن، أعلن السيد بهجت التلهوني رئيس وزراء الأردن أن موقف الأردن ينسجم ويتفق مع موقف الدول العربية الشقيقة (1967/11/23).

أما بقية الدول العربية العشر، فقد انضمت إلى أهل الكهف، سكتوا كما سكتوا . إلا الملك الحسن الثاني فقد بعث برسائل إلى ملوك ورؤساء الدول العربية (1967/11/24) يوافق فيها على عقد مؤتمر القمة ويقترح عقده في المغرب، وتلك إحدى هوايات الملك الحسن الثاني، استضافة مؤتمرات القمة في الرباط، لينسي الشعب المغربي مصائبه الكثيرة، ولو لبضعة أيام قليلة.

وحان موعد المؤتمر الصحفي الذي دعوت إليه وازدحم بالصحفيين الأجانب قبل العرب . وألقيت بياناً مكتوباً أعلنت فيه :" رفض منظمة التحرر الممثلة للشعب الفلسطيني قرار مجلس الأمن جملة وتفصيلاً"، وأوردت الأسباب القومية والسياسية والقانونية والدولية التي تفرض رفض قرار مجلس الأمن كما

شرحتها في الفصل السابق .. وانفتح باب النقاش، والسؤال والجواب، كالمطر المنهمر .. فقد كنا وإياهم على استعداد كامل .. هم صحافيون بارعون .. وأنا عشت القضية كل عمري.

سألوا : لقد أجلت مؤتمرك الصحفي من الأمس إلى اليوم فهل هذا بناء على اتفاق بينك وبين الرئيس عبد الناصر؟

قلت : التأجيل كان لمصلحة إعلامية .. لا أريد أن يكون خطابه ومؤتمري الصحفي في يوم واحد..

سألوا : هل أنت موافق على كل ما قاله الرئيس عبد الناصر في خطابه بالنسبة لقرار مجلس الأمن..

قلت : أنا أتفق معه بالموضوع لا بالأسلوب. أعتقد أن موقفه هو رفض قرارا مجلس الأمن، وكنت أفضل أن يكون رفضاً واضحاً وقاطعاً، فليست للأمم المتحدة قيمة تستحق معها غير هذا الأسلوب.

سألوا : وهل قرار مجلس الأمن يتفق مع قرارات مؤتمر الخرطوم؟

قلت : أبداً .. قرار مجلس الأمن يصفي القضية الفلسطينية .. واللاآت الأربع قي قرارات الخرطوم تتعارض معارضة أساسية مع قرارا مجلس الأمن .. وانتم تذكرون أن واللاآت الأربع هي صياغة منظمة التحرير الفلسطينية...

سألوا : وهل إذا قبل الرئيس عبد الناصر قرار مجلس الأمن يكون قد خالف اللاآت الأربع التي وافق عليها مؤتمر الخرطوم .

قلت : نعم، وبكل تأكيد .. ولكني أعتقد أن الرئيس عبد الناصر يرفض قرار مجلس الأمن، حتى بدون مؤتمر الخرطوم.

سألوا : وكيف توفقون بين موقفكم وموقف الرئيس عبد الناصر في حالة قبوله لقرار مجلس الأمن؟

قلت : هذه مسألة داخلية ليس للصحافة علاقة فيها.

سألوا : وهل تقول على لسانك إنه إذا وافق عبد الناصر على قرار مجلس الأمن يكون قد خالف مؤتمر القمة.

قلت : نعم وبكل تأكيد ..وبكل تأكيد سيظل الرئيس عبد الناصر يرفض قرار مجلس الأمن.

سألوا :وفي هذه الحالة ألا يقع انشقاق بينكم وبين الرئيس عبد الناصر.

قلت : قد يقع بيننا اختلاف في الاجتهاد، ولكن أرجو أن لا يقع بيننا انشقاق.

سألوا : لقد اقترح الرئيس عبد الناصر، عقد مؤتمر عربي خامس .. فهل ستحضرونه بعد أن انسحبتم من مؤتمر الخرطوم.

قلت : سأعرض على المنظمة اقتراحاً بأن لا نحضر اجتماعات عربية رسمية بعد اليوم .. نحن لا نعتقد بجدواها . وسنقيم علاقات ثنائية مع الحكومات العربية واحدة، واحدة.

سألوا : يقال إن الملك فيصل والملك حسين والرئيس بورقيبة قد ألحوا على الرئيس عبد الناصر إزاحتك من رئاسة منظمة التحرير الفلسطينية.

قلت :هذه مسألة تتعلق بي وبالشعب الفلسطيني. ولا شأن للملوك والرؤساء فيمن يتولى رئاسة منظمة التحرير .

سألوا : وهل توافق على إجراء تسوية سلمية ..

قلت : تسوية سلمية لتحرير فلسطين .. نحن موافقون عليها.

سألوا : وهل صحيح أنك أدليت بتصريح صحفي في عمان قبل حرب حزيران (يونيو) دعوت فيه إلى إلقاء اليهود بالبحر.

قلت : هذا غير صحيح إطلاقاً .. أجهزة الإعلام الصهيونية هي التي زورت هذا الكلام على لساني.

قالوا : ولماذا لم تكذبه ..

قلت : أسالوا أنفسكم.. لقد كذبته في حينه، كذبته في مؤتمرات صحفية كثيرة فلم تنشره صحفكم .. الإذاعة الفرنسية وحدها هي التي نشرت التكذيب.

ولم تكن شكواي من الصحافة الأجنبية كبيرة بذاتها، ففي اليوم الثاني بلوت المشكلة نفسها مع صحافة القاهرة.. ذلك صحف الأهرام والأخبار والجمهورية لم تنشر عن المؤتمر الصحفي إلا سطراً أو سطرين .." عقد رئيس منظمة التحرير الفلسطينية مؤتمراً صحفياً حدد موقفه من قرار مجلس الأمن .." وانتهى.

وقد غاظني هذا الموقف كثيراً، وخصوصاً بعد الوعد الذي قطعه السيد محمد فائق وزير الإعلام المصري، واتصلت به.

وسألت : لد كنت أتوقع، كما وعدت سيادتك أن تنشر الصحف والإذاعة وقائع مؤتمرنا الصحفي على أوسع نطاق ممكن .. فما الذي جرى؟..

قال :والله .. زحمة المواد هي السبب .. ردود الفعل على خطاب السيد الرئيس أشغلت الصحف والإذاعة .. غداً إن شاء الله سأصدر التعليمات لنشر المؤتمر الصحفي بالكامل.

قلت : أرجو على الأقل اهتمامك في موضوع إلقاء اليهود البحر لأنه ما يزال يشغل الرأي العام الدولي.

قال : وأنا مهتم بهذا الموضوع بالذات .. لا يكون لك فكر .. غداً ستقرأ كل شيء .

وغدا قرأت كل شيء ... ولكني ما قرأت أي شيء لا عن قرار مجلس الأمن ولا عن موضوع إلقاء اليهود في البحر .. مع إن صحافة القاهرة في ذلك اليوم كانت مكتظة بأخبار كرة القدم بين النادي الأهلي والزمالك!!

ولم أجد أمامي إلا بيروت ، فلم تكن صحافة القاهرة تملك إلا حرية واحدة، حرية الرقابة على الحرية .. فطلبت إلى أحد موظفي مكتب المنظمة في القاهرة أن يطير إلى بيروت، ومعه محاضر المؤتمر الصحفي ليذيعها من هناك، وكذلك كان،فقد أذيعت ونشرت من بيروت .

أما حكاية " إلقاء اليهود في البحر "، فقد أشارت أليها صحف بيروت، وامتنعت عن نشرها وكالات الأنباء الأجنبية، وهي حكاية أشبه بحكاية إبريق الزيت عند العوام ..وللعوام أقاصيص مملوءة بالحكمة البالغة، والتسلية والعزاء ..

وفي الصفحات التالية سأقص حكايتي مع الصهيونية العالمية، بشأن إلقاء اليهود بالبحر..

"إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار"

صدق الله العظيم

إلقاء اليهود في البحر..
وإلقاء العرب في الصحراء

إلقاء اليهود في البحر ... شعار صنعه اليهود ..وصنعوا معه كلاماً آخر، أن العرب قد صنعوه ..

وهو شعار قديم لعل عمره أربعون عاماً أو يزيد، ولكنه يتجدد مع الزمان، في المناسبات العامة والمواسم السياسية.

وخلال هذه الحقبة الطويلة من الزمن، نزل هذا الشعار في كتب شتى، ولاكته ألسنة كثيرة، ورددته إذاعات وتصريحات، وخاض فيه صحافيون، ووزراء، ورؤساء، وشق طريقه إلى منابر الأمم المتحدة ومحاضرها.

وقد استهدف هذا الشعار التشهير بالشعب الفلسطيني، أول الأمر،ثم استهدف الأمة العربية بأسرها، بعد أن تطور النزاع اليهودي الفلسطيني إلى صراع إسرائيلي عربي..

وهكذا أصبح لهذا الشعار تاريخ، له بداية، وما أظن أنه ستكون له نهاية، إلا بزوال إسرائيل الدولة، وانتهاء الصهيونية كعقيدة وحركة وتنظيم .. ويومئذ سيستريح العالم الدولي من هذا الشعار وأصحاب الشعار.

وقد استهدف هذا الشعار، التشهير، بأشخاص غير قليلين في الأمة العربية .. ولكني أحسب أن الشقيري قد أصابه أعظم " طوفان " من هذا التشهير... وظلت هذه الحملة تلاحقه حتى بعد أن تخلى عن النشاط السياسي العام، وانصرف إلى كتابة المذكرات.

والواقع أن إسرائيل ما فتئت تُذكر العالم في كل مناسبة أن " الشقيري" قد صرح بأنه كان يريد إلقاء اليهود في البحر ..وكثيراً ما كنت أستمع لإذاعة إسرائيل وهي تتحدث عن ذكرى " الاستقلال" وقيام دولة إسرائيل، وتحشر اسم " الشقيري " بأنه كان يريد أن يلقي اليهود في البحر.

ولست أعظم قادة العرب قدراً واقتداراً حتى تجعلني إسرائيل أعظم أهدافها، ولكن الموضوع كله له قصة طويلة، أرى من واجبي أن أضعها أمام المواطن العربي، لا دفاعاً عن نفسي ولا دفاعاً عن غيري ممن شملهم هذا الشعار، ولكن الأمر يكشف عن حقيقة العدو وخططه ووسائله .. ومن هنا أصبح موضوع إلقاء اليهود في البحر قضية عامة يجب أن تحلل وتدرس، على اعتبار أنها جزء من معركتنا الكبرى مع إسرائيل والصهيونية والاستعمار العالمي...

وقد يظن المواطن العربي، أن " الشقيري" هو أول من نسب إليه شعار إلقاء اليهود في البحر .. ولكن من " الإنصاف " أن نستعرض مسيرة هذا الشعار من بداية الرحلة، لنتعرف على " أشخاص " الهدف واحدا بعد واحد...

كان الحاج أمين الحسيني رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في فلسطين أول شخص قذف عليه اليهود في فلسطين شعار إلقاء اليهود في البحر ... وكان ذلك في أوائل الثلاثينات . ولذلك قصة هي جزء من النضال الفلسطيني.

في صيف 1929 اعتدى اليهود على حرمات حائط البراق الشريف " المبكى"، وهو الجدار الغربي للحرم القدسي، وثارت ثائرة المسلمين، ووقع هياج كبير في فلسطين، وحدثت اشتباكات بين العرب واليهود سقط نتيجتها عدد من القتلى والجرحى.

وتألفت لجنة دولية للتحقيق في دعاوى اليهود بالنسبة إلى " حقوقهم " في حائط المبكى .. واحتشد في بيت المقدس عدد وافر من قادة العرب والمسلمين للدفاع عن هذا الأثر الإسلامي، بينهم محمد علي علوبة والشيخ التفتازاني وأحمد زكي باشا من مصر، ومزاحم الباجة جي من العراق، وانضم إليهم عدد من محامي فلسطين يتقدمهم عوني عبد الهادي، وكنت محامياً تحت التمرين في مكتبه ..ومن هنا بدأت صلتي بالموضوع من أوله.

وبعد مرافعات طويلة من الجانبين الإسلامي واليهودي حكمت اللجنة الدولية بملكية المسلمين لحائط البراق وأن حق اليهود إلا يتعدى الزيارة والعبادة بهدوء. وكان للحاج أمين الحسيني بوصفه رئيساً للمجلس الإسلامي الأعلى جهود كبير في تعبئة الشعور الديني في فلسطين وسائر أرجاء العالم الإسلامي.

ثم تألفت بعد ذلك لجنة تحقيق بريطانية، " لجنة شو " للبحث في الجوانب السياسية في النزاع العربي اليهودي .. واستمعت اللجنة إلى إفادات قادة الفلسطينيين وزعماء الوكالة اليهودية في فلسطين ..وأدلى الحاج أمين الحسيني بياناً مستفيضاً عن القضية الفلسطينية، وناقشه أعضاء اللجنة، ومحامو اليهود مناقشة تفصيلية على طريقة المرافعات القضائية، بالسؤال والجواب ..

وقد لخص الحاج أمين الحسيني مطالب الشعب الفلسطيني بإقامة دولة عربية في فلسطين، وبدأت مناقشة الحاج أمين الحسيني كما يلي:

سؤال : وما هو موقع الطائفة اليهودية في هذه الدولة العربية؟

جواب : نحن مستعدون أن نضع في دستور الدولة الضمانات الكافية لحماية حقوق الأقليات.

سؤال : والهجرة اليهودية، ما موقفكم منها؟

جواب : نحن نعارض الهجرة اليهودية .. نعتبرها غير مشروعة .. ولا حق لدولة الانتداب أن توافق على هجرة اليهود إلى فلسطين .. نحن أصحاب البلاد الشرعيين ..كل هجرة أجنبية يجب أن تكون بموافقة أصحاب البلاد، كما هو الحال في جميع بلاد الدنيا...

سؤال : وهل تعتبرون يهود فلسطين سكاناً غير شرعيين؟

جواب : عند الاحتلال البريطاني في 1918 كان عدد اليهود في فلسطين ستين آلفاً .. هؤلاء هم مواطنون فلسطينيون، لهم ما لنا وعليهم ما علينا.

سؤال : والآخرون .. ويتجاوزون الآن مائتي آلف..

جواب : هؤلاء ليسوا مواطنين شرعيين .. لقد دخلوا البلاد بغير حق ..من غير إرادة الشعب الفلسطيني.

سؤال : وماذا تفعلون بهم .. ما هو مصيرهم؟

جواب : يعودون إلى بلادهم .. إلى أوطانهم الأولى ... فلسطين ليست وطنهم .. إنها وطن الشعب الفلسطيني، المسلمين والمسيحيين، واليهود الفلسطينيين.

وسأل محامي الوكالة اليهودية : وهل تريد يا سماحة المفتي إلقاء اليهود بالبحر؟..

فأجاب الحاج أمين الحسيني : نحن لا نريد إلقاء اليهود في البحر.. بلادنا لنا، واليهود المهاجرون يعودون إلى بلادهم .

وانتهت الجلسة .. وبدأت الحملة الكبرى على الحاج أمين الحسيني ..وأعلن زعماء الوكالة اليهودية أن الحاج أمين الحسيني يريد إلقاء اليهود في البحر ..وانطلقت وكالات الأنباء تنقل إلى صحف العالم هذا النبأ الخطير والشر المستطير ...

وبعد " لجنة شو " جاءت إلى فلسطين لجان بريطانية متعددة، وأمام كل لجنة ، كان اليهود يكررون أن غرب فلسطين يريدون أن يلقوا باليهود في البحر .. وأن زعيمهم الحاج أمين الحسيني قد أعلن ذلك في يوم كذا في شهر كذا من عام كذا .. إلى آخر حبل الكذب والتزوير.

وتوالت الأحداث، وانتقلت قضية فلسطين إلى الأمم المتحدة في عام 1947، وقضى الأمر بإنشاء " دولة إسرائيل " وتشريد الشعب الفلسطيني، وإلحاق الضفة الغربية بالمملكة الأردنية الهاشمية .. وانتهى الوجود الرسمي الكياني للشعب الفلسطيني.

ولما وقعت حرب فلسطين في عام 1948، انطلقت الدعاية الصهيونية مرة أخرى تشهر بالدول العربية وتتهمهما بأنه تستهدف إلقاء اليهود في البحر .. وفي كتاب " أيتها القدس "– صفحة 393– ذكر المؤلفان كولنز ولامبر أن " وزارة الخارجية المصرية كانت تنادي بإلقاء اليهود في البحر .. وأن الجيش السوري قد أعلن عهده بإلقاء اليهود في البحر "...

وانتهت حرب فلسطين، ووقعت فترة فراغ في القضية الفلسطينية على الصعيد الشعبي ابتداء من 1948 حتى سنة 1964 .. فالهيئة العربية العليا التي

كان يرأسها الحاج أمين الحسيني فقدت وجودها في صفوف الشعب، وحكومة عموم فلسطين التي كان يرئسها أحمد حلمي باشا عبد الباقي وئدت يوم مولدها ..وأصبح الشعب الفلسطيني من غير قيادة .. تجمعات فلسطينية مشتتة في الوطن العربي تتطلع بشوق إلى قيام " كيان لفلسطين " يمثل إرادة الشعب الفلسطيني، ويقود نضاله لتحرير وطنه.

قد كان يمكن لهذا " الفراغ " أن يستمر زمناً طويلاً لولا المصادفة ..

وكانت هذه المصادفة أن انعقد مؤتمر القمة العربي الأول في القاهرة في الأسبوع الأول من عام 1964، وقرر الملوك والرؤساء إنشاء الكيان الفلسطيني تم ذلك كما شرحت بالتفصيل في مذكراتي السابقة.

وكان مجرد عودة " الشخصية الفلسطينية " إلى ميدان النشاط العام مفاجأة لإسرائيل ..وازداد قلقها ومعها الولايات المتحدة أن الشعب المهاجر اللاجئ الذي ظن " فوستر دالاس " وزير الخارجية الأمريكية أنه سيفنى بفناء أجياله الكبيرة، وتنتهي بانتهائهم القضية الفلسطينية .. إن هذا الشعب قد عادت إليه حياته وهويته، وأصبح له في خلال عامين منظمة تحرير، لها جيش، وصندوق قومي، ومكاتب، ومركز أبحاث، وإذاعة، وصحيفة،وعلاقات دولية .. وكل ذلك من العدم، من الصفر.

ومن هنا بدأ العداء الضاري لمنظمة التحرير، من جانب إسرائيل ومن الولايات المتحدة .. وقد ظهر ذلك في تصريحات زعماء إسرائيل، وفي تصريحات دين راسك وزير خارجية الولايات المتحدة.

وبدأت ملامح التشهير تظهر في إذاعات إسرائيل وصحفه، ومعها وسائل الإعلام الصهيونية ... وبدأ الكلام عن منظمة الشقيري .. جيش الشقيري ..

إذاعة الشقيري .. كل ذلك تمهيداً للتشهير " الشخصي" بالشقيري .. وقد غاب عنها أن الشقيري ليس هو القضية الفلسطينية وأن كل فلسطيني هو الشقيري وأحسن..

وكان الأمر الذي قام به " الشقيري " في نظر إسرائيل، خطيرا وخطيرا جداً ..كانت أحلام إسرائيل ومخططاتها تفترض أن الشعب الفلسطيني قد انتهى ، وانتهت معه قضية الوطن، وكفاحه النضالي .. وأن الشعب الفلسطيني أصبح مجموعات من اللاجئين ،تشردوا في الآفاق،وابتلعتهم ضرورات الحياة اليومية تحت كل سماء وكوكب .. أما الأرض فقد تقرر مصيرها، إسرائيل في الغرب، والمملكة الأردنية الهاشمية في الشرق .. " واستوت على الجودي " ولم يبق إلا بعض الوقت ، ويتم الصلح بين العرب وإسرائيل . هذا كان تصور إسرائيل وعلى أساسه كانت الخطة.

وخاب ظن إسرائيل، فإن قضية فلسطين أكبر من الشقيري ومن حكام العرب أجمعين، بل إنها أكبر من الشعب الفلسطيني بكل بسالاته وبطولاته، إنها قضية الأمة العربية بكل طاقاتها وقدراتها ..وبكل أجيالها .إذا كان مقدرا لهذه القضية أن تعيش مع الأجيال ..

وتلاحقت الأحداث العربية ، فانعقدت مؤتمرات القمة العربية الثلاثة، في القاهرة والإسكندرية والدار البيضاء .. وتوتر الموقف ربيع 1967، وأعلن الرئيس عبد الناصر سحب قوات الطوارئ الدولية وأغلق خليج العقبة.. وفي غمرة الموجة العارمة التي سادت الوطن العربي، جاء الملك حسين إلى القاهرة والتقى مع الرئيس عبد الناصر وتم توقيع اتفاقية الدفاع المشترك .. وسافرت مع الملك حسين

إلى عمان وهو يقودني بطائرته، وأنا أحاول أن أقوده على درب النضال بكل صفاء وإخلاص.

وأترك بقية القصة، وقد شرحتها في الفصول السابقة، لأنتقل إلى مؤتمر صحفي عقدته في اليوم الثاني من حزيران (يونيو) في عمان .. قبل الحرب بثلاثة أيام .. وقد كانت هذه المناسبة فرصة جديدة لإسرائيل لإطلاق شعار إلقاء اليهود في البحر .. من جديد.

كان المؤتمر الصحفي غاصاً بالمراسلين الأجانب بالإضافة إلى الصحفيين العرب، وقد شرحت فيه الموقف العربي بالنسبة إلى القضية الفلسطينية، والمؤامرات الدولية التي أدت بالنهاية إلى تشريد الشعب الفلسطيني ..وأنا أقول أنقل الآن عن محضر المؤتمر الصحفي ما يتصل بالموضوع الذي نحن بصدده..

س – هل تعتقدون أن التوتر الحاضر سيؤدي إلى حرب بين الدول العربية وإسرائيل؟

ج– يبدو لي أن الحرب واقعة لا محالة، وأنه أصبح لا مفر منها.

س – وهل ستشترك منظمة التحرير الفلسطينية في هذه الحرب؟

ج – لقد وضع جيش التحرير الفلسطيني تحت إمرة الدول العربية ليحارب إلى جانبها .. بل إنه سيكون في الصفوف الأمامية في هذه المعركة..

س – وما هو هدفكم إذا ربحتم الحرب؟

ج – إن هدفنا هو تحرير وطننا من الاحتلال الإسرائيلي، شأننا في ذلك شأن جميع الحركات التحريرية في العالم، نناضل من أجل حريتنا الوطنية وسيادتنا القومية.

س – وما هو مصير الإسرائيليين، هل تقلونهم في البحر ؟

ج – لا نريد إلقاء اليهود بالبحر، هذه تهمة قديمة، أول ما زيفتها الصهيونية على القيادة الفلسطينية عام 1929، أثناء الثورة التي نشبت لمناسبة إحداث حائط البراق .. أما مصير الإسرائيليين فهو موضوع تقرره الأمم المتحدة باعتباره مشكلة دولية.

س – هل تفصل لنا هذا الرأي؟

ج – لقد سبق لي في عام 1957 أن تقدمت باقتراح إلى الأمم المتحدة دعوت فيه إلى إنشاء وكالة تعرف " بوكالة العودة " تعمل على تسهيل إعادة الإسرائيليين إلى مواطنهم الأولى ..وإنني أضيف الآن أن الدول العربية بوصفها أعضاء الأمم المتحدة مستعدة أن تساهم بنصيبها في ميزانية هذه الوكالة لتسهيل عودة الإسرائيليين.. إلى أوطانهم السابقة.

س – وهل معنى ذلك أنكم تريدون طرد اليهود من فلسطين؟

ج : ليس هذا صحيحاً، نحن ضد إسرائيل الدولة ولسنا ضد اليهود بهذه الصفة.. نحن نقاوم الصهيونية وجميع الصهيونيين سواء كانوا في فلسطين أو خارجها .. إن اليهود الفلسطينيين يستطيعون البقاء في فلسطين، وكذلك اليهود الذين جاءوا من البلاد العربية ..وليس لنا عليهم إلا شرط واحد وهو أن لا يكون لهم ولاء للصهيونية ولإسرائيل الدولة ...

س – واليهود باقون ؟

ج – يعودون كما جاؤوا، لقد جاؤوا بالبحر، وبالبحر يعودون، ونحن مستعدون أن نساهم مع الأمم المتحدة في تسهيل عودتهم إلى أوطانهم الأولى...".

ويقودني ما ورد في هذا المؤتمر الصحفي أن أعود إلى الماضي قليلاً .. فإنه في الموضوع نفسه ..

كان ذلك في اليوم الثاني من شهر تشرين الأول (أكتوبر)1957... ويومها ألقيت في الأمم المتحدة خطابا مطولاً تناولت فيه قضية فلسطين من جميع جوانبها .. وعرضت في جملة ما عرضت اقترحاً بأن تنشئ الأمم المتحدة هيئة تسمى " وكالة العودة " تكون مهمتها عودة الفلسطينيين إلى فلسطين، وعودة الإسرائيليين إلى أوطانهم الأولى، وقلت، بعد أن شرحت اختصاص هذه الوكالة الدولية، ما يلي بالنص: " وهكذا فأنه يتضح بأننا لا نريد إلقاء اليهود في البحر .ونحن نتمنى لهم حياة أسعد وأفضل في مواطنهم السابقة حيث يستطيعون أن يستقروا تحت أشراف الأمم المتحدة. واليهود، المواطنون الشرعيون في فلسطين، الذين يبقون في البلاد يستطيعون أن يشاركوا مع مواطنيهم المسلمين والمسيحيين في حياة جديدة من المودة والاستقرار، يطورون مستقبلهم السياسي وفق أفضل المنظمات الدستورية الديمقراطية.. من غير دولة يستطيع اليهود أن يزدهروا حيثما كانوا .. وفيما يتعلق بالعالم العربي، فإن خير ما أستطيع أن أقوله هو ما أعلنه أحد قادة الثورة الفرنسية في المجلس الوطني الفرنسي : " نحن لا نعطي شيئاً ليهود كشعب، ولليهود كأفراد، فأننا نعطي كل شيء ".. هذا ما نقوله اليوم وغداً.

وهذا الخطاب مسجل في محاضر الأمم المتحدة في الدورة الثانية عشرة .. وقد طبع في كراس خاص في نيويورك، والمقطع الذي أشرت أليه منشور في الصفحة الثانية عشرة .. لمن أراد أن يراجع ..

وعلى هذا فإن الذي أعلنته في المؤتمر الصحفي في عمان في حزيران 1967 أعلنته قبل عشر سنوات – 1957– على منبر الأمم المتحدة .. مع التوكيد " بأننا لا نريد إلقاء اليهود بالبحر".

وكان من سخرية القدر أن الذي أكد هذا التوكيد قد زورت عليه إسرائيل والصهيونية العالمية وأنصارها، أنه قال "إننا نريد إلقاء اليهود في البحر ".

وفي طرفة عين، انطلقت وكالات الأنباء العالمية تنقل الخبر الرهيب.. " الشقيري يعلن من عمان أن العرب يحاربون لإلقاء اليهود في البحر " .. واستمرت هذه الحملة بكل شراستها وضراوتها ودخلت حرب الأيام الستة ودخلت معها هذه الحملة .. على هامش الانتصارات في الجولان وسيناء . وفي قطاع غزة..

وفي القطاع بالذات ، حيث تكبد الجيش الإسرائيلي خسائر فادحة في غزة وخانيونس ورفح أمام بطولة شعبنا وجيشنا .. راح المراسلون الحربيون يكتبون إلى صحفهم عن تدمير " جيش الشقيري " مع هواية أخرى، وهي إطلاق الرصاص على الجدران التي كانت تحتوي " صور الشقيري ..

وانتهت الحرب .. ولكن الحملة على الشقيري بدأت من جديد .. فقد صنعت إسرائيل أفلاماً تسجيلية " وثائقية " عرضتها في كل أرجاء العالم، وفي كل لغات البشر . وقد عرضت في هذه الأفلام أحداث الحرب .. وغنائم الحرب ..وأسرى الحرب .. وكانت في هذه الأفلام، صورتي بالملابس العسكرية، أخطب في قطاع عزة، وفي القاهرة، وفي بيت المقدس، .. والمذيع الإسرائيلي يقول : " هذا هو الشقيري ... الذي أعلن أنه يريد إلقاء اليهود في البحر .."

وكانت هذه الأفلام مأخوذة عن صور حقيقية لي، وأنا أخطب في الاجتماعات العامة، وكانت المناسبة فيها حقيقية، ولكن ما لم يكن حقيقياً الكلام

الذي نسبوه إليَّ ..وإنيَّ للمواطن العادي أن يسأل نفسه وهو يرى هذه الأفلام،ماذا كنت أقول ، وماذا كنت لا أقول ..

وقد انتشرت هذه الأفلام في كل أرجاء العالم، وشهدها الملايين، وأعادتها إلى ذاكرتهم بربرية تيمورلنك، وجنكيزخان، وهولاكو، واجتمعت كلها في هذا الشخص المتعطش إلى الدماء الذي اسمه " الشقيري"

وقد عرض هذا الفيلم عدة مرات في بيت المقدس بعد الاحتلال، وقد شهده الشباب العربي، وفي كل مرة كانوا يشتبكون مع الشباب اليهود استنكاراً للتزوير والبهتان..

وتجاوزني الحقد الإسرائيلي إلى شبابنا الذين اعتقلوا في سجون إسرائيل، فلم يتركوا أحداً من الفلسطينيين المناضلين إلا وصاحوا في وجهه: أنت تريد إلقاء اليهود في البحر ..

وفي كتاب " مذكرات أسير " الذي وضعه المناضل الفلسطيني السيد أسعد عبد الرحمن، عن اعتقاله في إسرائيل، طرائف يجدها القارئ في صفحات (26، 51، 62، 84، 86، 135، 136)، ومن هذه الطرائف ..

قال المحقق الإسرائيلي: لقد جئت لتلقينا في البحر، أليس كذلك؟

الجواب : نحن لا نريد إلقاءكم في البحر.. أن لنا حقوقاً نطالب بها...

سؤال : وماذا تقول بتصريحات أحمد الشقيري التي أعلن فيها أنه يريد أن يلقي اليهود بالبحر.

جواب : قلت إننا لا نريد أن نلقي اليهود في البحر .. نحن نطالب بحقوقنا في بلادنا .

وتابع الأسير الفلسطيني حديثه قائلاً :

وجاءني المحقق، في الصباح، وهو يصيح مبتهجا "لقد مات الشقيري.. مات الشقيري .." ولكننا علمنا فيما بعد أن أحمد الشقيري لم يمت ولكن حل محله يحيى حمودة في رئاسة المنظمة..

ثم أنتقل الحقد الإسرائيلي من شخصي إلى بيتي، فقد جعلوا بيتي في فلسطين مركزاً سياحياً يأخذوون إليه السائحين، بعد زيارتهم للأماكن التاريخية، ليقولوا لهم هذا منزل " الشقيري " الذي كان يريد أن يلقينا بالبحر..

وصادف أن صحافياً لبنانياً قد اعتقلته السلطات الإسرائيلية على الحدود صيف 1970 واحتجزته في إسرائيل لمدة أسبوعين للتحقيق معه، وقبل الإفراج عنه، أخذته في رحلة سياحية .. وإلى منزلي ،حيث قال له الشرطي: هذا بيت الشقيري الذي يريد أن يلقي بنا إلى البحر ..

وفي كانون الأول (ديسمبر) من هذا العام 1972- نقلت وكالة اليونايتدبرس نبأ يقول أن السلطات الإسرائيلية قد جعلت منزل الشقيري معبداً يهودياً .. والحمد لله ولا يحمد على مكروه سواه..

والواقع أني حمدت الله قبل هذا الخبر بزمان، فقد انزاح شعار إلقاء اليهود في البحر عن أكتافي، وألقي على أكتاف الرئيس عبد الناصر والرئيس الدكتور نور الدين الاتاسي، ففي ندوة تلفزيونية (1970/7/3) أعلن الرئيس الأمريكي نيكسون أن مصر وسوريا دولتان معتديتان، وان الرئيس عبد الناصر والاتاسي يريدان إلقاء اليهود بالبحر...

هذا مع العلم، أن الرئيس نيكسون، قبل ولايته، كان قد جاء زائراً إلى القاهرة، فاحتفى به الرئيس عبد الناصر حفاوة بالغة، فاستضافه في الأقصر وأسوان وفي غيرهما من الأماكن السياحية، ووضع تحت تصرفه طائرة خاصة ..

وكل هذه الضيافة والحفاوة من أجل أن يصبح صديقاً للعرب، فكانت النتيجة أن الرئيس الأمريكي اكتشف أن الرئيس عبد الناصر يريد أن يلقي اليهود في البحر ...

ثم ألقي هذا الشعار على أكتاف الرئيس أنور السادات، فقد أعلنت السيدة جولدا مائير في اجتماع شعبي أقيم في تل ابيب فأشادت " بالنضج السياسي الذي يتحلى به الملك حسين، وأن الرئيس السادات يصر على انسحاب إسرائيل إلى حدود حزيران(يونيو) 1967 وإعادة حقوق الشعب الفلسطيني، وذلك يعني رمي اليهود بالبحر، إلى آخر ما نقلته وكالة أنباء رويتر(1972/10/14).

هذا هو عرض موجز لحكاية شعار إلقاء اليهود بالبحر، وقد اخترعه اليهود في 1929، ولا يزالون يرفعونه من حين إلى حين...وهو أشبه بشعار اللاسامية الذي صنعوه في أوروبا ليشهروه في وجه من ينتقد تصرفاتهم ويعيب عليهم سلوكهم ..

كان الرئيس الفرنسي الجنرال ديغول، آخر من شهروا في وجهه هذا الشعار .. فقد عقد الجنرال ديغول مؤتمراً صحفياً حدد فيه موقف فرنسا من أزمة الشرق الأوسط، وتناول موضوع نشوء الوطن القومي في فلسطين وقيام إسرائيل، وألقى نظرة تاريخية على أخطاء السياسة الصهيونية، وما أدت إليه من اضطرابات وأزمات..(1937/11/22).

ولم يمض يوم واحد على بيانات الرئيس ديغول، حتى تحركت الأجهزة الصهيونية في العالم كله تشهر بالجنرال ديغول وتتهمه باللاسامية .

فهذه وكالة الصحافة الفرنسية تقول : " إن المؤتمر الصحفي الذي عقده الجنرال ديغول أثار ردود فعل عنيفة في الأوساط السياسية الإسرائيلية (1967/11/27).

والصحف الفرنسية، تطاولت على الرئيس ديغول وهاجمته هجوماً عنيفاً، فقد كتب المسيو مري أحد المعلقين المشهورين في جريدة لوموند الفرنسية مقالاً قال فيه إن ما ذكره ديغول عن إسرائيل واليهود " تفوح منه رائحة اللاسامية.." وفي اللهجة نفسها نددت جريدة الفيجارو بالجنرال ديغول، وهي المعروفة بولائها لسياسته.

وشنت الصحف الإسرائيلية حملة شعواء على الجنرال ديغول.. معاريف، لمرحاف يديعوت، احرنوت، عال همشمار ، دافار .. وكلها أدانته باللاسامية.(1967/11/27).

وبلغت الحملة ذروتها، حينما أصدر جاكوب كابلان كبير حاخامي اليهود في فرنسا بياناً رد فيه على الجنرال ديغول قال في ختامه " إنه يستنكر أقوال الجنرال ديغول بإدانة إسرائيل كدولة معتدية وإن الشعب اليهودي نزَّاع إلى السيطرة . ثم أعلن كبير الحاخامين إن اليهود الفرنسيين يعلنون تضامنهم مع إسرائيل ويدعمون جهودها "... (1967/11/29).

وعلقت جريدة هرالد تريبيون الأمريكية على تصريحات الجنرال ديغول فقالت : " إن ملاحظاته اللاسامية مذهلة بسبب الذعر الذي أحدثته في صفوف يهود فرنسا والذي أعرب عنه حاخام فرنسا الأكبر .. وستكون قوى الديمقراطية والشرف الفرنسية التي تعارض اللاسامية أمام امتحان بالغ الصعوبة .. وأن موقف ديغول لا يعكس لا الشرف ولا العظمة على فرنسا .. (1967/12/4).

وهكذا رفعت إسرائيل الشعارين المعروفين .. إلقاء اليهود بالبحر، واللاسامية .. الشعار الأول في العالم العربي، والثاني في أوروبا .. ولكن...

ولكن أحداً لم يفطن إلى أن الصهيونية قد صنعت شعارا رهيباً طبقته عبر السنين . ذلك هو شعار إلقاء العرب في الصحراء ..

وليس هذا الكلام دعابة ولا مبالغة .. فإن المراجع الصهيونية كثيرة وكثيرة ..وكلها تقول بالعبارة والكلمة . أن على العرب أن يعودوا إلى الصحراء ... هنالك وطنهم .. ولا أريد أن أزيد .. فإن ذلك يستغرق كتاباً بكامله..

ويكفي أن تتذكر، والمأساة لا تحتاج إلى تذكير .. مخيمات اللاجئين الفلسطينيين الذي دقوا أوتادها في عام 1948، وراحت الخيام تزداد كل عام حتى أصبحت مجموعة اللاجئين والنازحين مليوناً ونصف مليون ..يعيشون حياة، الموت معها أكرم وأشرف .

ولست أعتذر عن الإشارة المتواصلة لاسمي في هذا الفصل، فأني شخص عابر تحت هذا الشعار، شعار إلقاء اليهود في البحر .. وسيمر تحته غيري من الذين دفعتهم الأقدار إلى المسئولية القيادية في قضية فلسطين.

وكل قصدي أن يزداد المواطن العربي معرفة بالعدو وأساليبه، ودعاياته، وأن يعلم ، كذلك، أن دعاياته قد اخترقت عقول بعض العرب، فراح يصدق التزوير الإسرائيلي .. ولا يتردد أن يحكي " بحكمة ورجاحة وعقلانية" قائلاً :" يا أخي هذه نتيجة خطبنا بأننا نريد أن نلقي اليهود بالبحر!..".

تلك هي قصة الصهيونية : اخترعت شعار إلقاء اليهود بالبحر، زوراً وبهتاناً، وألقت بالعرب في الصحراء فعلاً وعملاً..

وليس غريباً على إسرائيل أن تستخدم البحر في دعاياتها، فإن لها فيه أحداثاً وأحداثاً ..

ويقول الله تعالى في كتابه الكريم :

" وجاوزنا ببني إسرائيل فأتبعهم فرعون وجنوده " .

" وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون . . ".

" فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر . . . " .

صدق الله العظيم

استقالة أم إقالـة

هذا هو الفصل الأخير في مذكراتي، أكرسه للحديث عن استقالتي أو إقالتي .. من رئاسة منظمة التحرير .. وسأحرص فيما أكتب على الإيجاز والتجاوز.

أما الإيجاز فلأني أريد أن يكون شخصي، كمًّا وحجماً، بقدر ما يتصل بالقضية العربية، وأنا واحد من الذين ساهموا في ميدانها بقدر متواضع..

والتجاوز .. فإنه مفروض عليَّ لا من طبع الصفح والتسامح في نفسي فحسب، بل إنه، أولاً وآخراً، نابع من تجربتي الطويلة مع الأصدقاء والزملاء، ومن قراءاتي الطويلة في كتب السير والتراجم،وكيف تقوم العلاقات بين الرجال اتصالاً وانفصالاً، وخيانة ووفاء وغدراً وصفاء .. وأصبحت هذه المعاني في نفسي أمراً واقعاً أو متوقعاً..

ولعلي أبدأ هذا الفصل بما انتهى إليه مؤتمر الخرطوم، فإني أعتبر أن مؤتمر الخرطوم بالقرارات التي اتخذها، وبالقرارات التي ما اتخذها سيفرض عليَّ الاستقالة عاجلاً أو آجلاً ...

وقد انسحبت من مؤتمر الخرطوم لا لأزايد على الملوك والرؤساء، فالذي يزايد على أمثال هؤلاء الرجال يجب أن يكون واحداً منهم، أو طامعاً في أن يصبح واحداً مثلهم .. وأنا كفلسطيني لاجئ .. لا أمل لي في أن أكون ملكاً أو رئيساً .. فلم يصل الحال في الوطن العربي أن يصبح الإنسان العربي رئيساً أو ملكاً

في غير " دولته " .. وكان الحال في القرون الوسطى، أن الإنسان العربي، يكون ملكاً أو وزيراً أو قاضيا في غير القطر الذي نشأ فيه .. وصلاح الدين الأيوبي التكريتي العراقي، سلطان مصر والشام، ومحرر بيت المقدس، واحد من أروع الشواهد، وأرفع الأمثال ...

ولهذا فإن انسحابي من مؤتمر الخرطوم لم تكن له أسباب شخصية إطلاقاً .. فقد كانت حوافزه عامة وأساسية، قد تبدو خاطئة في يومها، وأثبتت الأيام صوابها .. وأعوذ بالله من الغرور ..

وهذه الأسباب العامة الأساسية قد شرحت في الفصول السابقة، وهي التي دفعتني إلى الانسحاب، من الساحة الرسمية إلى ساحة أخرى بدأت أبحث في أعماق نفسي.

وكانت هذه الساحة التي تخيلتها هي مزيج من الساحة الرسمية والشعبية : تعاون مع الدول العربية التي يمكن التعاون معها، ونضال على الصعيد الشعبي.

وهذا ما قصدت إليه فعلاً حين أعلنت في المؤتمر الصحفي الذي عقدته في الخرطوم بعد انسحابي من اجتماع القمة من أن " المنظمة ستعيد تنظيم مؤسساتها لتكون قادرة على مواصلة الكفاح، ومقاومة الاحتلال الإسرائيلي، متلاحمة مع جميع القوى المناضلة في الوطن العربي" (1967/9/1).

وكان لا بد لنا من طريق جديد .. لا بد من تغيير الطريق .. والهدف لا يتغير .. وقمت في حملة شورى هادئة .. فالتقيت بعدد وافر من الأخوة الفلسطينيين والعرب، وبدا لي جلياً أن طريقنا بعد الهزيمة يجب أن يختلف عن طريقنا قبل الهزيمة ..

قبل الهزيمة، وضعت مؤتمرات القمة الخطة الواضحة لتحرير فلسطين، فأنشأت القيادة العربية الموحدة لإعداد خطط الدفاع، ومن ثم تطويرها لتكون قادرة على الهجوم ..وكانت منظمة التحرير بجيشها وشعبها جزءاً لا يتجزأ من الخطة...

ولقد وقعت في ذلك العهد أخطاء ومخالفات، ولكن خطة التحرير بقيت قائمة في الفكر والتخطيط، وإن لم تستكمل كل وسائل التنفيذ.

وكنت أقدر أن الزمن سيجسد معالم الطريق، وسيسقط المتقاعدون والمتقاعسون، ليبقى في الميدان أولئك الذين يستطيعون أن يقاتلوا معاً وأن ينتصروا معاً...

ولكن .. هنا الفاجعة، ولكن هذا التصور لمستقبل التحرير، قد انقصف قبل أن تنفتح أكمامه، كما تنقصف براعم الزهور تحت وطأة الصقيع..

ولقد وقعت المعركة في حزيران (يونيو)، قبل موعدها بأعوام .. فقد وقعت في عام 1967، وكان أحسن عام لإسرائيل وأسوأ عام للأمة العربية!!

وما أسهل الكلمة الحكيمة بعد الهزيمة، ولكن كان الأمر واضحاً من غير حاجة إلى عقل كبير .. فقد كان حكام العرب يعرفون الحقيقة الأساسية، أن أوضاع الأمة العربية السياسية والعسكرية والاقتصادية في عام 1967، لا تصلح لا للدفاع ولا للهجوم ولكنها تصلح للهزيمة .. نعم الهزيمة...

ولست أقول هذا الكلام اليوم .. بل إني أكدته أمام خمسين إنساناً من قادة الشعب الفلسطيني في فندق الامباسادور في بيت المقدس قبل المعركة بثلاثة أيام.. وما لقيت واحداً منهم بعد ذلك إلا ويذكرني بذلك الحديث الخائف...

غير أن الحكم العربي المعاصر المتميز باللامبالاة، وللامسئولية، واللاعقلانية، قد استدرجه مكر الأصدقاء وغدر الأعداء إلى معركة في غير ميدانها وفي غير زمانها .. فكانت الهزيمة الساحقة الصاعقة..

ولم يكن نصر إسرائيل معجزة فريدة .. ولكن هزيمة العرب نفسها لم يكن من سبيل لتجنبها إلا بمعجزة خارقة..

وكانت المعادلة بسيطة أمام الذين يعقلون .. وكانت أطراف المعادلة كما يلي:

أولاً – دول عربية متشاحنة، مبددة الطاقات، موزعة الأهواء ..

ثانياً – أمة عربية واحدة، تحكمها ثلاث عشرة حكومة، لا تستمد سلطاتها من الشعب، في مناخ بعيد عن الحريات الأساسية والديمقراطية الحقيقية ..*

ثالثاً – جيوش عربية عصفت بها الانقلابات والصراعات، لتكون حارسة " للنظام"، لا حامية للوطن.

رابعاً – مواجهة إسرائيل، تساندها الولايات المتحدة من غير قيد ولا شرط.

خامساً– صداقة مع الاتحاد السوفيتي ضمن القيود والحدود.

وإن معادلة هذه أطرافها لابد أن تكون نتيجتها الحتمية هزيمة للعرب ونصراً لإسرائيل .. هذا بكل بساطة ..

ولو أن البنود الثلاثة الأولى من المعادلة، وهي البنود العربية، كانت على غير ما كانت عليه لجاءت النتيجة الحسابية نصراً للعرب وهزيمة لإسرائيل ..

ومن أجل ذلك خرجت من مؤتمر الخرطوم لا بحث عن الطريق الجديد ...

---

*باستثناء دولة أو دولتين.

وكان طبيعياً أن أبدأ بالجانب الفلسطيني . وكانت منظمة التحرير هي السؤال الأول ...

لقد أنشئت منظمة التحرير في ظروف اختلفت، المنظمة أنشئت للتحرير ..ولم يعد التحرير جزءا من خطة مؤتمر الخرطوم، ولو على مراحل، ولو على المدى البعيد.

لقد أقتصر مؤتمر الخرطوم فكره وتخطيطه على إزالة آثار العدوان.. وبالطريق السياسي، بطريق الأمم المتحدة، وبالتحديد عن طريق الدول العظمى.

ولم أكن مؤمناً بهذا الطريق لا بعقلي ولا بخبرتي..

وصدر قرار مجلس الأمن ..وأعلنت رفضه للأسباب التي شرحتها.. وراح الحكم العربي بعد أن رفضه يوماً وليلة ، يطالب بتنفيذه .. ويبرر ذلك بأنه أسلوب تكتيكي يقصد منه عزل إسرائيل، وكشف مخططاتها، ووضعها في موقع الرافض .. كأنما هذا الذكاء التكتيكي لا تملك إسرائيل منه شيئاً .. أو كأن ردود الفعل الدولية ستعيد للأمة العربية شبراً واحداً من أرضها، وذرة واحدة من كرامتها.

ليست إسرائيل غبية إلى هذا الحد، لكن كان الحكم العربي هو الغبي في البداية، ووقع في الخيبة في النهاية.

وانتقل الحكم العربي من التكتيك إلى الإستراتيجية، فأصبح قرار مجلس الأمن مطلبا قومياً،وراح يخدع الجماهير العربية ويوحي إليها بأن قرار مجلس الأمن نص على أمرين أساسيين:

الأول – الانسحاب من جميع الأراضي العربية.

والثاني – المحافظة على حقوق الشعب الفلسطيني.

والأمر الأول كذب، والأمر الثاني زور، فإن قرار مجلس الأمن لا يتضمن الأول ولا الثاني، كما يزعمه الحكم العربي.

والمصيبة الكبرى أن الحكم العربي مسيطر على أجهزة الإعلام العربية، فلا مجال لأن تسمع الأمة العربية غير الكذب والزور.

ولهذا، كان لا بد أن يعاد النظر في الكيان الفلسطيني، بعد أن اختلفت عليه الظروف، وخطرت لي خواطر، وبدأت في تنفيذها ..

خطر لي أولاً – أن مقاومة الاحتلال الإسرائيلي يجب أن تبنى داخل الضفة الغربية وقطاع غزة . وإذا كان رئيس الأركان السوري قد اعتقل ضباطنا الثمانية عشر ومنعهم من دخول الضفة الغربية، كما شرحت، فلا بد من المحاولة ثانية وثالثة.. ولا بد أن " نُهرِّب " جيش التحرير الفلسطيني إلى داخل البلاد ..

وخطر لي ثانياً – أن أجمع قادة المنظمات الفدائية وكانت في بدايات أعمالها، في طائرة واحدة إلى العراق . لنجتمع في إحدى أجنحة وزارة الدفاع لمدة أسبوع ولا نخرج إلا متفقين .. وقد وافق اللواء شاكر محمود شكري وزير الدفاع العراقي، أن يضع تحت تصرفنا طائرة عسكرية عراقية،ووزارة الدفاع العراقية..

وخطر لي ثالثاً – أن الكيان الفلسطيني يجب أن يعاد بناؤه على هيئة طابقين: واحد، فوق الأرض وهو منظمة التحرير، للشئون السياسية والتنظيمية والمالية والإعلامية، والطابق الثاني تحت الأرض يختص بشئون الثورة الفلسطينية المسلحة تحت قيادة مجلس الثورة . ويكون بين الطابقين سلم يصل بينهما، بعيد عن الإعلان..

وخطر لي رابعاً – أن استقيل من رئاسة منظمة التحرير، ففي الشعب الفلسطيني كفاءات سياسية كثيرة، لأكون مستشاراً لمجلس قيادة الثورة الفلسطينية، لأُعرف، ولا يُعرف مجلس قيادة الثورة ..

وبدأت اتصالاتي بعدد من الفلسطينيين أبحث معهم هذه الخواطر وسبل تنفيذها..

وكان واضحاً منذ البداية أن ميلاد الكيان الفلسطيني الجديد، لا يقصد منه أن يكون قوى ضاغطة على إسرائيل حتى تنفذ قرار مجلس الأمن..

لقد كنت أريد قيام مجلس الثورة ليعبئ الشعب الفلسطيني، ومعه الجماهير العربية في معركة التحرير .. إنها معركة طويلة حقاً .. ولكن طول الزمن لا يحمل على التنازل عن الهدف..

وشعار " ثورة حتى النصر " كان هو الهدف، فلا يمكن أن تكون الثورة فريقاً في التسوية، ولا طرفاً في التصفية . وقضية فلسطين هي القضية الوحيدة في العالم التي لا تقبل التسويات المرحلية، فليست الحدود في هذه القضية هي المشكلة . المشكلة هي وجود إسرائيل الدولة .. والمشكلة هي الوطن، هل هو لنا أو لإسرائيل..

وفي إطار استشاراتي العربية كان يقول لي بعض المسئولين العرب: نحن الآن معنيون بإجلاء إسرائيل عن سيناء والضفة الغربية والجولان ..أما الأرض الفلسطينية الباقية فقد مضى على احتلالها عشرون سنة.

وكنت أقول : وهب أن الاحتلال استمر في الجولان وسيناء عشرين سنة أخرى، فهل نتركها ونتخلى عنها ؟..

ولا أجد جواباً.. ولكني أسمع مرة ثانية كلاماً آخر : وهل من مانع من العودة إلى حدود حزيران بالجهود السلمية؟.

وكنت أقول : لا مانع أبداً .. ولنفرض أن إسرائيل وافقت، وهي فرضية غير قائمة، فهل " تعطيكم" إسرائيل أرضكم هذه قبل أن توقعوا وثيقة تتنازلون بموجبها عن الأرض المحتلة سابقاً، وإنهاء حالة الحرب .. و..و..؟.

ولم أكن أجد جواباً ...

وفي تلك الحقبة، بدأ الدكتور يارنج مبعوث الأمم المتحدة رحلته إلى الشرق الأوسط لتطبيق قرار مجلس الأمن .. وكانت أول مذكرة تلقاها حول الموضوع، مذكرة أرسلتها منظمة التحرير الفلسطينية، ترفض قرار مجلس الأمن رفضاً قاطعاً باسم الشعب الفلسطيني وباسم الجماهير العربية.

وألقت أجهزة الأعلام العربية الرسمية ستاراً من التعتيم على هذه المذكرة، كأنما نزلت غارة معادية على الأرض العربية .. ولم تنشر إلا في صحف بيروت.

وحفظ الله بيروت للعرب أجمعين..

وأقول للعرب أجمعين، فإن جميع المضطهدين العرب، المعذبين بأوطانهم وحكامهم، لاجئون إلى بيروت .. والملك فيصل نفسه قد اعترف بهذه الحقيقة، ففي صيف 1971 حين كان في زيارة رسمية للبنان،أثنى على لبنان " بأنه ملجأ المضطهدين " ..ولم يقل من الذين يجعل الناس " مضطهدين"..

وكائنا ما كان الأمر فقد عرف في أوساط المنظمة إن هناك نية في التغيير والتبديل، وهنا لا أخوض في التفصيل .. فوجه إلي سبعة من أعضاء اللجنة التنفيذية مذكرة يقولون فيها إنه " حرصاً على الكيان الفلسطيني . وتحقيقاً للوحدة الوطنية، ووحدة النضال المسلح، وتمكيناً للمنظمة من التصدي لإحباط

المحاولات والإجراءات المترتبة على قرار مجلس الأمن الذي يستهدف تصفية القضية الفلسطينية، نعلن أنه لا بد من تنحيتكم من رئاسة اللجنة التنفيذية للمنظمة إذا ما أريد لها البقاء .. ونطلب إليكم التنحي فوراً عن رئاسة المنظمة لنتمكن بالتعاون مع ذوي الرأي من إخواننا أبناء فلسطين من الوصول إلى قيام قيادة جماعية واعية للمنظمة تعمل على مستوى الأحداث"..

وليس لي تعليق على هذه المذكرة .. فإن الأعضاء السبعة الذي قدموها مواطنون مخلصون أضاعت الكارثة صوابهم، وتقديرهم وحسابهم فكتبوا ما كتبوا، من غير تدير عميق بالعواقب.

ولا أريد أن أدخل الآن في مناقشة هذا الطلب، ومشروعيته، ذلك أن ميثاق المنظمة قد خولني الحق في اختيار زملائي في اللجنة التنفيذية وأني أملك إعفاءهم من هذه الزمالة واختيار غيرهم بدلاً عنهم .. وكان هذا الحل وارداً أمامي..

وقد وصلتني هذه المذكرة في الرابع عشر من شهر كانون الأول ديسمبر (1967) ..وقدمت استقالتي في الرابع والعشرين من الشهر .. ولم يكن ذل استجابة للأخوة السبعة، فأنا أعلم أن الشعب الفلسطيني في مجموعة لا يريد استقالتي فضلاً عن إقالتي..

ولكن قراري بالاستقالة كان مبنياً على عوامل أخرى كانت وراءها أوضاع عربية ودولية.

ولا أريد أن أتحدث طويلاً عن الأوضاع الدولية ، فإن الذين يعملون في قضية فلسطين، لابد وبالضرورة الحتمية، أن يقعوا في صراع مع مختلف القوى الدولية .. ذلك أن تحرير فلسطين وإزالة إسرائيل الدولة لا يتفق مع مخططات

ومصالح عدد من الدول العظمى والوسطى والصغرى وكان من الطبيعي لمن يتصدى لإسرائيل، أن يتصدى لهذه القوى الدولية.

أما الوضع العربي فقد وقعت معه في أزمة تجسدت فيما يلي:

أولاً – إن انسحابي من مؤتمر الخرطوم كان في نظر الملوك والرؤساء " عملاً غير لائق "

ثانياً – إن الملك حسين والملك فيصل والرئيس بورقيبة قد أعلنوا عدم " انشراحهم " للتعاون مع رئيس منظمة التحرير الفلسطينية في مناسبات متعددة.

ثالثاً – إن رئيس منظمة التحرير قد اصبح شخصاً بغيضاً لدى الرأي العام الدولي بسبب " تصريحاته" عن إلقاء اليهود بالبحر.

رابعاً – إن استعادة سيناء والجولان والضفة الغربية أمر ميسور في مدة قصيرة، عن طريق المساعي السياسية والدبلوماسية ..ولكن رئيس المنظمة، بتصريحاته واتصالاته، يشكل إحدى العقبات أمام تحقيق هذه الغاية.

خامساً – إن مؤتمر الخرطوم لا ينتظر أن ينعقد في موعده المقترح، لأن الخارجية التونسية قد بعثت بمذكرة تقول فيها إن الرئيس الحبيب بورقيبة لا يجلس مع رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، وقد تعززت هذه الرغبة بتأييد الأردن والسعودية. ولم تكن هذه العوامل الخمسة كافية وحدها لحملي على الاستقالة، فالحكام العرب متنافرون فيما بينهم، ولا يستطيع أحد أن يقيل هذا أو ذاك، فضلاً عن أني كنت في الواقع أكثر تمثيلاً للشعب الفلسطيني من عدد كبيرمن حكام العرب، بالنسبة لشعوبهم..

ولكني قررت الاستقالة بعد أن رأيت على مدى عشرة أيام ظاهرة لا أريد أن أخوض في تفسيرها أو تبريرها.

هذه الظاهرة، كانت في الواقع مظاهرة.. فقد أخذت صحف القاهرة على نفسها بقيادة جريدة الأهرام، إبراز مذكرة الأخوة السبعة والتعليق عليها، ونشر صور أصحابها، وتصريحاتهم ومطالبتهم باستقالة رئيس المنظمة .

وعلى مدى أيام كانت الصفحات الأولى في جريدة الأهرام مكرسة بالعناوين البارزة وهي تتحدث عن أزمة المنظمة "واستقالة الشقيري" حتى أصبح القتال في فيتنام، والصراعات الدولية والخلافات العربية أموراً تأتي في المقام الثاني من الاهتمام!!

وقرأت كل هذا .. وفهمت ما يجب أن أفهم .. وقدمت استقالتي لا إلى الأخوة السبعة، ولا إلى الملوك والرؤساء الثلاثة عشر .. ولكن إلى الشعب الفلسطيني. .. وكان نص الاستقالة موجزاً كما يأتي:

" أقدم استقالتي إلى الشعب الفلسطيني، الشعب الأسير الشريد، المهاجر الطريد، وأقدم استقالتي كذلك إلى الفدائيين الأبطال الذي يخوضون في هذه الأيام غمرات النضال على أرض الوطن الحبيب، وابتهل إلى الله العلي القدير أن يحفظ شعب فلسطين ويحفظ قضيته، وأن يصون نضاله ويصون منظمته، وعهدي لمن يأتي بعدي أن أكون له سنداً وعضداً أضع بين يديه كل تجربتي وطاقتي، في طاعة الجندي بين يدي القائد، فتلك سيرة سيدنا خالد، قاتل قائداً وقاتل جندياً،والحمد له أولاً وآخراً ".

وقد قامت مسيرات ومظاهرات تعترض على استقالتي، ووصلتني عرائض وبرقيات تطالبني بالبقاء في موقع المسئولية .. ولكني آثرت أن أستقيل لأفسح المجال لغيري، فقد يكون على صواب، وأكون على خطأ.

وتلقيت من منظمة التحرير، ومنهم الأخوة السبعة ، كتاباً بقبول استقالتي تعرب فيه المنظمة عن " تقديرها الكبير للجهود التي بذلتموها منذ قيام منظمة التحرير الفلسطينية ..وهي تقدر تمام التقدير ما تحملتم في سبيل قيام المنظمة من أعباء وأديتم لها من خدمات ..". (1967/12/25).

ومنذ ذلك اليوم،وأنا أستقبل العديد من أبناء فلسطين، ومنهم الأخوة السبعة وهم يناشدونني العودة إلى المسئولية القيادية وكنت أعتذر على الدوام، وأنا أقول لهم في ختام حديثي: ليست مشكلتي مع الشعب الفلسطيني ولا مع الجماهير العربية ... إن مشكلتي مع الملوك والرؤساء أنا لا يمكنني العمل معهم ولا يمكن العمل بدونهم وهذه هي المشكلة وها قد مضت ستة أعوام على استقالتي والأرض العربية تحت الاحتلال الإسرائيلي والحلول السلمية تقف أمام طريق مسدودة والملوك والرؤساء لا يجمعون على رأي واحد .. والشقيري الذي اختاروه كبش الفداء التزم بيته ..واستراح وأراح ..

وإذا كنت قد " عُزلت " عن المسئولية القيادية، فإن مسئوليتي كمواطن لم تعزل، ولا يملك أحد أن يعزلني عنها.

وإذا كانت قد انتهت قيادتي فإن مواطنتي، قد ابتدأت ..

وقد بدأت مواطنتي بكتابة مذكراتي، وها أنا أفرغ من الجزء الخامس منها، لتكون في مجموعها سجلاً لأعظم أحداث وقعت للأمة العربية بعد الحملات الصليبية وغزوات التتار في القرون الوسطى.

ولن تنتهي مواطنتي بنهاية مذكراتي .. فالمواطنة تنتهي بانتهاء الحياة..

إن تجاربي الدولية والعربية، هي ملك أمتي العربية بأجيالها الصاعدة والوافدة . وسأضعها بين يدي الإنسان العربي . وأن اجمل الأيام في أخريات العمر، للإنسان الحي، أن يقرأ ..وأن يكتب وها أنا أدعو الله...

أن يحفظ عقلي لأفهم ..

وأن يصون بصري لأقرأ ..

وأن يشد يدي لأكتب ..

ويقول الله تعالى في كتابه الكريم:

"وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون".

صدق الله العظيم